بناء النظرية الاجتماعية

(مدخل نظري وواقعي)

دكتور
أحمد مصطفى خاطر
المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية

دكتور
عدلي علي طاحون
كلية الزراعة - جامعة المنوفية

١٩٩٥

المكتب الجامعي الحديث بالاسكندرية

بناء النظرية الاجتماعية

(مدخل نظرى وواقعى)

دكتور
أحمد مصطفي خاطر
المعهد العالى للخدمة الاجتماعية
بالاسكندرية

دكتور
عدلي علي طاحون
كلية الزراعة - جامعة المنوفية

١٩٩٥

المكتب الجامعى الحديث - بالاسكندرية
ت : ٤٨٣١٥٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

عندما يتصدي أي باحث للكتابة في أحد فروع المعرفة ، يضع نصب عينيه تحقيق هدف ما . وتتعدد هذه الأهداف تبعا لتخصص الباحث ، ويعمل جاهدا علي تحقيق اضافة أو رؤية خاصة في مجال تخصصه . ولكن العمل الذي نقدمه الآن - يتصف بالعمومية من حيث انه يقع في مجال اهتمام العديد من التخصصات وذلك من منطلق انه يهتم ببناء النظرية الاجتماعية .. ومسار العلم والمعرفة ، ولذا حاول الباحثان ان يحوي هذا الكتاب علي منظومه من الابعاد التي تجمع كافة آليات المعرفة العلمية ، لتحقيق اكبر قدر من الافادة للقاريء رغم صعوبة الموضوع الذي يستند علي أطر فلسفية وتجريدية للربط بين المتغيرات المختلفة المتضافرة والتي تسهم في بناء نسق المعرفة العلمية .

واذا كانت طرق الحصول علي المعرفة متعددة .. الا أن السمة الاساسية التي تجمع بين هذه الطرق انها تبدأ بالملاحظة .. واذا كانت هذه الملاحظة غير مقننة فانها لن تنتهي الي شيء ولكن مايحقق الاثراء المعرفي بالظواهر الاجتماعية المختلفة هو أن تكون هذه الملاحظة مقننة، وتستمد محدداتها من خلال نظريات سابقة ، ليس بالضرورة ان تكون هذه النظريات تعبر عن مضمون موضوع الملاحظة ، ولكن يمكن ان تكون هذه النظريات خاصة بظواهر اخري علي علاقة بالظاهر محل الدراسة ولذلك تعتبر عدم المعرفة أو عدم القدرة علي التفسير هي

السبب أو المنطلق للتوصل الي المعرفة (لايعرف العدل الا من خبر الظلم)، واذا كانت النظريات المتاحة تقدم التفسير الكافي للظاهرة محل الدراسة ، فان هذا يؤدي الي زيادة درجة الثقة في الاطار النظري أو التصوري الموجه للعلم ، واذا اتضح عجز النظرية عن التفسير . فان ذلك يؤدي بنا الي محاولة التوصل الي نظرية اخري تقيم العلاقة بين المتغيرات الحقيقية للظاهرة محل الدراسة ، وفي كلتا الحالتين يحدث النمو المعرفي .

ان من اهم الصفات التي تطلق علي الانسان انه صانع ثقافته ، والمعرفة العلمية هي جزء اساسي من ثقافة المجتمع ، وان كانت هي الركيزة الاولي التي تضمن التراكم الحضاري للمجتمع ، ولكن بشرط ان تكون هذه المعرفة علي درجة من الصدق بحيث تعبر عن الواقع في المجتمع ، وتكون خالية من بعض المسلمات أو البديهيات المغلوطة التي تكمن في اساطير المجتمع وفي نسق الاعتقاد لديه . مما ينتج عنه استجابات غير موضوعية من قبل افراد وجماعات المجتمع وفي ضوء هذا يتعاظم دور البناء النظري والعلمي للمعرفة .

ويقدم هذا الكتاب اسهامات المنهج العلمي في بناء النظرية الاجتماعية ، وذلك في ضوء اسهامات مدارس اجتماعية متعددة ، بالاضافة الي تقديم نموذج عملي لاقامة نماذج الممارسة بالنسبة للتدخل وموقف هذه النماذج التطبيقية من الأطر النظرية المتاحة ، وكيف تسهم هذه (النماذج) بدورها في مرحلة لاحقة في دعم الاطار النظري الذي يوجه الممارسة في مرحلة لاحقة ، كما نقدّم نموذجا عمليا لكيفية بناء النموذج السببي في النظرية .

ويحتوي الكتاب علي ثمانية فصول يقدم في الفصل الاول طرق الحصول علي المعرفة ، بالنسبة للمعرفة المقننة وكيفية صياغتها بأسلوب علمي يضمن اثراء الاطار المعرفي في أية تخصص والابتعاد عن التحيز وضمان الموضوعية ، ثم ننتقل الي الفصل الثاني لنحدد أهم عناصر العملية العلمية .. ولانكتفي بتحديد هذه العناصر ولكن نقيم العلاقة بين هذه المكونات بما يؤدي الي التكامل بين هذه العناصر وتحقيق الغاية النهائية ، اما الفصل الثالث فيتناول اهمية المعرفة العلمية وخصائصها ، سعيا وراء امكانية التعرف علي المعرفة العلمية وفصلها عن سواها من البديهيات أو المسلمات غير العلمية القائمة علي الحدس أو التخمين ، ويأتي الفصل الرابع ليعرض بطريقة مباشرة ماهية النظرية . وعلاقة النظرية بالمعرفة .. وكيف يمكن صياغة المعرفة في أطر نظرية ، ويصبح من الطبيعي ان يعرض الفصل الخامس ابعاد النظرية العلمية لتكامل الرؤية بالنسبة لماهية النظرية العلمية ، وابعادها من مفاهيم وتعميمات أو عبارات ، وينتهي هذا الفصل بتحديد اشكال النظرية العلمية . ويجيء الفصل السادس ليحدد كيفية اختبار النظرية .. ذلك لآن النظرية الاجتماعية بدون تطبيق تعتبر ضرب من التعسف ، في حين اختبارها هو الذي يضفي الموضوعية ويرفع من درجة الثقة فيها ، وتعتبر النماذج التطبيقية التي توجه الممارسة خير دليل في حالة تطبيقها للتأكد من مدي صدق النظرية ، أما الفصل السابع يتعرض لنموذج تطبيقي لاختبار النظرية ، وننتهي في الفصل الثامن الي عرض نموذج لمحاولة اقامة نظرية متوسطة المدي .

ويأمل الباحثان ان يكلل عملهما بالنجاح والذي يتمثل في تقديم عمل علمي يليق بالموضوع الذي يقوم الكتاب بمعالجته وبوصفة من الموضوعات الاساسية في العلوم الاجتماعية ، وان يلقي القبول لدي الباحثين ويسهم ولو بالقليل في دعم الكتابات في هذا المجال . والله نسأل التوفيق .

الباحثان

فبراير ١٩٩٥

الفصل الأول

طرق الحصول علي المعرفة

العلم وثلاث بدائل اخري

الفصل الأول

طرق الحصول على المعرفة

العلم وثلاث بدائل أخرى

Science and 3 Alternatives

يعتبر العلم طريقة لإختبار صحة القضايا الخاصة بعالم الخبرة الإنسانية لكن مع أن العلم يعتبر طريقة واحدة فقط من عدة طرق لإحداث ذلك فإنه من الضروري أن نبدأ بتحديد هذه الطرق لايضاح بعض الإختلافات بينها وأيضا لتحديد وضع العلم داخل السياق الذي يقدم من خلاله .

فهناك علي الأقل أربعة طرق لإختبار صحة القضايا الأمبيريقية هي :

الطريقة التسلطية Authoritarian Method ، الطريقة المنطقية العقلية Logicalrational Method ، الطريقة الروحية Myshcal Method ، الطريقة العلمية Scientific Method . إن الفارق الرئيسي بين هذه الطرق هو أن كل طريقة تضع ثقتها في مصدر (منتج) القضية التي تزعم أنها صادقة (بمعني أن يسأل الفرد ..... من قال ذلك ؟) بالإجراء الذي عن طريقه نتجت القضية (بمعني أن يسأل الفرد : كيف عرفت ذلك ؟) وأيضا أثر أو نتيجة القضية (بمعني أن يسأل الفرد : ماهي الفروق أو الإختلافات التي تحدثها هذه الطريقة ؟) وسنتناول فيما يلي بإختصار هذه الطرق :

الطريقة التسلطية Authoritarian Method :

وفي هذه الطريقة يتم إختبار المعرفة عن طريق أشخاص معينين أتفق إجتماعيا علي تحديدهم كمنتجين لهذه المعرفة بإعتبارهم مؤهلين لذلك (علي سبيل المثال : كبار رجال الدين من شيوخ وكهنة وأساقفة ، كبار السن ، الرؤساء ، الأساتذة) . وهنا يفرد الباحث قدرة المعرفة علي إنتاج قضايا صادقة الي طبيعة المتملكين أو المؤهلين لإنتاج هذه المعرفة وقد تكون قدرة هؤلاء راجعة الي قوي طبيعية أو فوق طبيعية .

وهناك مجموعة من الطرق أو الاجراءات والتي من خلالها يحاول الباحث الحصول أو التوسل الي الحصول علي المعرفة من خلال هذه السلطة مثل(التعبد ، الإلتماس ، آداب المعاشرة ، الحفلات الدينية) . فطريقة الحصول علي المعرفة هامة جدا لطريقة استجابة السلطة وليس لثقة الباحث في هذه السلطة ، وبالرغم من العواقب أو الآثار العملية لهذه المعرفة المتحصلة يمكن أن تسهم في تدمير أو اسقاط السلطة الا أن ذلك لكي يتحقق فلابد من توافر نسبة كبيرة من عدم صدق البراهين المقدمة .

لقد كان الانسان دائما يلجأ للسلطة طلبا للمعرفة حتي في أقدم الحضارات اذ كان الرجل البدائي يستجدي رجل الطب لكي يدله علي مايزيل المه ، وقد يلجأ شخص الي رئيس القبيلة للإستفسار عن كثير من أموره الحياتية وقد يطلب محام

من طبيب نفس أن يشهد بمدي سلامة عقل متهم أو قد يطلب من خبير في الخطوط ان يقارن بين بعض التوقيعات . ولذلك يعمد العالم الي تقويم مدي الثقة في السلطات تقويما ناقدا وعندما يطلب النصح منها يحتفظ لنفسه بحق تمحيص آرائها لكي يري ان كان سيصل هو أيضا الي نفس النتائج (Dalen, 1962).

الطريقة الروحية Mystical Method :

وهذه الطريقة ترتبط الي حد كبير بالطريقة التسلطية حيث أن كلتاهما تحاولان التوسل بهدف الحصول علي المعرفة عن طريق الأنبياء ، الوسطاء ، القديسين ، الآلهة وكذلك القوي الخارقة للطبيعة . فبينما يعتمد الأسلوب التسلطي أساسا علي الوضع الاجتماعي لمنتج أو مصدر المعرفة يعتمد الأسلوب الروحي كلية علي كشف المعرفةعن طريق الحالة النفسية والشخصية للفرد . ولهذا السبب يعتمد الأسلوب الروحي علي ممارسة طقوس معينة وإجراءات محسوسة . وتمتد توسلات هذا الأسلوب الروحي للحصول علي المعرفة متجاوزا الآلهة الروحية الي مصادر أخري غير شخصية مجردة وغير متوقعة وسحرية تكشف عن نفسها من خلال قراءات الباطن وخرائط البروج وغيرها .

الطريقة المنطقية العقلية Logicalrational Method :

في هذه الطريقة فإن الحكم علي القضايا والتي تهدف الي أن تكون صادقة يعتمد أساسا علي الاجراءات التي عن طريقها نتجت هذه القضايا . ويستخدم في هذه الطريقة عدة أساليب للحصول علي المعرفة منها قواعد المنطق الصوري . وهذه

الطريقة ترتبط كثيرا بالطريقتين التسلطية والروحية لأن الاخيرتين من الممكن أن تكونا أساسيتين لقبول كلا من قواعد النظام والبديهياتAxioms أو ما يمكن أن نطلق عليه المباديء الأولي للطريقة المنطقية العقلية ، لكن مهما كانت الأسباب فلابد من وجود تأكيدات للإجراءات المستخدمة بهدف الوصول الي معرفة صحيحة كما هو الحال في الطريقتين السابقتين حيث أن نقص البراهين له أثر علي صحة الطريقة المنطقية العقلية كطريقة لإكتساب المعرفة .

وقد يستخدم الانسان التفكير الإستنباطي كوسيلة للحصول علي المعلومات وفي الاستنباط يري الانسان أن ما يصدق علي الكل يصدق أيضا علي الجزء ولذلك فهو يحاول أن يبرهن علي أن ذلك الجزء يقع منطقيا في اطار الكل ويستخدم لهذا الفرض ما يعرف بالقياس . ويستخدم القياس لإثبات صدق نتيجة أو حقيقة معينة وهو عبارة عن حجة تشتمل علي ثلاث قضايا يطلق علي القضيتين الأولتين المقدمتان حيث أنهما تمهدان للوصول الي النتيجة وهي القضية الاخيرة . ويعرف أرسطو القياس بأنه " قول تقرر فيه أشياء معينة يتولد عنها بالضرورة شيء أخر غير ماسبق تقريره ". ويمكن أن نوضح ذلك في الآتي :

كل البشر فانون	(مقدمة كبري)
الامبراطور بشر	(مقدمة صغري)
اذن الامبراطورفان	(نتيجة)

وهناك العديد من المقاييس مثل قياس فرضي ، وقياس تبادلي ،

وقياس منفصل ويسمي كل قياس تبعا لنوع القضية التي جاءت في المقدمة الكبري (Dalen, 1962) .

الطريقة العلمية Scientific Method :

وهي إحدي الطرق لأربعة للحصول علي المعرفة أو اختبار صحة القضايا العلمية الإمبيريقية . ويعتمد هذا الأسلوب العلمي أساسا علي ملاحظة القضايا موضوع الدراسة مع الاعتماد علي الاجراءات (الطرق) العلمية للوصول الي هذه القضايا .

ويجب التأكيد هنا علي الدور الذي يلعبه الأسلوب العلمي المستخدم عند تنادل أي مكون من مكونات المعرفة العلمية فعلي سبيل المثال اذا كان هناك اثنين أو أكثر من موضوعات المعرفة العلمية (علي سبيل المثال الملاحظات ، التعميمات الامبيريقية ، النظريات) فإن اختبار الأسلوب أو الطريقة يعتمد كلية علي تقويم شامل واعادة اجراء الخطوات التي نتجت عنها هذه الموضوعات .

وفي الحقيقة فإن كل طرق البحث العلمي يمكن النظر اليها علي أنها اتفاقيات ثقافية دقيقة نسبيا يتم عن طريقها انتاج وتحويل ونقد موضوعات المعرفة المقترحة ولهذا فإن التمركز حول نقد هذه الاتفاقيات يبدو أنه هو المقصود عندما قلنا أن الطريقة أو الأسلوب البحثي تكون الخاصية الاساسية للعلم . لذا فإنها لابد أن تتسم بالوضوح النسبي وعالمية الطريقة واجزاؤها المتعددة بحيث تجعل هناك اتصالا بين العلماء وبعضهم في طريقة تناول موضوعات المعرفة العلمية .

فالطريقة العلمية تسعي من خلال الاحكام والتنظيم الي محو النزعة الفردية للعالم والمشتغلون بالعلم يبتغون دائما أن تكون القضايا ذات الصبغة العلمية (ملاحظة) تصميم امبيريقي ، نظرية ، فرض ، رأي لقبول أو رفض أي فرض علمي) غير منحازة بطريقة أو بأخري كما يجب ألا تكون رؤية شخصية للعالم . ولكنها وجهة نظر عالمية تمثل العالم كما هو في الواقع بغض النظر عن زمان أو مكان الأحداث الملاحظة وبغض النظر عن خصائص الملاحظ . لكن يجب التندية في هذا المقام الي أن " الموضوعية " المطلقة غير ممكنة تماما للكائنات الانسانية الا أنه يمكن القول انها يمكن ان تكون مجرد اتفاق بين العلماء أنفسهم .

ان الطرق العلمية تمثل القواعد التي عن طريقها نصل الي اتفاق عن صورة العالم المحيط بنا فالتحكم في العمليات العلمية يمحو وجهة النظر الفردية من خلال وضع قواعد للنقد الموضوعي وللمناقشة والاتفاق حتي نصل الي قدر مقبول من الموضوعية .

وتعتبر قواعد بناء المقاييس واختبار العينات واجراء القياسات والتقديرات القياسية والاستقراء والاستنتاج المنطقي .. الخ هي القواعد الاساسية لنقد أو رفض أو قبول موضوعات علمية ولهذا فان النقد لايكون موجها بصورة اساسية تجاه ماذا يقول هذا الموضوع أو ذاك ولكن تجاه الطريقة التي عن طريقها نتج هذا الموضوع .

ويلاحظ أنه في القضايا العلمية كان التركيز أساسا علي الآثار الملاحظة

للقضايا موضوع الدراسة ومدي ارتباطها بالعلم وذلك أكثر من التركيز علي عمل اتفاقات منهجية . فهناك تنافس بين عنصرين من عناصر المعرفة هي نتائج الملاحظة والمنهج المستخدم ، لذا فإن الفاصل يكون علي اساس الاعتماد علي القدرات النسبية لإنتاج وتنظيم التنبؤ بملاحظات جديدة . ولهذا قال بوبر :

" سوف أصرح مؤكدا علي أن أي نظام يكون علميا أو امبيريقيا فقط اذا كان قابلا للاختبار عن طريق الخبرة ... انه من الممكن أن نرفض أي نظام علمي أو امبيريقي استنادا الي الخبرة ".

فإذا افترضنا أن الملاحظة مستقلة نسبيا عن الملاحظ . مع العلم أن الملاحظة تتحدد بدرجة كبيرة أو صغيرة بواسطة الفرد الملاحظ . فإن ظاهرة الاعتماد علي الملاحظة يمكن أن تحقق نفس الهدف الذي تحققه الطريقة . لكن مع ذلك يبقي أن الاعتماد علي الطريقة يقضي علي الانحياز الفردي أو يحد منه نظرا لأنه يرجع النتائج المتحصل عليها الي اتفاق مجمع عليه .

وأخيرا يمكن القول أن الملاحظة تسعي الي علاج الانحياز المجمع عليه ، لذا فإن الاسلوب العلمي لاختبار القضايا المتعلقة بعالم الخبرة الانسانية يبدو أنه يعتمد علي نوعين من القواعد هما الطرق وأصلها الاجماع الانساني والملاحظة والتي تعتبر غير انسانية وغير مصطلح عليها (اجتماعية) . استنادا الي هذين الاساسين يعارض العلم الانحيازات الفرية لمارسيه .؟

وفي النهاية :

وبهذه المقارنة المختصرة بين طرق الوصول الي المعرفة واختبارها يجب أن نذكر أنه لا الطريقة العلمية ولا التسلطية ولا الروحية ولا العقلية المنطقية تلغي أي من الطرق الاخري . بمعني أن الأسلوب النموذجي يشمل بعض الملاحظة العلمية ، وبعض التوثيق ، والحواش التسلطية ، وبعض الطقوس الدينية ، وبعض الاستقراء والاستنتاج المنطقي العقلي .

واخيرا فإن حقيقة موضوعية مميزة مكتشفة عن طريق الطريقة الروحية أو التسلطية أو المنطقية العقلية تعني أنها ليست أقل صدقا من نفس الحقيقة المكتشفة بواسطة الوسائل العلمية . ان الثقة في أي حقيقة سوف تتباين فقط باعتمادها علي أي الوسائل التي تم اتخاذها لقبول هذه الحقيقة .

الفصل الثانــي

عناصر العملية العلمية

الفصل الثانى

عناصر العملية العلمية

يمكن وصف العملية العلمية من خلال خمسة عمليات أساسية يرتبطون ببعضهم البعض من خلال ستة فئات من الطرق المنهجية المختلفة . بمعني أن التحول من عملية الي عملية أخري محكوم بطرق منهجية معينة تتناول نوع معين من القياس يحكم هذا التحول والعمليات الرئيسية أو الأجزاء الرئيسية التي تشكل البناء العلمي هي :

١ - الملاحظة Observation .

٢ - التعميمات التجريبية Emperical Generalization .

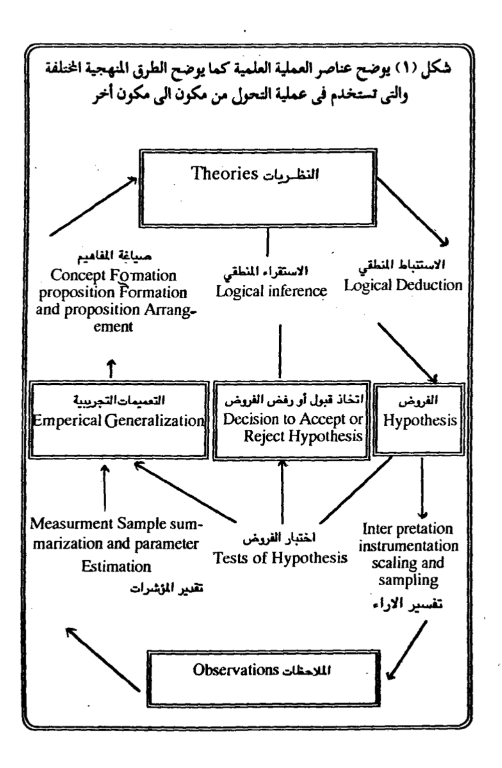
٣ - الفروض Hypothesis .

٤ - النظريات Theories .

٥ - قبول أو رفض الفروض Decisions of Accept or Reject Hypothesis .

فالملاحظات الفردية ذات النوعية الواحدة يمكن توحيدها مع بعضها وتحويلها الي التعميمات التجريبية بواسطة احدي الطرق المنهجية مثل القياس والتلخيص البسيط والتقدير البارامتري ويمكن تحويل التعميمات التجريبية الي نظريات باستخدام الاستقراء المنطقي . ويمكن تحويل الفروض الي مجموعة من

الملاحظات باستخدام الأساليب الاجرائية ويتضح ذلك من الشكل التالي والذي يتميز بأنه يقدم طرق جديدة لاختبار صحة مجموعة من الفروض حيث يقدم لنا معارف جديدة وباستخدام احدي طرق البحث وهي الاستنتاج المنطقي يمكن قبول أو رفض أو تعديل نظرية ما .



شكل (١) يوضح عناصر العملية العلمية كما يوضح الطرق المنهجية المختلفة والتى تستخدم فى عملية التحول من مكون الى مكون أخر

من مميزات الطريقة الموضحة في الشكل السابق أنه ينتج عنها مخرجات معرفية جديدة يمكن اختيار أو قبول المقترضات حيث يترتب علي ذلك قبول النظرية أو رفضها أو عمل تعديل فيها من خلال الاستنتاج المنطقي .

وهناك عدة ملاحظات يجدر التنويه اليها بخصوص العملية المعرفية والتحولات من وحدة منها الي وحدة أخري وهذه الملاحظات هي :

١ – العملية عادة تقع بسرعة أو ببطء .

٢ – أحيانا ما تقع عملية التحول بدرجة عالية من الدقة وأحيانا ماتقع بطريقة ذاتية .

٣ – احيانا ماتحدث عملية التحول من خلال التفاعل بين مجموعة من العلماء في ادوار مميزة قبل بدء بحث ، مسبتين ، منهجي ضد عينات اخصائي واحيانا ما تتم من خلال مجهودات عالم واحد .

٤ – أحيانا ما تحدث عملية التحول من خلال عالم واحيانا من تخيل حقيقي وبعبارة أخري فإن هذه العملية المنظمة لايمكن أن تكون منفصلة عن التخيل الفردي.

إن التحول من عملية معرفية الي عملية اخري يشمل سلسلة من المحاولات واحيانا ما يوجد بهذه السلسلة بعض التخيلات . بمعني أن التحول من صورة الي صورة أخري تكون في عقل العالم . ان الحس أو التأمل الذكي أو الأدوات المفيدة تفيد بدرجة كبيرة في عملية التأمل .

ولكي يتوفر القبول الاجماعي والاجتماعي لصدق القضايا بواسطة المجتمع العلمي لابد وأن يبني صدق هذه القضايا علي الحقائق الواقعة وليس علي أساس التخيلات ، ولعل هذا يتطلب زيادة الدور المتخصص للعلماء .

كما وأنه ليس من المحتم أن تمر كل عملية علمية بنفس الخطوات الموضحة بالشكل السابق ، لكن مع ذلك يمكن ان يحدث هذا فلو كنا نشكل فرض علمي ناتج من نظرية يمكن أن يكون هذا الفرض غامض أو غير محدد أو غير صحيح منطقيا أو غير مختبر أو بطريقة أخري غير مقبول ولذلك يمكن أن يجري عليه مجموعة من التعديلات قبل البناء المقبول وتحويله الي شكل مقبول وقد يترتب علي هذا التعديل أن تعدل النظرية الأصلية .

كذلك ونحن نتكلم عن الشكل رقم (١) فإن عملية بناء الفرض وتحويله الي ملاحظة يمر بمحاولات تفسير متعددة ومحاولات قياسية متعددة الي الحد الذي يمكن فيه اختراع قياسات جديدة أو اختيار بدائل جديدة من القياسات ويمكن كذلك أن يحدث اختيار لعينات جديدة .

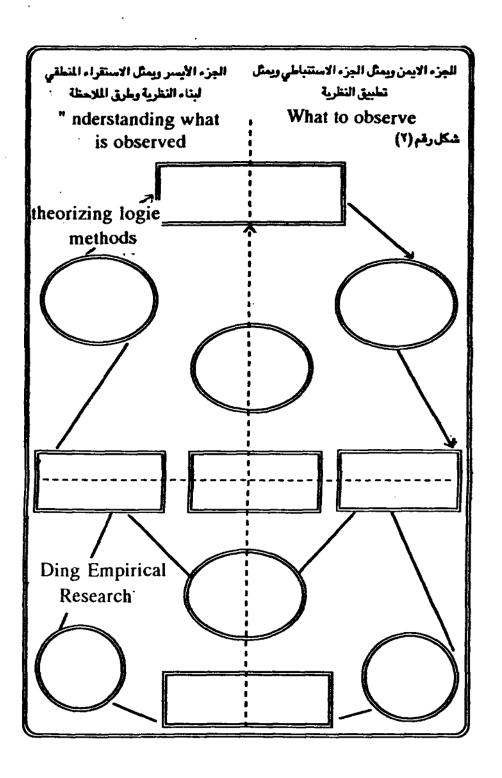
ان كل محاولة في العملية العلمية يجري لها اختبارات مبدأية ودراسات استطلاعية ونتصور عمل ملاحظات جديدة وغالبا ما تقوم بعملها وصنعها في الواقع والباحث يقوم بالحكم ليس فقط علي درجة إرتباط الملاحظات بالفرض والتعميمات الامبيريقية التي يمكن أن تحدث ولكن أيضا بدرجة الفرض ، واذا سلمنا بالملاحظات والتعميمات التي يمكن أن يقوم بها يستطيع أن نحكم علي درجة ملائمة الطرق البحثية ، إن الاختراع والمحاولة محاولة وضع قياس جديد وأدوات جديدة للقياس واختبار العينة والتكنيك الآلي المستخدم يمكن أن تنتج من خلال عملية الاستنباط فروضا جديدة .

وبالرغم من ظهور بعض التأثيرات العكسية التي يمكن أن نراها في كل عملية معرفية في الشكل رقم (١) الا أن اتجاهات العملية العلمية المؤثرة والمسيطرة تظل كما هي علي الرغم من وجود هذه التأثيرات .

لكن في رأي رايت ميلز Wright Mills أن أي عنصر علمي يمكن أن يختلف بصورة واسعة في درجة تشكيله وتكامله مع العناصر الاخري . ولقد ناقش ميلز الاشكال الاخري للعملية العلمية حيث قال أنها ليست محددة وثابتة لكنها يمكن أن تتغير بسيطرة مفهوم معين حيث أن المفهوم يمكن أن يتغير من نظرية الي اخري . كما وأن علاقة طرق البحث بالفروض والملاحظات والتعميمات التجريبية يمكن ان تكون مطلقة ، فالعلاقة بين النظرية والمفترضات والملاحظة والتعميمات لايمكن أن تكون ثابتة .

ويتضح ذلك من الاختلاف بين هذه المكونات واختلاف مجال أو نوع الدراسة سواء أكانت دراسات استكشافية أو سببية ، فالملاحظ أن العلاقة بين المكونات تختلف في الدراسات الاستكشافية التي لاتهتم بإختبار صحة الفروض مقارنة بالدراسات السببية التي تهدف الي اختبار صحة الفروض حيث يظهر في الدراسات السببية اهمية تكامل المكونات السابقة وتضامرها مع بعضها البعض اثناء عملية التحول المعرفي ومن هنا نلاحظ اهمية هذه الدراسات السببية . وتعتبر الدراسات التي تركز علي اختبار صحة الفروض أكثر وضوحا وبناءا وتكاملا حيث أنها تكون موضوعة علي أسس متكاملة في كل عناصر العملية العلمية .

ومن خلال وصفنا السابق لعناصر العملية العلمية يبدو أنه من المفيد أن نعرف أن العلماء الاجتماعيون والعلماء بصفة عامة يشيرون ببساطة الي النظرية وبناء النظرية والبحث التجريبي كمقومات أساسية للعلم فماهي العلاقة بين هذه المصطلحات المعتادة للعناصر التي تناولناها في الاجزاء السابقة .


الجزء الأيسر ويمثل الاستقراء المنطقي لبناء النظرية وطرق الملاحظة
الجزء الايمن ويمثل الجزء الاستنباطي ويمثل تطبيق النظرية
" nderstanding what is observed
What to observe
شكل رقم (٢)
theorizing logie methods
Ding Empirical Research

يلاحظ من شكل رقم (٢) يجيب علي السؤال السابق باقتراح أن النصف الموجود علي شمال الشكل يشير الي البناء الاستقرائي للنظرية وفهم الملاحظة ، بينما يشير النصف الايمن بماذا نعني بالاستنباط والتطبيق من النظرية ومعرفة الملاحظات .

وكما ذكرنا في شكل رقم (١) فإن الجزء يشير الي عملية التنظر بواسطة استخدام المنطق الاستقرائي والمنطق الاستنباطي أو ما يطلق عليه الاستنباط المنطقي بينما يشير الجزء الأسفل ويمثل البحث التجريبي باستخدام مايطلق عليه بطرق البحث .

هذه التفسيرات المتعددة لأجزاء العملية العلمية يجب أن تكون واضحة من خلال الشكل رقم (٢) والتي تقترح تقسيم العملية العلمية الي اقسام متعددة .

ملاحظة أخري يمكن الخروج بها من شكل رقم (٢) وهو أنه من خلال المكونات الخمسة الاساسية والست محددات يتضح أنه قد يحدث تداخل بينهما من خلال عوامل الضبط التي تم ذكرها والتي قد تلعب أدوارا مزدوجة في العملية العلمية . وهناك أهمية خاصة للخط الأفقي الموجود في المنتصف حيث يوضح هذا الخط العلاقة الاتصالية بين الفروض والتعميمات التجريبية . وهذا الخط يعتمد علي الاستنباط والاستقراء من العمل العلمي وهذين الجزئين أساسيين لبناء وتطبيق النظرية ، ولهذا فإن قرارات قبول أو رفض صور الفروض تعتبر قنطرة بين بناء وتطبيق النظرية وأيضا بين عملية التنظير وعملية البحث التجريبي .

ايضاح مبني علي تفسير ظاهرة الانتحار عند دور كايم An Illustration Based on Dukheim's: Suicide. العمليات التي تكلمنا عنها سابقا كانت عمليات مجردة . ولهذا سنأخذ دراسة دور كايم المشهورة عن الانتحار والتي نشرت عام ١٨٩٧ حتي يمكن أن نصل الي احساس عام عن العمليات التي نتحدث عنها .

وما يهمنا في هذا العرض هي تكوين رأي معين تجاه هذه الدراسة وكذا ليس لدينا في هذا المجال أية اهتمامات بالقضايا العلاقية التي توصل اليها دور كايم وعما اذا كانت صحيحة أم خاطئة (أي لايهمنا اذا كانت دراسة ظاهرة الانتحار صادقة امبيريقيا أم لا) ولكن الاهتمام ينصب بصورة اساسية بتلك القضايا التي تم عرضها في الشكل رقم (١) ولذا مايهمنا هو تطبيق ظاهرة الانتحار علي هذا الشكل .

نفترض ان عالما معينا اصبح مهتما بالاجابة والشرح عن سؤال معين هو لماذا ترتفع معدلات الانتحار عند بعض الناس عنها عند البعض الآخر ، مثل هذا الاهتمام يكون ناتجا عن نظرية سابقة ومفترضات (ولقد اشار دور كايم في مقدمة كتابة الانتحار الي ان اهتمامه نتج عن ملاحظات سابقة).

والخطوة الاولي لقبول بحث مزد مايجب ان يكون من خلال تفسير مفهوم الانتحار علي ضوء اقامة الملاحظات . ولهذا لابد من اختيار أو بناء مقاييس لكي تطبق في عملية الملاحظة ، ولتكن مثلا المقاييس النسبية في العدد المقاييس الاسمية

المرتبطة بالدين ، والجنس ، ... الخ

الملاحظة عند دور كايم :

بعد ذلك بدأ في تحديد الادوات التي يجب ان يستخدمها في الملاحظة ، ولقد اعتمد دور كايم علي وثائق رسمية اختارها كملاحظات مسجلة وصحيحة عن الانتحار وكذلك عن الاعمال المنشورة بواسطة الاخرين وبالنسبة لاجراءات اختيار العينة .

فلقد قام بتوضيحها حيث تمت خلال بعض السنوات في القرن التاسع عشر في وحدات جغرافية وسياسية مختلفة في اوربا بواسطة اشخاص في فئات عمرية محددة وذوي اجناس معينة .

وفي النهاية وبالمطابقة مع القرارات المنهجية فلقد قام بجمع مجموعة من الملاحظات الفردية وهذه الملاحظات قيست بالمقاييس الملائمة في شكل مدي ، متوسطات ، مجموع ، خرائط ، جداول ، اشكال وغيرها ، وهذه كلها تشير فقط الي الملاحظات التي تلاحظ في العينات الواقعية ، فالتقرير يتم للعينة الحقيقية .

في ضوء هذه النقطة فان الملاحظات التي جمعها لخصها في العبارة التالية :

" الانتحار يتباين بين الكاثوليك والبروتستانت " .

أما بالنسبة للتعميم التجريبي فهو " معدل الانتحار بين البروتستانت أكبر من الكاثوليك " ، ثم بعد ذلك يبدأ التحول الامبيريقي الي نظرية وهو يشمل أربع

خطوات عقلية .

١ - شكل المفهوم الذي يوضح أو يحدد أو يشير الي بعض الخصائص التي تتم بدرجات مختلفة بالعينة المرتبطة بالدين والعينات الاخري التي لم تفحص والعينة الدينية التي تم فحصها والعينة الدينية التي لم تفحص ومن المنطقي أن هذه المجموعات قد يحدث بينهم تباين في معدلات الانتحار .

٢ - تشكيل مفهوم يشير لبعض الخصائص التي توضح أن معدلات الانتحار لها علاقة مع المعدلات المقصورة علي اعتبار أن هذه المعدلات من الممكن أن تكون نتائج منطقية أو سببية . الانتحار هو (المشروح) .

٣ - تشكيل العبارات العلاقية بين الظاهرة المطلوب شرحها والظاهرة المفسرة أو الشارحة من خلال ارتباط علاقي واضح كما سبق توضيحه في التصميم التجريبي .

٤ - تشكيل مجموعة من القضايا تكون الظاهرة المشروحة مشتركة أو أن الظاهرة الشارحة هي المشتركة وتنظيمهم بطريقة يمكن منها استنتاج الفروض واختبارها .

ويمكن ايضاح ذلك في الاتي :

Statment I

" معدلات الانتحار تتباين عكسيا مع درجة الترابط الاجتماعي للأفراد" . وهنا

نجد أن الارتباط الديني أو التماسك الديني يعتبر العامل المستقل في التعميم الامبيريقي الاصلي

Statment II

" أفعال الاضطراب الشخصي تتباين عكسيا مع درجة الترابط الاجتماعي ".

هذه الخطوة ينتج عنها قضية بطريقة جديدة هي .

Statment III

" التماسك الاجتماعي للأفراد يسبب في مداه العكسي أفعال الاضطراب الشخصي » هنا يتضح أن المشروح والشارح يكونان مرتبطين كسبب وكنتيجة

والخطوات التالية لمعالجة المعارف هو الاشتقاق أو الاستنباط المنطقي للفروض من النظرية فمثلا بفرض أن النظرية صحيحة وبإفتراض أن الافراد غير المتزوجين يظهرون درجة أقل من الترابط الاجتماعي بمقارنتهم بالافراد المتزوجين فإنه بناءا علي ذلك فمن المتوقع أن نجد أن معدل انتحار الافراد غير المتزوجين أعلي منه بالنسبة للأفراد المتزوجين

ولاختبار صحة هذا الفرض فإنه يلزم معالجته من خلال الأساليب الاجرائية حتي يمكن أن تحول الي ملاحظات وتحول هذه الملاحظات بعد ذلك الي تعميمات تجريبية من خلال القياس ثم بعد ذلك يتم ربطها بالنظرية من خلال الاستقراء المنطقي ، وهكذا يتم الدوران حول الدائرة والانتقال من مكون الي مكون أخر .

واذا كانت الطرق البحثية تخدم كمحددات ووسائل نحو بناء العلم الا أنه يمكن القول أن النظريات تعتبر أكثر المكونات الخمسة قوة اخبارية ونعني بهذا أن الملاحظات الفردية يمكن أن تحتوي كمية ضئيلة جدا من المعلومات عن ظاهرة معينة كما أن التعميمات التجريبية والفروض لديهم كمية متوسطة من المعلومات عن هذه الظاهرة . ولكن النظرية حيث انها مركبة من عدة تعميمات تجريبية وحيث أن كل تعميم تجريبي مكون من عدة ملاحظات مختلفة ، فإنه من المتوقع أن تحتوي أكبر كمية ممكنة من المعلومات ، وهذا لايعني بالطبع أن جميع النظريات لديها نفس القوة الاخبارية ولكن يمكن القول أن النظرية التي جاءت من استقراء ثلاث تعميمات تجريبية ستكون أكثر قوة اخبارية من تلك التي جاءت من تصميمين وهكذا .

وعموما فانه يتضح من الاشكال السابقة أن النظرية يمكن أن تقوم بدورين حيويين هما :

١ - تحدد النظرية العوامل التي يمكن للفرد أن يعيشها قبل اجراء البحث أي قبل صياغة الفروض وعمل الملاحظات

٢ - بعد انتهاء البحث تخدم النظرية كلغة مشتركة في تسهيل ترجمة النتائج (وهي التعميمات التجريبية) لأغراض المقارنة والترابط المنطقي مع نتائج البحوث الاخرى .

الفصل الثالث

أهمية المعرفة العلمية وخصائصها

الفصل الثالث

اهمية المعرفة العلمية وخصائصها

مقدمة :

يتكون البناء المعرفي العلمي من مجموعة من المفاهيم والعبارات التي يعتبرها العلماء مفيدة لتحقيق الهدف والفرض من العلم . ويستهدف هذا الفصل شرح الأنوا ع المختلفة من المفاهيم والعبارات والتي يكون الهيكل البنائي للمعرفة العلمية في الصور الملائمة التي يتقبلها المجتمع العلمي . وسيتم أولا تناول أهمية المعرفة العلمية ثم سنتبع ذلك بتناول الخصائص المرغوبة لتلك المعرفة .

أولا : أهمية المعرفة العلمية أو اغراض العلم :

الي أي مدي يجب أن تكون المعرفة العلمية مفيدة .

For what should scientific knowledge Be useful.

هناك مقولة تري أنه بينما المعرفة العلمية هي النظام الاساسي للشرح والوصف والتفسير ، الا أنه ليس بالضرورة أن كل شيء يمكن أن يفسر من خلال العلم . فهناك اسئلة يمكن الاجابة عليها من خلال المعرفة العلمية مثل : كيف يؤثر القمر علي الأرض ؟ ، أو ماهي التغيرات التي تحدث للفرد في النظام الاجتماعي ؟

وهناك اسئلة اخري فوق طاقة العلم وحدوده مثل لماذا يوجد القمر ؟ أو لماذا هناك حياة ؟ فهذه الاسئلة فلسفية لايمكن الاجابة عليها من خلال التجربة العلمية .

ولهذا السبب فان هذا الفصل سيركز علي القضايا المرتبطة بسبب حدوث الاشياء وليس عن سبب وجودها .

وبافتراض أن العلماء قد استكملوا البناء المعرفي العلمي المصمم لوصف الاشياء وشرح أسباب وقوع الاحداث التي لم تحدث في الحال وتحديد المعرفة المفيدة فإننا سنجد أن معظم الناس تحتاج للمعرفة العلمية للأغراض الآتية :

١ - أنها طريقة لتنظيم وترتيب الاشياء وفقا لأنماطها .

٢ - التنبؤ بأحداث المستقبل .

٣ - تفسير الأحداث الماضية .

٤ - اعطاء رؤية فاحصة عن سبب وقوع الأحداث .

٥ - امكانية السيطرة علي الأحداث .

وسنتناول في الآتي أهمية المعرفة العلمية .

١ - التنظيم أو التصنيف (التنميط) Typologies

من كل الاغراض السابقة فإن سهولة الانجاز يأتي في المقدمة حيث نفي ذلك تنظيم ووصف الاشياء حسب الخصائص المختلفة لها وتوجد وسائل كثيرة لإجراء هذا التنظيم أو التصنيف ولذا تظهر مشكلة التفضيل بين تلك الوسائل المستخدمة .

فعلي سبيل المثال يمكن تصنيف الصخور وفقا للونها وحجمها وأوزانها وقوتها .. الخ أو تبعا لأي خصائص أخري وكذلك الافراد يمكن ترتيبهم وفقا للون والحجم

والوزن ... الخ أي النواحي الفيزيقية . والأنظمة الاجتماعية أيضا يمكن تصنيفها وفقا لحجمها وقوتها وعلاقة الأعضاء بالنظام وشكل التنظيمات الداخلية ... الخ وهكذا .

وحيث أن هناك كما أوضحنا عدة طرق لتنظيم وترتيب الظواهر أو الأشياء فإن المشكلة تصبح في تحديد تلك التصنيفات التي تكون أكثر فائدة .

وهذا يقودنا الي القضية الأساسية والتي تدور حول تساؤل رئيس هو ماهي المعايير التي يجب أن تستخدم لتقييم هذه الأنماط المعينة ؟ ومن أكثر المعايير وضوحا لمدي اتقان تطبيق نمط الظاهرة مع النتيجة نجد أن هناك معياران .

أ- الإستيعاب Exhaustireness : وتعني انه من بين كل الأشـيـاء التي صنفت أو رتبت لايمكن أن يوجد شيء ليس له مكان في المشروع.

ب – الفهم المتبادل Multitude exhaust: بمعني أنه لايوجد غموض في أي شيء من الخصائص التي تم تناولها وترتيبها في المشروع .

وهناك معيار ثالث ربما يكون أهم هذه المعايير علي الاطلاق ألا وهو أن الفروض التي تم تناولها يجب أن يكون هناك بينها تناسق وكذا بينها وبين المفاهيم المستخدمة في العبارات .

٢ – التفسير والتنبؤ Explanation & Prediction :

وتعني تفسير الحوادث التي وقعت في الماضي وتوقع الاحداث التي يمكن أن

تقع في المستقبل فعلي سبيل المثال .

أ - عند تثبيت حجم غاز معين فإن أي زيادة في درجة الحرارة سيؤدي الي زيادة في الضغط . أي أنه تحت ظروف معينة فإن تغير عامل واحد (درجة الحرارة) يؤدي الي تغير عوامل أخري (الضغط) .

ب - اذا كان معدل التغير في حجم العضوية في المنظمة ثابتا فإن أي زيادة في الحجم التنظمي سيتبعها تغير وزيادة في التشكيل .

فكلتا العبارتين لهما نفس الشكل بمعني انه اذا حدث تغير في متغير واحد يتبعه تغير في المتغير الآخر تحت ظروف معينة .

٣ - حاسة الفهم (الفهم الواضح) : Sense of understanding

حيث تعتبر حاسة الفهم أو الفهم الواضح من أكثر أهداف المعرفة العلمية وذلك راجع في الاساس الي صعوبة تحقيقها ومناقشتها . والفهم الواضح أو حاسة الفهم يمكن أن تتحقق من خلال الوصف الكامل للعلاقة السببية التي تربط بين المتغيرات لمفهوم أو أكثر (المتغيرات المستقلة) مع المتغيرات لمفاهيم أخري (المتغيرات التابعة) . فعندما يشعر شخص بغموض أو عدم التاكد نحو تفسير فهذا يرجع الي اغفال وصف بعض من تلك الروابط .

وتمتاز ميكانيكية السببية كأحد وسائل فهم الأحداث عن الطريقة الاخري وهي القوانين في أن السببية توفر حاسة الفهم بدرجة اكبر من القوانين .

ففي المثال السابق المتعلق بتغير الغاز والمنظمات فمن المنطقي أن عباراته قد استخدمت من التجارب المعملية التي اجريت تحت ظروف معينة ومعروفة وعندما تأكد العلماء من صدق تلك العبارات أطلقوا عليها القوانين .

٤ - الضبط أو التحكم Control:

في الحقيقة فإنه اذا ماتم اعتبار القدرة علي التحكم في الأحداث خاصية من خواص المعرفة العلمية فإنه قد يتم استبعاد شق كبير من المادة الموضوعية للعلم .

وعلي سبيل المثال فإن كل من الفلكي والجيولوجي قد يمكن اعتبارهم في بعض الاحيان من الفلاسفة ، فمع أنه توجد الكثير من التصنيفات والعبارات المفيدة والتي تحقق الشرح والتغير والتنبؤ والفهم الواضح الا انه وفي بعض الاحيان يكون تحكم الفلكي أو الجيولوجي في الظواهر التي يدرسها صعبا للغاية ان لم يكن من المستحيلات . فمثلا توقع أن يسيطر الفلكيين علي احداث في النظام الشمسي مثل الكسوف والخسوف ، أو سيطرة الجيولوجي علي الاحداث المتعلقة بالارض والزلازل الارضية يفوق حاليا قدراتهم .

فالقضية هنا تتعلق بكيفية الفهم وكيف أن المتغيرات الحقيقية تؤثر في الاخري وكيف أن لها القدرة علي تفسيرها من أجل السيطرة علي الاحداث وصولا للتنبؤ .

وليس هناك من سبب واضح يجعلنا نعتقد أن بعض الظواهر الاجتماعية مثل خصائص البناء والحراك الاجتماعي ، أو النظام الاقتصادي من الصعب التحكم فيها كما يحدث في الزلازل الأرضية أو كسوف الشمس حيث يعتقد العلماء

الاجتماعيين بقدرتهم علي التصنيف والتفسير والتنبؤ والفهم من خلال نظرياتهم

النظـــرية Theory:

هناك أكثر من مفهـوم لما تعنيه النظرية ورغم أن بعض تلك المفاهيم العلمية سيناقش في فصل مستقل الا أن هناك بعض الملاحظات التي يمكن تناولها ومنها :

- الأولى :

تشير الي النظرية علي أنها مجموعة من التعميمات المدعمة والأكيدة أومجموعة من القوانين .

- والثانية : .

تشير الي مفهوم النظرية العلمية كمجموعة مترابطة من التعريفات والبديهات †axiomsوالقضايا proposition قد أقتبست من المفاهيم الرياضية للنظرية ويطلق عليها البعض الشكل البديهي للنظرية .

ورغبة في الحصول علي فهم واضح أثناء وصف العلمليات فإنه يبدو حينئذ أن هناك مفهوم ثالث للنظرية يتمثل في التوصل الي مجموعة من الأسباب يمكن اعتبارها العمليات المسببة The Causal Process " لشكل النظرية " ويطلق عليه البعض الشكل السببي للنظرية .

ويلاحظ أن مجموعة العبارات في الشكل البديهي قد تفسر اسباب العمليات

ولكن هذا ليس بصورة دائمة اذا ما قارناه بالشكل السببي للنظرية

وتستخدم كلمة نظرية Theoryكثيرا وهذا خطأ فادح للدلالة علي عدد من الأنوا ع الاخري من الاشكال المجردة وتتضمن .

١ - الاشياء أو الاحداث أو الاوصاف أو المفاهيم الغامضة .

٢ - معرفة ووصف ماهية السلوك الاجتماعي المرغوب .

٣ - أي فروض أو أفكار لم يتم اختبارها .

كيفية اعتبار المفهوم أو العبارات العلاقية جزء من المعرفة العلمية .

How does Aconcept or statement Become part of ascien-tific body of Know Ledge ?

بصفة عامة تتزايد درجة قبول المفهوم أو الفكرة كجزء من المعرفة العلمية بشروط :

١ - عندما يصبح كل عالم علي ثقة كبيرة بأن المفهوم أو الفكرة أكثر فائدة للأهداف العلمية .

٢ - أن تعتبر مجموعة من العلماء أن المفهوم أو الفكرة تحقق مزيد من الاهداف العلمية .

ويلاحظ أن الأفكار لاتقبل أو ترفض سواء كانت علمية أو غير علمية بصورة طلقة ولكن تختلف في درجة تقبلها . وعلي الرغم أن هذه هي الطريقة الشائعة

والمناسبة لعمليات قبول المفاهيم والأفكار العلمية . الا أنه وفي الواقع فإن الثقة الواسعة في النظرية تكون عالية بدرجة يمكن اعتبارها حقيقة اذا ما توافر لها الشرطان السابقان حيث أن أي شيء يخالف الحقيقة يعتبر خطأ .

وهناك عاملان يؤثران في اتجاه العلماء نحو المفهوم أو العبارة وهما :

أ - مدي فهم العلماء لمعني العبارة أو المفهوم .

ب - اقتناع العلماء بأن المفهوم أو العبارة يفيد في تحقيق الأغراض العلمية .

وبصفة عامة يتوقف العامل الثاني علي مدي التوافق والاستجابة بين المفهوم وبين النتائج المتحصل عليها من البحث الامبيريقي (التجريبي) ، وترجع هذه الاهمية الرئيسية للبحث التجريبي في تأثيره علي درجة الثقة لدي العلماء للإهتمام ببعض اشكال المعرفة العلمية . وهذه الحقيقة لها أهمية كبري لكي تجد المفاهيم والعبارات العلاقية مكانا لها في مجال بناء المعرفة العلمية ويجب أن يتوافر طريقة لمقارنة النتائج المتحصل عليها من خلال التجربة البحثية .

واذا لم يمكن مقارنة مفهوم معين أو فكرة معينة بتجربة بحثية فان هذا لايشجع العلماء علي اعتبارها مفيدة للأهداف العلمية . فعدم القدرة علي اختبار الفكرة تعني أن العلماء ينظرون فقط الي الظواهر وليس للمعرفة التي يمكن أن يشترك فيها كل العلماء .

وعلي كل يمكن القول أن المعرفة العلمية المقبولة لدي جماعة من الأفراد ، أما النظرة أو الرؤية الفردية فلايمكن اعتبارها معرفة علمية .

ومن أهم المناقشات الحاضرة هي في كيفية تحديد العلماء لموضوع فهم أو عدم فهم معني العبارة أو المفهوم ففي مثل هذه المواقف من حالة عدم التأكد يقوم الأفراد بإختبار إدعاءاتهم وتفسيراتهم بتفسيرات أخري لعلماء آخرين ، فإذا كان هناك عدم اتفاق بين العلماء حينئذ لايمكن لأي عالم من التأكد من حصوله علي الفهم الكامل لمعني المفهوم أو العبارة .

وترجع الأهمية للاتفاق علي معاني المفاهيم والعبارات العلمية الي وضع البدائل في الاعتبار

فأولا :

اذا لم تكن هناك مشاركة في الاتفاق علي المعني فإن المعرفة العلمية لايمكن نقلها من جيل من العلماء الي جيل آخر . ففي هذه الحالة فإن كل عالم سيضطر الي بناء هيكل المعرفة العلمية من نفس نقطة البداية وسيصبح من المستحيل تكوين شكل مفيد من المعرفة العلمية تحت هذه الظروف .

وثانيا :

اذا اعتبرت المعرفة العلمية بأنها المعرفة التي يتفق عليها العلماء علي أنها مفيدة لتحقيق الاهداف العلمية ففي هذه الحالة فإن المعرفة العلمية من المستحيل أن تكون كذلك مالم يكن هناك اتفاق علي معاني المفاهيم والعبارات العلاقية ، فإذا لم يكن هناك اتفاق علي المعاني فكيف يكون هناك اتفاق علي الاستفادة من أهمية كونها معرفة والتي تتمثل في التنظيم والتفسير والتنبؤ والفهم الواضح .

وتحت مثل هذه الظروف تتطور المعرفة من خلال العلماء المتخصصين بصفة عامة وذلك نتيجة المعرفة اليومية للأحداث بحيث تصبح جزء من الفلسفة الشخصية للعلماء نحو العالم وبحيث لايكون هناك اختلاف حيال تلك المعرفة بالنسبة لغير العلماء.

والخلاصة :

اذا كانت المعرفة العلمية هي المعرفة التي يتفق عليها العلماء بأنها المعرفة التي تفيد في تحقيق الأهداف العلمية ، فلابد من اتفاق العلماء علي فهم معني المفاهيم والعبارات العلمية التي تعبر عن المعرفة العلمية ، كما يجب أيضا أن يكون لدي أي عالم امكانية مقارنة بعض اشكال نظريته مع البحث الامبيريقي (التجريبي) .

الخصائص المرغوبة فى المعرفة العلمية :

Desirable Chara cteristics of Scientific Knowledge .

يمكن بيان الخصائص المرغوبة والمطلوبة في المعرفة العلمية كما يلي :

١ - التجريـــدات Abstractness :

وتعني استقلال المعرفة العلمية عن كل من الزمان والمكان .

٢ - الموضوعية (وحدة الفهم) Intersubjectivity :

وتعني الاتفاق علي المعني بين مختلف العلماء .

٣ - المطابقة التجريبية Empiricacl Relevance

حيث يمكن المقارنة بنتائج تجربة أخرى

وسيتم في الآتي مناقشة تلك الخصائص المرغوبة

١ - التجريــــدات Abstractness

تعني كلمة التجريد في أبسط معانيها أن المفهوم مستقل عن المكان والزمان المحدد ويمعني آخر فإن المفهوم غير مرتبط بزمن معلوم (زمن وتاريخ) أو مكان محدد (موقع)

أما عن سبب أهمية استخدام تلك المفاهيم في العلم بصورة مجردة ومختصرة فهناك سببيان لذلك

الأول

يرتبط بالغرض الذي من أجله تقدم المعرفة العلمية

أما السبب الآخر فيتعلق بشكل ونص المعرفه العلمية

وباعتبار المعرفة العلمية تعمل علي التنبؤ بالمستقبل ، الا ان عبارات المفاهيم المستخدمة في التنبؤ لاتكون مستقلة الزمن التاريخي فإذا ما أفترض ان أهم قواعد الثقة في العبارات العلمية تكمن في استجاباتها للنتائج التجريبية فإن أي عبارة متعلقة بالزمن الحاضر يجب أن تخص الزمن الماضي ، فإذا كانت العبارة ليست لها صلة بالماضي حينئذ لايمكن تطبيقها في المستقبل

وباختصار فإن أي عبارة علمية مدعمة بالبحث وترتبط بالزمن الماضي ولايمكنها التنبؤ بالمستقبل فإن تلك العبارات لاتكون مفيدة في تحقيق أهداف العلم وهو التنبؤ بالمستقبل .

أما السبب الثاني : من متطلبه الحاجة الي التجريد الكفاءة ، فإذا ما تطور المفهوم العلمي أو العبارة وتحدد بمكان أو موقع ، حينئذ لايمكن استخدامه للتنبؤ والتفسير في أي موقع آخر حيث أن كل موقع معين وثقافة معينة تحتاج الي هيكل من المعرفة العلمية .

وعلي ذلك يمكن القول أن الكفاءة في الاجراءات هي المحدد للفرض العلمي والذي بدونه يكون من الصعوبة معرفتها .

ومع ذلك فهناك من الأحداث ذات الأهمية والتي توجد اعتبارات كثيرة لوصفها دون الرجوع الي الزمان والمكان مثل حوادث الطيران ، والظواهر الجيولوجية وكثير من الأحداث التاريخية التي تقع جميعها تحت هذه الفئة . ففي كل حالة تتحدد الأحداث وفقا للمكان الذي وقع فيه حدث ، والزمن التاريخي الذي تم فيه الحدث

ويطلق علي التفسيرات التي ترتبط بحدث محدد بالتاريخ بالتفسيرات التاريخية . وتفيد معظم التفسيرات التاريخية الواسعة الانتشار في الاهتمام بالحدث . وتقبل المعرفة العلمية الخاصة به . فاذا ما درست هذه المباديء بصورة واضحة فإن نجاح تطبيق الحدث يزيد الثقة في المباديء العامة والمفيدة للمعرفة العلمية .

ومع ذلك فان الكثيرين من المفسرين للأحداث الإنسانية يميلون الي إهمال والغاء

المباديء العامة لبعض الأحداث ويركزون علي الأحداث الهامة

٢ - الموضوعيــة Intersubjectivity

وتنقسم الى

أ - الموضوعية فى المعنى (Intersubjectivity (Meaning :

وتعني الموافقة المشتركة بين الأفراد للإهتمام بـ :

(١) الاحداث أو الظواهر التي يتضمنها المفهوم .

(٢) العلاقة بين المفاهيم المحددة بعبارة واحدة أو أكثر .

ومن السهولة الاتفاق علي الاشتراك في الفهم المشترك للمفهوم فإذا استخدم عالم مصطلح أو مفهوم مثل شجرة ، الكتلة ، الاتجاه ، واذا ما شاركه آخرون في نفس التعريف لتلك الكلمات . حينئذ يكون هناك توافق أو اتفاق علي المفهوم وهذا يحدث أثناء :

(١) محاولات توضيح وتعريف المفاهيم الجديدة .

(٢) التأكد من وجود موافقة مشتركة علي أي مصطلح يستخدم لتعريف مفهوم جديد

ب - الموضوعية فى المنطق (Intersubjectivity (Logical Rigor

هذا المفهوم يتعلق بالعلاقة بين المفاهيم الأكثر تعقيدا . فأي عبارة تشرح علي

الأقل العلاقة بين مفهومين . وبافتراض أن هناك موافقة علي معني مفاهيم معينة فمن المفضل الاخذ في الاعتبار الظروف التي علي اساسها تم الموافقة علي العلاقة بين المفاهيم داخل العبارات وكذلك العلاقة بين العبارات .

وقد تسبب مجموعة العبارات مشكلة بين العلماء في حالة عدم موافقة تلك العبارات أو عدم قدرتها علي التنبؤ والتفسير . أما العبارة الواحدة فلاتوجد مشكلة مترتبة عليها . ولحل هذه المشكلة فإن الأمر يتطلب ايجاد نظام منطقي مستقل في المحتوي والذي يمكن أن يستخدم في العبارة المنفردة كما في حالة العبارات المركبة .

وهناك اتفاق مشترك علي التنبؤ الذي يتم من خلال نظام منطقي مستقل تتضمنه النظرية ، وبمعني آخر فان هذا النظام العقلاني المنطقي يمكن أن يستخدم في نظريات مختلفة تتعامل مع ظواهر مختلفة .

وهناك بديلان أمام العلماء فى التعامل مع النظام المنطقى :

الأول :

حيث يمكن للعلماء تطوير النظام العقلاني لكي يستخدم مع نظرياتهم ثم اعداد هذا النظام ليقوم العلماء الآخرين بدراسته وملاحظته مستقلين عن ماتشتمله النظرية .

ومع ذلك فإن قليل من العلماء من لديهم الرغبة في تطوير انظمتهم المعروفة .

ثانيا :

أن العلماء يمكنهم استخدام نظام معروف قد تم تطويره عن طريق علماء آخرين .

ولحسن الحظ فان هناك أكثر من نظام معروف ومتاح مثل ، نظم الرياضيات ، والكمبيوتر ... الخ ولقد تطورت كثير من الأنظمة المعروفة للرياضيات لتحقيق الأهداف العلمية للعلماء .

ويمكن بإختصار توضيح سبب الاحتياج الي المواقفة الموضوعية للعلاقات التي تربط بين العبارات ، حيث أنه اذا لم يتمكن العلماء من الاتفاق علي التنبؤ من خلال العبارات المركبة فإنه لن يكون من الممكن الاستفادة من تلك العبارات في التنبؤ وتفسير الظواهر .

واذا لم يحدث اتفاق بين العلماء علي الاستفادة من العبارات في تحقيق الأهداف العلمية فإنه من المستبعد قبول هذه العبارات كجزأ من تكوين وبناء المعرفة العلمية .

والاحتياج الي الموافقة المشتركة نحو العلاقات بين العبارات يشير الي الاحتياج الي ما يطلق عليه الموافقة في المنطق .

٣ - المطابقة التجريبية Empirical Relevance :

وتعني امكانية مقارنة عبارة علمية معينة (مفترض) مع بحث امبيريقي (تجريبي) موضوعي . بمعني قدرة العلماء علي تقييم مدي الارتباط بين النظرية

وبين نتائج البحوث التجريبية . وبعبارة أخري فإن المطابقة التجريبية تعني امكانية مقارنة بعض اشكال العبارات العلمية . ولأهمية فهم هذا لابد من أن نوضح الاختلاف بين حدوث حدث وتفسيره لأن هذا يحتاج الي خبرة كبيرة .

فتفسير علاقة الحدث بالاخر أو أسباب الحدث هما من الأهداف الرئيسية للنظرية . فتناول الفرد ودراسته لحدث معين تعتبر من العمليات الدقيقة والحساسة وغالبا فإن كثير من العوامل تؤثر علي تفكير الفرد الذي يتناول الحدث .

فإذا ما صاغ فرد نظرية وكان المصدر الوحيد لتأييد ودعم الدليل هو تناول مايهمه هو شخصيا فقط حينئذ سيغلب عليه الطابع الشخصي في تناوله للحدث حيث انه سيهتم فقط بالتحليل الظاهر .

ولهذا لسبب فمن المستحب لأي عالم أن يكون قادرا علي فحص وشرح الاستجابة بين النظرية المحددة وبين البيانات التجريبية الموضوعية وذلك من خلال الكثير من الاختبارات ولحسن الحظ أن مثل هذه الاختبارات متاحة .

فإذا ما تم اعداد النظرية وكذلك الأدلة التجريبية التي تؤيدها في صورة ملائمة فإن هذا سيعطي الدليل المادي للعلماء الاخرين في امكانية استطاعتهم تحقيق النتائج لبحوثهم كما سيزيد من ثقتهم في الاشياء التي تتناولها النظرية .

مرة أخري يجب أن يوضع في الحسبان البدائل حيث أنه اذا لم يمكن مقارنة الهدف البحثي بواسطة علماء آخرين حينئذ تصبح مثل هذه الاهداف عاكسة لفلسفة واضعها ولايمكن أن تكون جزءا يمكن أن يساهم في بناء المعرفة العلمية .

ملخص واستنتاجات :

مما سبق يمكن القول أن هذا الفصل في استعراضه لتطبيق المفاهيم والعبارات داخل البناء المعرفي العلمي قد ركز علي :

١ - التجريد :

بمعني الاستقلال عن الزمان والمكان .

٢ - الموضوعية :

والتي تنقسم الي :

أ - التفسيرات :

ونعني بها الشرح والوصف بتفاصيل ضرورية مع مصطلحات مختارة للتأكد من أن المستمعين يوافقون علي معني المفاهيم .

ب - المنطقيات :

وتستخدم في الأنظمة المنطقية التي يشترك فيها ويقبلها العلماء للتأكد من الموافقة علي التنبؤ وتفسير النظرية .

٣ - المطابقة التجريبية :

وتعني انه بالامكان دائما للعلماء الاخرين تقييم الاستجابة والعلاقة الايجابية بين النظرية ونتائج التجربة البحثية .

والاختبار الأخير لأي مفهوم أو عبارة هو امكانية تطبيقه وتبينه من خلال العلماء الاخرين للإستفادة منه في تحقيق الأهداف العلمية .

وفي هذا الفصل أيضا تم مناقشة أهداف العلم مع توضيح كل من التصنيفات والتفسيرات والتنبؤات والفهم المشترك ، كما تم الاشارة ايضا الي كل من عمليات قبول الافكار المكونة لبناء المعرفة العلمية مع شرحها وذلك بفرض وضع بعض الخصائص المطلوبة والمرغوبة موضع الاعتبار مثل : التجريدات والموضوعية والمطابقة التجريبية .

الفصل الرابع

النظرية والمعرفة

Theory and Knowledge

الفصل الرابع

النظرية والمعرفة

Theory and Knowledge

هناك ثلاث مشاكل نظرية جدلية تتعلق بالنظرية الاجتماعية سيتم معالجتها في هذا الفصل .

أولي هذه المشاكل التي تقابلنا ماهي النظرية التي نستخدمها ؟

حيث يوجد العديد من التعريفات للنظرية وضعت بواسطة واصفي النظرية كذلك هناك العديد من التعريفات التطبيقية المستخدمة في عملية بناء النظرية . والمشكلة هنا ماهي أفضل التعريفات أخذين في الاعتبار التأثير الواضح للقيم الضمنية أو كذا رغبتنا فيما نود أن نراه في النظرية .

ثاني المشكلات التي يتعين علينا مواجهتها أو مقابلتها هي ماهي النظرية الجيدة ؟

ويلاحظ أنه يوجد العديد من الآراء حول هذه النقطة موجهة النظر التي يتبناها الفرد لها تأثير علي نوع بناء النظرية الذي يقوم الفرد ببناءه وهدفنا هنا ليس مناقشة أن كل نظرية يجب أن تطابق مثلا أعلي ، ولكن نثير فقط هذه القضايا لنوضح كيف أن النظريات الحالية أو أن أجزاء منها يمكن احداث تحسينات بها

وأخيرا :

فإن المشكلة الثالثة تتعلق بطبيعة العلاقة بين النظرية والمعرفة بمعني أنه كيف أن النظرية ترتبط بتطور المعرفة العلمية وهذه نقطة بالغة الأهمية حتي يمكن دراسة وتعديل الافتراضات الضمنية .

تعريف النظرية الاجتماعية :

The Definition of A Sociological Theory

وهناك اتفاق عام علي أن النظرية هي مجموعة من القضايا Propositions أو المفترضات أو العبارات العلاقية النظرية Theoretical statments (ويتربرج ، ١٩٦٣ ، جالبتنج ١٩٦٧ ، رونا لدز ، ١٩٧١ ومن المحتمل أن تستخدم في ذلك الشكل البديهي Axiomatic theory أو Path diagram الشكل الماري أو الممري أو الفروض الفرعية ويلاحظ أن معظم المنظرين يرون أن النظرية يجب أن تكون أكثر من مجرد مفهوم واحد أو مجموعة من المفاهيم المترابطة مع بعضها .

وما نقترحه هنا هو أن النظرية يجب *أن تحتوي ليس فقط* علي *مفاهيم أو قضايا* ولكن يجب أيضا أن تحتوي علي تعريفات وتعريفات اجرائية وترابطات (وصلات) *Linkages* نظرية *وإجرائية* . *فبالنسبة للمفاهيم* والتعريفات يجب أن تنتظم في صورة *تعريفات أولية* ومشتقة ، *وبالنسبة للقضايا* والترابطات يجب أن تنتظم في صورة مقدمات ومعادلات .

والنقطة الأساسية هنا لماذا يفضل بعض الناس اضافة أجزاء للنظرية بحيث

تبدو أنها تحتوي علي عدد أكبر من المكونات . الا أننا نميل الي القول او النظر الي النظرية علي انها مجموعة مترابطة من المفاهيم . وهذا التعريف البسيط يوضح ان كل جزء من أجزاء النظرية يضيف اسهاما مزيدا لفهم الظواهر الاجتماعية الموجودة حولنا . ولعل هذا يفيد هؤلاء الذين يعملون في مجال بناء النظرية . وفي نفس الوقت قد تكون هذه هي الاخري نقطة خلاف من منطلق سؤال يطرح نفسه عن سبب احتياج الفرد الي كل عنصرمن العناصر الست للنظرية .

وايا كان موضوع الدراسة والبحث فان النظرية الاجتماعية تهتم اساسا بتطوير اساليب زيادة فهم الاحداث الاجتماعية فالنظرية هي وسيلة الفهم في أي علم حيث انها تجيب دائما علي سؤال لماذا ؟ مثل لماذا يسلك الأفراد سلوكا معينا ؟ ولماذا بناءا معين يسود عن غيره ؟ و ... الخ وعلي ذلك يهدف أي علم الي تطوير نظريات مقبولة وقبل التعرض لبناء النظرية المجتمعية يجب التعرف علي الملامح العامة لها . وعموما يمكن القول أن النظرية هي نشاط عقلي فهي تلك العملية التي يمكن بها تطوير بعض الأفكار التي يمكن أن تساعد العلماء علي فهم وشرح لماذا تحدث احداثا معينة .

يعرف (Ross, 1954) النظرية علي انها بناء متكامل يضم مجموعة تعريفات واقتراحات وقضايا عامة تتعلق بظاهرة معينة بحيث يمكن أن يستنبط منها منطقيا مجموعة من الفروض القابلة للاختيار .

كما يعرفها (Kaplan, 1954) بأنها بناء فرض رمزي يتضمن مجموعة من

القوانين المتسقة منطقيا فكل قانون يستنبح مباشرة من القانون السابق عليه والقانون يفسر الواقعة عن طريق ربطها بغيرها من الوقائع . ومعني ذلك ان النظرية هي مجموعة قضايا واقعية تفسر الظواهر وتمكننا من التنبؤ بها وهذه القضايا تتخذ لها ترتيبا معينا بحيث تجيء القضايا العامة كمقدمات تستنتج منها باقي القضايا وهي ما يعرف بالنسق الاستنباطي وهو جوهر النظريات العلمية .

ويري (Harre, 1970) ان بناء النظرية يتألف من تعميمات مستخلصة من دراسة الوقائع ومرتبة داخل نسق منطقي يسمح باستنتاج احداها من الاخري وتصبح النظرية علي هذا النحو أعلي درجات المعرفة .

ويلخص (Good and Hatt 1952) دور النظرية في العلم فيمايلي :

١ - انها تحدد للباحث مجالا للتوجيه يستطيع في ضوئه أن يختار من المعلومات والبيانات ما يصلح للتجريد .

٢ - انها تقدم الاطار التصوري الذي ينظم ويصنف الظواهر ويعين العلاقات المتبادلة بينها .

٣ - أنها تلخص الوقائع في صورة تعميمات تجريبية من جهة وفي نسق منطقي يضم طائفة من هذه التعميمات من جهة أخري .

٤ - أنها اداة التنبؤ بالظواهر في الظروف التي تلمسها من قبل .

٥ - أنها تحدد الثغرات ومواضع النقص في المعرفة .

جدول يوضح اسهام كل عنصر من عناصر النظرية

The Contribution of Each Element of a Theory

Theory Parts أجزاء النظرية	Contribution الاسهامات
1- Concept names اسماء المفهوم .	Descripition and slassification الوصف والتصنيف .
2- Verbal Statements الجمل اللفظية العلاقية .	Analysis التحليل
3- Theoretical definitions operational definitions التعريفات النظرية التعريفات الاجرائية	Meaning المعني Measurement القياس
4- Theoretical Linkages operational Linkages الترابطات النظرية الترابطات الاجرائية .	Plausiblity المعقولية Testability القابلية للإختبار
5- Ordering into primitive and derives terms التنظيم في صورة مصطلحات اولية ومشتقة	Elimination of tautology التخلص من الحشو
6- Ordering into premises and equations التنظيم في صورة مقدمات ومعادلات .	Elimination inconsistency القضاء علي عدم الترابط المنطقي .

أما الوقائع فهي بدورها المنبع الوحيد الذي نستقي منه النظريات العلمية ومن ثم فإن أهميتها تتلخص فيما يلي :

١ - الوقائع مصدر الهامنا بالنظريات .

٢ - الوقائع تسهم في اعادة صياغة النظريات .

٣ - الوقائع هي اساس رفضنا لتلك النظريات التي لاتتلاءم معها .

٤ - قد تعمل الوقائع علي تغيير محور الاهتمام في النظرية .

٥ - الوقائع توضح النظريات وتعيد تعريفها .

اسهام كل عنصر من عناصر النظرية

The Contribution of Each theory Element

يوجد ستة عناصر أو مكونات اساسية تسهم في بناء النظرية . فبواسطة المفاهيم النظرية Theoretical Concepts نري رأي جديدة فهي يمكن أن ينظر اليها علي انها العدسات الوصفية للنظرية فهي تجذب انتباهنا الي الجوانب المهملة للعالم الاجتماعي . مثال علي ذلك مقالة ميرتون (Merton, 1957) الشهيرة عن مجموعة الادوار . لقد فتحت هذه المقالة طريقا جديدا للتفكير عن الادوار . ومثال آخر سابق علي مقالة ميرتون مناقشة سيمل Simmel عن الغريب Stranger (Wolf, 1950) فالغريب نمط اجتماعي مألوف لنا جميعا ولكنه يهرب من دائرة اهتماماتنا حتي تلصق اليه كلمة أو صفة .

إن تطوير بعض القضايا (العبارات) النظرية يعني اننا قد تحركنا من الوصف الي التحليل . فبمجرد أن يرتبط مفهومان بطريقة ما فإننا يمكن أن نقوم بعمل تنبؤات وتفسيرات بالرغم من انها يمكن ان تكون علي مستوي ضعيف جدا . وربما نجد أن بعض من قوة وتأثير كتابات ماركس ترجع الي كثير من الفروض المطمورة في صفحات قليلة في البيان الشيوعي Communist Manifesto وعندما نقارن هذه الكتابات بأي عمل آخر في علم الاجتماع نجد الفارق الكبير في الخبرة acuity التحليلية . لذا فإنه من الأهمية بمكان قراءة الأعمال النظرية بهدف معرفة واحصاء عدد القضايا النظرية بها .

ان التعريفات تضيف الي وصفنا للظاهرة الاجتماعية عن طريق تقويم معني وقياس فكما ذكرنا من قبل قد يكون التعريف غير ظاهر (داخل - ضمن) اسم المفهوم ولكن العمل الإضافي لإظهاره ربما يكون أكثر أهمية ، فهو يقدم الدليل والبرهان علي اضافة شيئا جديدا . وفي المقابل فإن المفاهيم لايجب ان تعدل كيلا حتي تنتظم في نظام وان كان هذا في بعض الأحيان ليس سهلا الا أنه عند تنظيم المفاهيم فإن هذا يحقق هدفا آخر وهو منع الحشو .

أما بالنسبة للترابطات Linkages فإنها تضيف الي تحليلنا للظاهرة الاجتماعية عن طريق امدادنا بالمعقولية والقابلية للإختبار مرة ثانية . ان اضافة هذا الجزء ليس سهلا ولكن فوائده تستحق الجهد المبذول فيه .

واخيرا فان تنظيم القضايا والترابطات في مقدمات ومعادلات يساعدنا في

اكتشاف ما اذا كنا متسبقين منطقيا في تفكيرنا .

ومن الناحية العملية تعتبر النظرية كاملة اذا احتوت علي مفاهيم وتعريفات وقضايا وترابطات . ويعتبر تنظيم هذه الاجزاء تنظيما استقرائيا استنباطيا عملا هاما للغاية الا أن ذلك قد يتحقق علي المدي الطويل نسبيا وببطء . لذا فإن هذا يجب أن يكون هدفا طويل المدي أكثر منه كهدف قريب وفوري . كما أنه كلما كثر عدد المفاهيم والقضايا فإن فوائد تنظيم المفاهيم والتعريفات والقضايا والترابطات تصبح عملا ضروريا . وهنا نذكر نصيحة (ميرتون ١٩٦٨) عن النظرية متوسطة المدي والتي تعتبر نصيحة هامة للغاية حيث يري ان نظرية من هذا النوع تحتوي علي تعريفات وترابطات مثلما تحتوي علي قضايا وهو يري ان بعض علماء الاجتماع قد يقبلون أقل من ذلك في نظرياتهم وهذا اختيارهم ولكن اذا كان تفكيرنا صحيحا فيجب ان تحتوي النظرية علي الاجزاء السابقة وعلي حد قوله قد نستطيع ان نتجنب القضايا النظرية ولكن هل نستطيع أن نقبلها بدون تحليل ؟ بالمثل يستطيع الفرد أن يجمع المفاهيم والقضايا (التعريف التقليدي للنظرية في علم الاجتماع) ويتجنب تمييز التعريفات والترابطات . ولكن عند المعالجة يفقد الفرد المعني والمعقولية وكذلك القياس والقابلية للاختبار ، لذا فإن التعريفات والترابطات يجب ان تكون علي الاقل جزءا من تعريف النظرية .

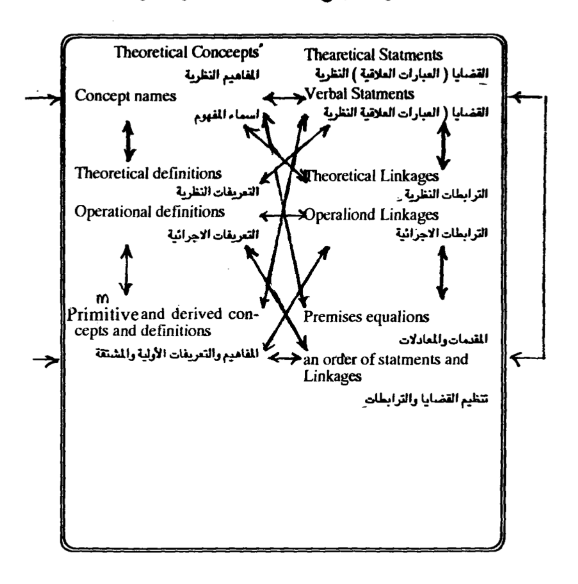
نقطة هامة اخري واجهت تعريف النظرية الا هو مايسمي بالمستوي النظري والمستوي الاجرائي في النظرية حيث يعتبر التركيز علي التعريفات الاجرائية والترابطات خاصية من خصائص احدي المدارس الفكرية والتي تسمي المدرسة

الاجرائية Ope rationalism (أدلر ١٩٤٧)؛ بردهان ١٩٣٦ ، دود ١٩٤٣) لكن خطر هذا الاتجاه يظهر عند مؤيدي الاتجاه التحليلي ، فكل التحليلات المسارية Path Analysis تعطينا قياسا وقابلية للاختبار لكنها لاتمدنا بالمعنى والمعقولية ، فالنظريات التي لايمكن أن تقاس أو تختبر تعتبر غير مرغوب فيها .

مزايا الأجزاء الستة في بناء النظرية :

سبق أن أوضحنا مزايا كل جزء من الأجزاء الستة للنظرية ولذا فلا فائدة من تكرار ذلك . ولكن مايهمنا هنا هو طبيعة العلاقة التبادلية بين الأجزاء . ان العلاقة التبادلية بين العناصر الستة موضحة في الرسم التخصيصي شكل (٢) حيث يتضح من الشكل وجود خمسة عشر علاقة بين الأجزاء الستة وكل سهم من الأسهم الموجودة في الشكل يشير الي تفاعل مبتكر .

شكل (٣) يوضح العلاقات المتبادلة بين أجزاء النظرية



* إن التفاعل بين المفاهيم النظرية والقضايا يتطلب مناقشة مما تحدثنا عنه سابقا . فبمجرد إكتشافنا لبعض القضايا يمكن تحديد المفاهيم النظرية بطرق مختلفة والعكس صحيح .

* ويلاحظ أنه بمجرد اضافة تعريفات فإن عدد التفاعلات تزداد لذا فإنه في بعض الأحيان نجد أنه من الضروري أن نغير كلا من المفاهيم النظرية والقضايا عندما نحول واحد من المفاهيم الي مفهوم إجرائي .

وفي بعض الأحيان قد يصادف القاريء مقالات في بعض المجلات العلمية يظهر منها أنها تختبر فروضا مختلفة جدا عن الفروض الأمامية التي يختبرونها ويرجع ذلك لاختلاف التعريفات المستخدمة في الحالتين .

ولقد ناقش لوزار سفيلد (Lozarsfeld, 1951) مشكلة مماثلة تحت عنوان أو فكرة المؤشرات المعبر عنها والمؤشرات التنبؤية فإذا قرأ الفرد المؤشرات المستخدمة في مقالات المجلات العلمية نجد ذلك واضحا . ومع ذلك فان النقطة التي نعالجها هنا هو أن اضافة تعريف نظري أو أجرائي يغير من القضايا التي نعالجها.

* كما أن اضافة الترابطات تعني زيادة ثلاثة تفاعلات أخري وثلاثة مراجعات اخري لتفكيرنا . فكل من الترابطات النظرية والاجرائية من الممكن أن تغير من محتوي قضايانا النظرية . فنحن نبدء بتقدير ما نتمني حقيقة أن نتحدث عنه كشيء آخر أكثر مما تحدثنا عنه وهذا يصبح أكثر ايضاحا مثلما تغير الترابطات

مفاهيمنا وتعريفاتنا . ومناقشة الأسباب الخاصة بترابط مفهومين يكشف عن ضرورة استخدام مفاهيم أخري مع تعريفات مختلفة . فعلي سبيل المثال اذا اكتشف الفرد أنه السبب في زيادة عدد التخصصات المهنية يقود الي تغيير في توزيع القوة لأن قنوات الاتصال الافقية تغير هيكل القوة الموجودة فإنه علي الفرد أن يغير القضية النظرية الي تأكيد رائد علي الاتصالات الافقية ليقود الي حدوث انخفاض في المركزية . وطبيعي ان الفرد سيغير تعريفاته .

مثال آخر متعلق بقضية التدرج الطبقي حيث أن استخدام مؤشرات اجرائية مختلفة للتدرج الطبقي تؤدي الي ضرورة توافر ترابطات اجرائية مختلفة جدا في كل قضية نظرية يقرر الفرد استخدامها فمثلا تدرجات المكانة تقترح ترابطا واحدا ، والنسبة المئوية للدخل الذي يحصل عليه نسبة الـ ٢٠ ٪ الأعلي تتطلب ترابطا ثانيا ، والنسبة المئوية للدخل الذي يحصل عليه نسبة الـ ٢٠ ٪ من القاع تتطلب ترابطا ثالثا .

* كذلك فإنه عندما تنظم مفاهيمنا في صورة مفاهيم أولية ومفاهيم مشتقة وكما سبق أن أوضحنا فإن المصطلح المشتق يتكون من مصطلحات اولية تعبر عن نفس المفهوم فالتعريفات الاولية تظهر داخل المصطلحات المشتقة التي نود استخدامها فاذا حدث تغير في التعريفات الاولية والمشتقة فان ذلك سيترتب عليه تغير في القضايا النظرية وكذلك تغير في الترابطات .

وبالمثل فان المقدمات والمعادلات وتنظيم القضايا النظرية لها نفس نتائج

التعريفات والترابطات والمفاهيم والقضايا ولعل ذلك يتضح جيدا من خلال احد اشكال النظرية وهي النظرية البديهية للتنظيم Axlomatic Theory of Organization (هاج ١٩٦٥) والتي لها اربعة عناصر للنظرية فمعظم النظريات البديهية يمكن ان تنخفض الي معادلات قليلة ومقدمات قليلة تكون متضمنة في الترابطات النظرية الأصلية. ولكن هذه المقدمات تشمل أيضا اسبابا اخري تكون متضمنة كمتغيرات اضافية ، مقدمات اضافية ومعادلات اضافية وترتيب المتغيرات في يضع بعض المؤشرات الغير صادقة والتي تتطلب استخدام تعريفات اخري ليست مدركة في الأصل .

ان أحد البراهين النقدية علي وجود الاجزاء الستة للنظرية هو ان كل عنصر أو جزء منها يشترط حدود الاختيار وكلما كان هناك عناصر كثيرة فان الاختيار يكون محدودا وتكون الحدود بسيطة ويترتب علي هذا التحديد ان القوة الابتكارية للنظرية تكون كبيرة وهذا يعني :

أولا :

ان احتمال الخطأ في الاختيار يكون محدودا .

ثانيا :

ان الاختيار يصبح عملية سهلة لأن البدائل قليلة .

والنقطة الاولي يصعب اثباتها اذا نظرنا للمرحلة الحالية لتطور النظرية في علم الاجتماع ومع ذلك قد يبدو هذا معقولا والي حد كبير اذا تناولنا قوانين نيوتن

الحركة فلقد استخدم نيوتن الهندسة كنموذج لبناء النظرية وهناك تشابهات كثيرة بين تنظيم المفاهيم والتعريفات في صورة تعريفات اولية ومشتقة وكذلك تنظيم القضايا والترابطات الي مقدمات ومعادلات ونماذج هندسية للتفكير . ففي الهندسة تستخدم التعريفات الاولية لاشتقاق مفاهيم أخري ، وتنظيم القضايا الي بديهيات ومسلمات ونظريات ونتائج والفائدة الكبري للتفكير في مجال الهندسة ان الفرد يكون اقل وقوعا في الخطأ بالتحرك في اتجاهين . وتتطلب البراهين تفكيرا عقليا الي الامام والخلف . فالهندسة ليست نظاما امبيريقيا ومع ذلك فهي تفتقر الي المؤشرات والمترابطات الاجرائية ولكن ذلك جوهري في العلوم الاجتماعية . فكلما تحركنا الي اعلي والي اسفل في مستويات التحديد من التعريفات الاولية الي المؤشرات وخلفا الي المقدمات فان هذا يعني ان احتمال ان تكون النظرية جيدة هو احتمال كبير وتصنيف اسهاما جيدا الي المعرفة العلمية .

أما النقطة الثانية فيسهل ايضاحها حيث انه كلما اضفنا اجزاءا للنظرية فان الاختبار يعبر اكثر تقييدا ولهذا يكون من السهولة اتمام عملية الاختبار .

الي هذا الحد فان اجزاء النظرية تثير جدلا نقديا كبيرا وذلك في مجال بناء النظرية والعاملون في هذا المجال مجبرين علي توفير الحلول للتخفيف من حدة هذا الجدل .

حيث يري (Zetterberg,) ان العناصر الرئيسية للنظرية تشمل :

(أ) المصطلحات الأولية أو المفاهيم الاساسية وهي تعريفات نقدمها عن طريق

مجموعة من الامثلة تبين ما نقصده من معناها

(٢) المفاهيم المشتقة وهي مصطلحات نحددها في ضوء المفاهيم الاساسية .

(٣) الفروض وهي قضايا تحدد العلاقات بين المفاهيم التي تم تحديدها .

(٤) مسلمة النظرية وهي مجموعة من الفروض متسقة فيما بينها ، وهي التي يمكن أن تشتق منها باقي القضايا

وعموما وعلي حد قول (Turner 1982) فانه مهما اختلف مفهوم النظرية في علم الاجتماع فإن هناك مكونات ثابتة ومشتركة بين جميع مفاهيم النظرية وهذه المكونات الثابتة أو الأساسية أو الثنائية هي :

(١) المفاهيم

(٢) المتغيرات .

(٣) العبارات (القضايا).

(٤) الاشكال .

وستتناول الدراسة كل مكون من هذه المكونات بشيء من التفصيل .

معايير لتقييم النظريات

Criteria for Evaluating theories

إن إهمـيـة تعـريفنا للنظرية تكمن في انه يزودنا بمقـيـاس نقيس به الأجـزاء النظرية . ونستطيع أن نقول الآن وبموضوعية تامة رأي من هذا العمل أو ذاك يكون نظرية أو كم يكون من النظرية فكمـا أوضـحنا سـابقا أصـبحنا علي دراية بالأسس التي علي أسـاسـها يمكن أن تبني النظرية فإذا كان هناك جزء من النظرية لايحتوي علي تعريفات نظرية فإننا نستطيع القول بأن معاني المصطلحات لم تحدد . واذا لم توجد ترابطات اجرائية فلن تكون هناك قابلية للإختبـار كشيء مـختلف عن القابلية للقياس . ويمكن أن نغفل هذا الاختلاف كما سبق ان ذكرنا . والمؤشرات الامبيريقية تسمح لنا بقياس المفاهيم فـاذا استخدم هذا المعيار فقد يظهر ان علم الاجتمـا ع لايملك في الحـقـيـقـة اية نظريات . فـمـعظم النظريات تفشل لافتـقـاده للتـرابطات الاجرائية والترابطات النظرية .

ولكن هذا لايجب أن يسـبب لنا حـالة من الاحبـاط ولايجب أن ينظر اليـه علي أنه نقد سلبي ومـانعنيه أن يكون هـذا نوعـا من النقد البناء بهدف الإشـارة الي مـا يجب عمله .

والنظرية الاجتماعية يمكن أن تكون غنية اذا كانت هناك جهودا كبيرة ولايجب أن يفسر تقويمنا هنا علي أنه لايوجد منظرين لعلم الاجتمـا ع حتي اذا لم توجد هناك نظريات . ونـحن نتسـاءل هنا كم من النظريات توجـدا ان النظريات المتكاملة عـبارة

عن حصيلة جهود أفراد كثيرين حتي وان كانت المحصلة النهائية مرتبطة احيانا باسم سشخص واحد ان الميزة الكبيرة لتعريفنا للنظرية هو أن نجذب الانتباه الي مايسهم به كل شخص لتحقيق الهدف المنشود

هناك معايير عامة متعددة يمكن أن نطبقها لتقييم أي نظرية وهذه المعايير تزودنا بمعايير أخري تستخدم ضمنيا في الحكم علي النظرية فلو تناولنا مثلا نظريتين متنافستين علي نفس المشاركة (الرابطة) السلوكية . فعلي سبيل المثال النظرية التبادلية Exchange Theory عند هومانز Homans ونظرية التوازن Balance Theory عند هيدر Heider كما عرضها دايفز من قبل نجد أن هناك معايير أربعة أساسية للإختبار بين هاتين النظريتين وهذه المعايير الاربعة الأساسية هي :

١ - المجال The Scope .

٢ - الخاصة البارسونية (أو التركيز) Parsimony

٣ - دقة التنبؤ .

٤ - دقة التفسير

ولقد حظي هذا التقييم بإهتمام فلاسفة العلم

١ - المجـال .

إن فكرة المجال في أي نظرية تعتبر فكرة بسيطة حيث انها تقيس عدد

المشكلات الرئيسية التي تتناولها النظرية في مجال التخصص الذي تختص به وعندما ناقش ميرتون (١٩٦٨) النظرية متوسطة المدي كان في ذهنه فكرة النظرية ذات المجال المتوسط مثل نظرية صراع الادوار Theory of role conflict أو نظرية عدم توازن المكانة Theory of status disequalibrian أو نظرية الارتباط التفاضلي theory of differential association حيث أن هناك نظريات مصممة لمعالجة مشكلة أو اثنين من المشكلات فقط . حيث انه من غير المرغوب فيه في علم الاجتماع وجود نظرية عامة كبيرة تتحدث عن معظم القضايا ان لم يكن كل القضايا .

ان أحدي طرق قياس مجال النظرية وبدقة هو ملاحظة عدد المصطلحات المشتقة ومدي ارتباطها بعدد المصطلحات الأولية فاذا ارتفعت نسبة المصطلحات المشتقة الي المصطلحات الاولية يكون مجال النظرية واسعا . وهناك تعريف آخر للمجال حيث يعني المجال ببساطة طبقا لذلك مدي عمومية النظرية .

بينما ينظر Wallace الي المجال علي أنه المجال الذي تعطيه النظرية والذي يمكن أن يقاس بواسطة محددين اساسيين . المحدد الأول هو Substansive scope والمحدد الثاني Spatriotemporal scope ولتوضيح مدي الاختلاف بين النظريات بالنسبة (Subscope) نفترض ان إحدي النظريات تشرح أو تتناول شرح أي من البيروقراطية . الجماعات المرجعية ، الحراك الاجتماعي في حين أن نظرية أخري تشرح النظام الاجتماعي المتكامل بما فيه من جماعات مرجعية أو بيروقراطية فإنه يمكن القول أن النظرية الثانية أوسع من الأولي فيما

يتعلق بـ Sab - scope ولتوضيح مدي الاختلاف بالنسبة لـ Spat - Scope نفترض أن إحدي النظريات تشرح البيروقراطية في المانيا في القرن الـ ١٩ ، بينما النظرية الثانية تشرح البيروقراطية بصفة عامة في أي مكان وفي أي زمان فإن النظرية الثانية تكون أوسع من النظرية الاولي من حيث المجال ويلاحظ أن النظريات ذات المجال المحدود يمكن أن تستنبط من النظريات ذات المجال الواسع ومن امثلة النظريات ذات المجال الواسع النظرية النسبية ومن أمثلة النظريات ذات المجال الضيق (قانون بوسل ، قانون نيوتن) .

٢ - الخاصية البارسونية (التركيز) Porsimony

تعتبر خاصية التركيز بين الخواص التي يجب أن تتصف بها القضايا النظرية ، حيث أننا نهتم بتفسير الكثير في كلمات قليلة وفي وقت قليل وتعكس خاصية البارسونية قوة النظرية فالنظرية القوية هي التي تجعل هناك افتراضات قليلة ولهذا فإن خاصية التركيز أو البارسونية تقاس من خلال نسبة المعادلات الي المقدمات وهذه الخاصية ترتبط الي حد كبير بفكرة المجال فالمجال والتركيز يمكن ان يختلفا فهناك نظرية ذات مجال واسع مثلا وكلها قد لاتتصف بالخاصية البارسونية (التركيز) فتكون مجموعة من المقدمات ومعادلات أقل وبالتالي فالنسبة في هذه الحالة أي نسبة المعادلات الي المقدمات تكون قليلة وبالتالي فإنه في هذه الحالة يمكن الحكم علي النظرية بأنها غير قوية

الا أنه يجب الوعي بنقطة هامة وهو أنه ليس معني ان خاصية التركيز مطلوبة

في النظرية ان يكون ذلك مدعاة لاستخدام عبارات مركزة جدا وبالتالي قد تكون معقدة بدرجة كبيرة .

٣ - المعيار الثالث من معايير تقييم النظرية هو دقة التنبؤ :

ويقصد به شرح كيفية حدوث الاشياء في المستقبل . ودقة التنبؤ كمعيار من معايير تقييم النظرية ويمكن أن يطبق علي كل المعادلات ، لذا فإنه يمكن أن يرفضه البعض كمعيا للحكم علي النظرية في علم الاجتماع وذلك من منطلق انه ليست هناك معادلة واحدة حتي لو كانت تشتمل علي قرابة خمسون متغير تستطيع أن تزودنا بتنبؤ دقيق فالمطلوب للحكم علي التنبؤ توافر مجموعة من المعادلات خاصة اذا لم نتأكد من الترابطات الاجرائية بين كل المتغيرات . مثال علي ذلك نفترض أننا نحاول التنبؤ بإحتمال حدوث ثورة في هذه الحالة يبدو أنه من غير المستحسن استخدام معادلة واحدة حيث يحتاج الفرد أن يعرف درجة السيطرة أو التحكم أو الممارسة في المجتمع ، وكيف أن المجتمع قادر علي انتاج منتجاته ، وكيف أن المجتمع قادر علي التكيف مع الظروف المتغيرة داخليا وخارجيا ، وهل هناك عوامل بنائية متعددة تسبب عدم الرضي . هذه كلها مجموعة من المعادلات . ولكن حتي كل هذه الأفكار الممكنة للتنبؤ بحدوث ثورة لاتشمل كل الاحتمالات التي أشار اليها اكشتين (Eckstein , 1954) في فحصه علم اسباب امراض Etidogy الحروب الداخلية .

من المهم أن نتعرف علي أنه في القضية البسيطة مثل« سوف يكون هناك دائما

ثورة في مكان مافي العالم ، تمدنا ببعض التنبؤ . فهؤلاء المهتمين بتحسين العلم يكون هذا نوع من الراحة لهم . فنحن لانعرف كم عدد أو متي أو أين ولكن نستطيع علي الاقل أن نحدد بدقة ومعقولية انه سوف يكون هناك دائما بعض الثورات .

ان دقة التنبؤ كمتغير له أهمية يمكن أن تزيد القدرة علي التنبؤ بالأحداث التي بها اعداد فعلي سبيل المثال نحن نستطيع ان نقدر بدرجة من الدقة وبواسطة متغيرات قليلة عدد حالات الوفاة بسبب حوادث السيارات والتي يمكن ان يقع اثناء العطلة الاسبوعية ودقة التنبؤ الأكثر سوف تحدد العدد خلال فترة محددة من الوقت، سنة مثلا وفي أي أوقات السنة وكلما حاولنا زيادة درجة الدقة كلما تطلب ذلك اضافة معادلات أكثر الي النظرية ولذا فإن دقة التنبؤ تعتبر خاصية أساسية من خواص النظرية ومعيار من معايير تقييمها .

ولسوء الحظ فإن عدد الدراسات الخاصة بالتنبؤ في مجال علم الاجتماع قليل نسبيا ويستثني من ذلك بحوث الانتشار Diffusion (روجرز ، ١٩٦٢) ونتيجة لهذا القصور فليس لدينا الخبرة الكافية لقياس دقة التنبؤ ولقد لازمت هذه المشكلة علماء الا قتصاد لفترة طويلة من الزمن .

٤ – المعيار الرابع من معايير تقييم النظرية وهو التفسير الدقيق :

وهو أحد المعايير التي يصعب شرحها . حقيقة ان الفرد يريد نظرية صحيحة أو حقيقية أو صادقة ولكن هذا يتضمن مجموعة المشكلات الصعبة المتعلقة بنواحي

الصحيح أو الحقيقي أو الصادق . فنحن نستطيع القول أنه عندما نقبل نظرية معينة . فإننا نفعل ذلك ليس فقط لأن للنظرية مجال واسع وتتصف بالتركيز ولأن مقدرتها التنبؤية معقولة نسبيا . ولكن وهذا مهم للغاية قد وجدنا أن التفسير قد جاء مضبوطا وهذا أكثر من كونه سؤال يتعلق بالبرهان ومع ذلك فان هذا هو المكان الذي يلعب فيه البحث دورا حيويا حيث يمكن تفسير أي نظرية في مجموعة من المقدمات وتزويدنا هذه المقدمات بقصة عن الواقع علي الرغم من أنه يمكننا أن نتوقع سلسلة نتائج هذه الوقائع بدقة تامة . وهذا لايعني ان القضية وراء هذه الوقائع مجموعة الترابطات النظرية أو المقدمات أن ذلك يرجع الي عوامل اخري غير التي سبق تحديدها . كمثال بسيط علي ذلك نظرية الصراع الاجتماعي Theory of Social Conflict حيث يمكن للمعادلات ان تتنبأ بدقة بحدوث ثورة ولكن يبقي سؤال هام هو هل المقدمات دقيقة ؟ لقد افترضنا تفسيرا واحدا يكمن في قصور تساوي المكانة لبعض الجماعات الاجتماعية الخاصة . وتفسير أخر أشار اليه ديفز Davis خاص بفكرة التوقعات المتزايدة . وهنا يظهر لدينا توقعين لنفس الواقعة فمن منها هو الاكثر دقة ؟ فلابد من تقديم حكم علي أي نظرية مهما كان ذلك صعبا .

وعلي المستوي العملي يلعب البحث دورا نقديا في مساعدتنا علي تصور أحكام بالطرق الآتية : اننا نبحث عما يسمي بالاختبارات الاستراتيجية للنظرية . وتوجد بدائل عديدة للتفسير حيث ان تفسير البحث الامبيريقي . يعتبر رئيسيا حيث انه يقدم لنا الفرصة لمعرفة المقدمات المقبولة وكذا المعادلات المقبولة .

طريقة أخري للتفكير في مشكلة التفسير الدقيق هي ان نفكر في ضوء عدم الشرعية ومثال علي ذلك فلنتصور ببساطة مايلي :

أ يمكن أن تستخدم لكل تتنبأ بحدوث ب لأن كلا من أ ، ب قد احدثهما جـ . في هذه الحالة فإن تفسير أن سببته بواسطة ب لن يكون دقيقا لأنه ستكون لدينا حالة عدم شرعية فبالرغم من أننا نتحدث هنا عن المعادلات فإن ذلك يرتبط بمشكلة التفسير ، ولسوء الحظ فإننا نادرا ما نختبر في أبحاثنا تفسيرات بديلة متضمنة في مقدمات ومعادلات مختلفة ترتبط ببعض المتغيرات التابعة فاذا اجريت الكثير من هذه البحوث فإننا نستطيع تقديم أحكاما نقدية عن كفاءة التفسير في نظريات معينة .

ولكن ربما تكون هذه مرحلة من مراحل البحث يجب أن تنتظر حتي ظهور نظريات أحسن بمجموعات منظمة من القضايا والترابطات ان التطوير مجال مرتبط بالتطوير في مجال آخر .

ويضيف Wallace للعوامل الاربعة السابقة لتقييم النظرية أو لبيان أوجه الاختلاف بين النظريات عاملين آخرين هما :

١ - اللغة :

حيث أن فائدة أي لغة في صياغة النظرية يتوقف علي رموز تلك اللغة كذلك علي قوانينها التي تحدد استخدامها (وهي مفردات اللغة وقواعدها) . فاللغة الرياضية لها استخدامات كثيرة في النظريات لأن رموزها وقوانينها ترتبط بالملاحظات

التجريبية . فالعمليات الرياضية مثل الجمع والضرب والمربعات والعدد والتكابل ذات فائدة كبيرة وذلك لأنها تتناسب خطوات دراسة ظاهرة الانتحار لدور كايم والجاذبية الأرضية والتفاعل والقوة والكتلة وتغير السكان والعرض والطلب ... الخ .

واللغة التي تستخدم في صياغة النظريات تؤثر علي المفترضات والملاحظات التجريبية والتعميمات والاختبارات المزمع اجرائها . وهناك عدة عوامل تحدد اختيار اللغة هي :

أ – توضح اللغة مدي الاختلاف والتناقض بين المفترضات والملاحظات ، وبين الملاحظات والتعميمات وبين التعميمات والنظريات وبين الآراء والنظريات .

ب – أن تكون اللغة دولية وهذا يعني قلة الحاجة الي الترجمة من لغة لأخري ومن ثقافة لأخري وبذلك يسهل نشر العبارات .

جـ – أن تكون اللغة مرنة .

د – أن تعمل اللغة علي زيادة وتوسيع النظريات وتطويرها .

٢ – مستوى التجرد :

يستخدم مستوي التجرد لقياس مدي تقارب مفاهيم النظرية مع الملاحظات الحقيقية . فالنظرية ذات مستوي التجرد المنخفض تكاد تكون مجموعة من المفترضات المختبرة ، في حين أن النظرية ذات المستوي العالي تتصف بشمولها علي مصطلحات خيالية بعيدة عن الملاحظات الحقيقية وتفسيرها غامض .

ومن ذلك يبدو واضحا أن كل من المجال ومستوي التجرد محددات أو أبعاد مرتبطة ببعضها فارتفاع مستوي التجرد يرتبط باتساع المجال . ومثال ذلك لرفع مستوي التجرد من عدد المهن الي تقسيم العمل فإن ذلك يدل علي مجال أوسع .

وهناك مشكلتان بالنسبة للعلاقة بين المجال ومستوى التجرد :

أ - أن العلاقة الايجابية بين المجال ومستوي التجرد يبدو انها ليست تبادلية فرغم أن زيادة مستوي التجرد يدل علي زيادة المجال فإن زيادة المجال قد لاتدل بالضرورة علي زيادة مستوي التجرد ومثال علي ذلك أن رفع مجال النظرية من الجماعات المرجعية الي المجتمعات الشاملة لايتطلب بالضرورة أي تغيير في تجرد المصطلحات رغم أننا قد لانحتاج الي اضافة البعض منها .

ب - حيث أن تغير في مستوي التجرد يتطلب تغيرا في المجال فإن التغيير الأخير غير محدود منطقيا فزيادة مستوي التجرد من عدد المهن الي تقسيم العمل أدي الي توسيع المجال ولكننا لانعرف الي أي مدي أو في أي طريق .

العلاقة بين النظرية والمعرفة :

The Relationship Between Theory and Knowledge

تعتبر طبيعة العلاقة بين النظرية والمعرفة إحدي المشكلات الكبري التي جذبت الانتباه لمدة طويلة لذا فلقد تركنا مناقشتها للنهاية ولقد شغلت هذه القضية اهتمام الفلاسفة منذ القدم ولذا فإن عرضها في صفحات قليلة لايعطي لهذه القضية حقها وسنبدأ فيما يلي تعريف المعرفة السوسيولوجية ومعايير تقييمها . ولابد من ايضاح

انه توجد العديد من الكتب التي تضع نماذج توضح طبيعة العلاقة بين النظرية والمعرفة منها النموذج الايستمولوجي (فزيدرك ١٩٧٠).

تعريف المعرفة السوسيولوجية :

سبق أن تناولنا تعريف النظرية الاجتماعية الا من أقرب التعريفات للواقع هو ذلك التعريف الذي يري أن النظريات الاجتماعية عبارة عن نماذج للواقع الاجتماعي . بعض النظريات تقترب من هذا الواقع لكنها ليست بالضرورة صورة كلية وكاملة لهذا الواقع . أما المعرفة فهي عبارة عن مجموعة من القوانين الصحيحة التي تصف هذه الصورة فالنظريات تقترب من المعرفة ولكنها ليست هي تماما .

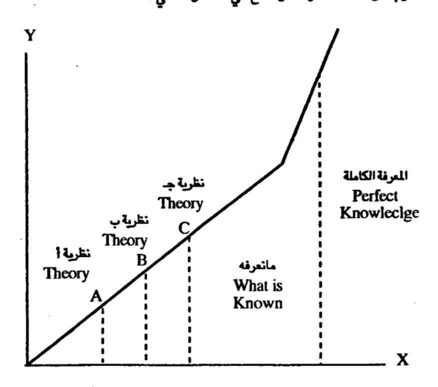
وبعبارة أخري يمكن القول أن النظريات ماهي الا محاولة لبناء صورة بها مجموعة من الأجزاء ولكننا لانملك كل الأجزاء المكونة لهذه الصورة وكل مانقوم به هو أننا نحاول أن نكيف هذه الاجزاء مع بعضها بطريقة جيدة لتكون النظرية . وهذه الأجزاء عبارة عن مفاهيم نظرية منعزلة تتجمع مع بعضها لتكون النظرية وكلما استمرت عملية التركيب عن طريق تجميع الاعداد الكبيرة وتنظيمها في تشكيلات متعددة فإن هذا يحقق ما أسماه كون (Khun , 1962) ثورة كبري في مجال النظرية والمعرفة .

من تعريفنا للمعرفة أنها هي الصورة النهائية والنظريات هي التجميعات الكبيرة للمشكلات المجزأة فهي تقديرات لما يكون عليه أي جزء من أجزاء الصورة وهكذا . فالنظريات يمكن أن ننظر اليها علي أنها تقديرات للمعرفة . فالمعرفة هي الصورة

الكبري النهائية أما النظريات فهي تتناول أجزاء من هذه الصورة كل نظرية تؤلف مجموعة من المكونات وتجميع هذه المكونات من خلال النظريات المختلفة يكون المعرفة .

معايير التقويم والمعرفة Crlteria of Evaluation and Knowledge

بالنسبة للقراء الذين يعرفون حساب التفاضل والتكامل نقول ان المعرفة عبارة عن حد Limit تتحرك نحوه النظريات والنظريات تقترب من بعضها اكثر لكنها لاتقترب من هذا الحد وهذا واضح في الشكل التالي .



والشيء المهم الذي نلاحظه هنا أن النظريات كلما اقتربت من بعضها كلما ازداد مجالها وتركيزها (أي كلما ازدادت البارسونية بها) وكذلك كلما ازدادت درجة الدقة في التنبؤ . وهذا يقودنا الي المعايير السابقة التي تناولناها عند الحديث عن تقييم النظرية فهذه المعايير تساعدنا في الاختبارات المتعلقة بمواقفنا المقترنة من حدود المعرفة العلمية . فاذا فسرت نظرية أ ونظرية ب نفس السلوك فاننا سوف نقبل النظرية ب علي انها الاحسن اذ ان مجالها احسن وخاصيتها البرسونية جيدة كما انها تتنبأ بدقة لأنها تعتبر تقريب تقديري جيد للمعرفة . وهكذا فان المعايير الثلاثة الاولي وهي المجال والبارسونية والتنبؤ تعتبر معايير أساسية في حالات كثيرة للمعيار الرابع وهو دقة التفسير .

وهناك خلال هذه العملية مايطلق عليه عملية الاحلال بمعني احلال نظرية محل اخري وهنا لايجب ان ننظر الي موقع النظرية هل هي في الامام أو في الخلف . فالنظرية جـ في الشكل السابق يمكن ان تكون اعادة تشكيل جيد للنظرية أ . فهناك ميل الي العودة الي الوراء في بعض الاحيان . فالنظريات تشبه حفلات الزفاف : بعضها قديم وبعضها جديد وبعضها متزمت والاخيرة تقدم نتائج لاقود ان نراها لكن كل النظريات الجيدة تقدم التنبؤات والتفسيرات والتركيز والمجال .

وهناك طريقة من الطرق للتفكير في دقة التنبؤ هي ان التنبؤ مقياس لقربنا من الحد والمشمل هنا هو أننا لانعرف ماهو الحد النهائي للمعرفة فنحن لانستطيع ابدا منع كل الاخطاء لمجرد اننا لانستطيع ان نملك كل الحقائق حتي داخل مجال علم الاجتماع . ولكن في هذا الصدد يمكن تقديم بعض الايضاحات البسيطة فيمكن ان

نبدأ بمبدأ بسيط وهو محاولة التنبؤ بالطقس وهي قضية نظرية بسيطة يمكن ان تعرضها كالاتي : سوف يكون الطقس تقريبا نفسه اليوم كما كان أمس . الآن هذا التاكيد فيه تنبؤ وفيه بعض الدقة حيث انه في الجزء المتوسط العربي من الولايات المتحدة الامريكية يمكن للفرد ان ينبأ بالطقس لمدة ثلاثة ايام من اربعة وبدرجة معقولة من الدقة . وليس هذا تنبؤ ضعيف فكل الاشياء تؤخذ في الاعتبار وهذه لايمكن ان يطلق عليها نظرية ممتازة ولكنه التقريب التقديري الاول للمعرفة .

فالنظرية هنا ليس بها دقة كبيرة لأنها لاتعالج تغيرات صغيرة في درجة الحرارة ، سرعة الرياح ، الضغط الجوي ، اتجاه الريح و ربما لانتقاد الاكبر هو ان النظرية لاتعالج التغيرات الكبيرة التي تقع كل ٣ أو ٤ ايام عندما تحل كتلة الجو محل كتلة اخري ولاتقول النظرية اشياء عن الاعاصير الرياح الهوجاء ، زعابيت المياه .. الخ

بالطبع فان علم الظواهر الجوية تقدم بدرجة كبيرة الان ، حيث ان اضافة تغيرات اكثر ، وتحسن العلاقات وتقديم روابط اجرائية جديدة كل هذا ساعد في امكانية التنبؤ بحالة الطقس لمدة تصل الي خمسة ايام ولكن بالنسبة للفترات الطويلة فمازال التنبؤ غير دقيق .

نفس الشيء يمكن ان يقال بالنسبة لعلم الاجتماع حيث اننا نستطيع ان نقدم تنبؤات معقولة عن التجمعات Collectives الاجتماعية بالعبارة الآتية : تستمر التجمعات الاجتماعية في عمل نفس الأشياء التي تعملها دائما . فهي عبارة لها كل

عوامل القوة وكل عوامل الضعف كما في مثيلتها (الظواهر الجوية) ولكنها تقريب أولي للمعرفة حيث أنها تسمح لنا بعمل بعض التنبؤات . ومن الطبيعي أننا نرغب في الوصول الي درجة من الدقة أكثر من ذلك ولكن الثمن هو أن نبني نظريات أكثر واضافة متغيرات أكثر وتحسين القياس ، وتطوير علاقات معقدة أكثر . ومن المأمول فيه أن الأساليب التي ناقشناها بالاضافة الي غيرها يمكن أن تساعدنا في التحرك نحو عمل تقديرات أحسن للمعضلات لاجتماعية .

هذا التعريف للمعرفة والذي سبق تناوله لايشمل كل ماهو هناك في الواقع . فالحد Limit في الشكل السابق ربما يسمي بدقة أكثر معرفة علمية ويحتاج الانسان الي ابتكارات فنية كثيرة كي يكمل صورة الواقع الاجتماعي . وأكثر من ذلك هناك مجموعة متعددة من المشكلات فالمتغيرات العامة كما ناقشناها ملائمة في العلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع وعلم السياسة والاقتصاد .

ويمكن اعادة صياغة السؤال المتعلق بالمعرفة ليصبح هل لعلم الاجتماع نظريات تقريبية للمعرفة ؟ للإجابة علي هذا السؤال يمكن القول أنه ليس لدينا معادلات معبر عنها بواسطة برهان أو دليل امبيريقي مثل القوة Force تساوي الكتلة Mass في السرعة Acceleration (ق = ك × س) . لكن هذا لايعني أننا لانملك اي معرفة سوسيولوجية . فالمعرفة مثل أشياء أخري كثيرة نجد لها درجات ففي بعض العلوم نجد أن بعض العلوم تملك كثيرا من هذه المعرفة والبعض الآخر من هذه العلوم تملك القليل من هذه المعرفة . فعلم النفس وعلم الاقتصاد مثلا لهما من المعارف أكثر مما لدي علم الاجتماع . ومنح جائزة نوبل لأحد علماء الاقتصاد لهو دليل علي ما وصل

اليه علم الاقتصاد من تقدم .

علم الطبيعة أيضا وعلم الكيمياء لهم من المعرفة العلمية أكثر مما لدي علم النفس وعلم الاقتصاد . اكم المعرفة يتأثر بعدد من العوامل يتوقف علي عدد السنوات التي مرت علي نشأة هذا العلم وعدد الاشخاص العاملين في هذا المجال وعدد من العوامل الأخري وبالنظر الي علم الاجتماع نجد أنه علم حديث نسبيا والمعارف المتوافرة لديه غير ناضجة نسبيا ولكنها بداية علي كل حال .

متضمنات التعريف فى بناء النظرية :

Implications of the Definition for Theory Construction

عملية بناء النظرية عملية مستمرة لاتنتهي ابدا حيث أن النظرية لاتبقي دوما صحيحة كلية أو خاطئة كلية لذا فنحن نحاول وباستمرار تحسين أوضاع النظرية من خلال تحسين اسهامات كل عنصر من عناصر بنائها وكذلك تحسين الخواص أو معايير تقويم هذه النظرية أو النظريات .

وكذلك فاننا يجب فيما وراء القضايا والنظريات واسعة المجال والمركزة (البارسونية) الوصول الي دقة أكثر في تنبؤاتنا وبالتالي دقة أكثر في تفسيراتنا .

ان مشكلتنا في علم الاجتماع أننا مازلنا نتحدث علي مستويات نظرية صغيرة . عزارة المفاهيم النظرية ، وبعض مجموعات القضايا النظرية ونتيجة لذلك فإن

الجهود المبذولة للاقتراب من المعرفة العلمية المطلوبة ليست دقيقة تماما ونتيجة لذلك فإن الجهود في هذا المجال محدودة للغاية .

اننا في حاجة لتقديم روشتة Prescription كبيرة أخري لبناء النظرية بهدف بناء تركيبات نظرية كبيرة فنحن في حاجة لتجميع نظريات العملية مع نظريات البناء ، كما أننا في حاجة الي أن نمزج افكار ماركس بأفكار دور كايم ، كما يجب ان نستكشف الرابطة بين تحليل النظام الموحد مع تحليل القيم ، نحن نريد أن يعرف ماذا يحدث علي سبيل المثال ماذا يحدث عندما يمزج الفرد نظرية الدور مع نظرية التوازن .

فكلما حدث مثل هذه الترابطات السابقة كلما استطاعت النظرية الاجتماعية أن تغطي مجالا جيدا وتحقق تركيزا معقولة ودقة محتملة في التنبؤ وتفسير عالي .

الصعوبات التي تواجه صياغة النظريات الاجتماعية :

يغد (محمد ، ١٩٨٤) عن هوماتر Homans مجموعة من العوامل يري أنها تقف حائل أمام صياغة النظريات الاجتماعية منها :

١ - تتسم غالبية العبارات العلاقية بطولها النسبي وبدرجة عالية من التعقيد علي الرغم من إغفال المتخصصين في النظرية عديدا من الخطوات المتبعة في صياغتها بدعوي أن هذه الخطوات مسلمات قبلية وأن عرضها في النسق النظري سوف يجهد القاريء ويؤدي الي تضليله .

٢ - لقد أدت صياغة النظريات باللغة العادية أو اللغة الدارجة في كثير من

الاحيان الي طمس معالم النسق الاستنباطي ولقد كان من الممكن التغلب علي بعض هذه الصعوبات لوعرضت النظريات في صيغ رياضية .

٣ - تكشف مناقشة علماء الاجتماع لمفهوم النظرية عن عدم قدرتهم علي ادراك المعني الدقيق لهذا المفهوم ويمثل بارسونز نموذجا واضحا لهذا الموقف حتي بات ان اغلب مانطلق عليه مصطلح النظرية السوسيولوجية يتكون في الواقع من مجموعة من المفاهيم والتعريفات علي نحو مماثل قاموس اللغة الذي يخلو تماما من القضايا وهذا موقف تمثله بارسونز أصدق تمثيل .

٤ - ان النظرية السوسيولوجية عندما تحاول الكشف عن العلاقة بين الظواهر لاتفصل ذلك علي نحو صحيح فهي لاتذهب الي أبعد من الاشارة الي ان ثمة علاقة قائمة ولكن حينما نقول أن أ هي وظيفة (ب) ونقف عند هذا المستوي دون تحديد الوظيفة فان هذا الارتباط لايسمح باتمام عملية استنتاج أو استنباط القضايا وهذا هو ما نلاحظه علي النموذج المثالي الذي استخدمه بارسونز في عرض الاحتمالية الثنائية للسلوك الاجتماعي . وهكذا يبدو واضحا انه حينما تنتقي صعوبة الاطار التصوري تصبح النظرية في نهاية التحليل مجموعة من القضايا التي استخدمها بارسونز وكل ما يمكن ان يقال في هذا الصدد ان هذه محاولات في نطاق العمل النظري وهو عمل وصفي في المقام الاول لايرقي الي مستوي النظرية .

٥ - ثمة مشكلة اخري بالغة الاهمية تتصل بالقضايا السيوسيولوجية وبخاصة تلك القضايا التي يتوقف صدقها علي ثبات مجموعة من العوامل ذلك اننا عادة

ماتجهل تلك العوامل بل ونجهل كذلك السبب الذي يدعونا للاحتفاظ بها ثابتة .

ملخــــص :

ان التعريف السابق للنظرية يوضح لنا لماذا نحن في حاجة الي ستة مجموعات مختلفة من الاساليب لبناء النظرية . انه من القضايا المثيرة للمناقشة انه عند اضافة عناصر اكثر لبناء النظرية فان هذا يجعلنا نقترب من حدود المعرفة كما انه يحقق لنا اختيارات افضل .

ان كون النظرية تشتمل علي ستة عناصر فإن هذا يحقق بعض الخصائص الضرورية ألا وهي مجال أكبر ، تركيزا حسن ، دقة في التنبؤ ، حدة في التفسير وهذه المعايير توضح لنا لماذا نختار نظرية ونترك اخري اذا كانت النظريتان تشرحان نفس الظاهرة . ومع ذلك فان نفس هذه المعايير توضح لنا ان عملية بناء النظرية عملية مستمرة والنظريات ممكن دائما أن يكون لها مجالا أكثر وتركيزا أكثر ودقة أكثر وحدة في التفسير أكثر .

وكلما استمرت عملية بناء النظرية فاننا نقترب من حيز المعرفة الكاملة التي هي الحقيقة ، او علي الاقل صورة دقيقة لعناصر الواقع الاجتماعي لذا فلابد ان نستمر في البناء ونعيد التكوين ونقوم بالتوفيق بين النظريات . فهي بالضرورة عملية لاتنتهي ابدا .

والمفاهيم المستخدمة في النظرية يجب أن يكون لها خاصية هامة وهي التجريدية والمقصود بها أن المفاهيم لاترتبط بأي نطاق زمني أو مكاني محدد فالمفهوم لايرتبط

بأشخاص معينين أو بمكان أو بزمان معين . وبالرغم من ان استخدام مفاهيم محددة في بناء النظرية الاجتماعية يعتبر شرطا حيويا الا ان هناك مشكلة نواجهها وهو كيفية ربط هذه المفاهيم المجردة بواقع الاحداث وبالمستوي التجريبي الذي يعيش فيه الباحث ولحل هذه المشكلة يجب ان يصاحب المفهوم المجرد سلسلة من التعاريف الاجرائية وهي تساعد الباحث علي ادراك الظواهر في العالم الحقيقي والتي يشير لها المفهوم المجرد .

الفصل الخامس

اولا: المفاهيم

ثانيا: العبارات

ثالثا: اشكال النظرية

سيناقش هذا الفصل أربعة قضايا مرتبطة بالمفاهيم هي :

(١) تعريف المفاهيم .

(٢) الفرق بين المفاهيم المجردة والمفاهيم المحسوسة .

(٣) العلاقة بين المفاهيم المجردة المستخدمة في القضايا النظرية والتعريفات الاجرائية ، والاجراءات الوصفية لقياس المفاهيم المجردة في محيطات مكانية وزمانية محسوسة (موقع البحث الامبيريقي).

(٤) تكميم المفاهيم النظرية والتعريفات الاجرائية .

فاذا كان من المسلم به أن أهداف المعرفة العلمية أن تقدم نظاما تصنيفيا ، دراسة للرموز ، تفسيرات ، وتنبؤات ، وفهم واع . اذن فإن من الواضح أن أولي هذه الاهداف هو دراسة الرموز والتي يمكن أن يعبر عنها بواسطة المفاهيم . أما

الأهداف الباقية (التفسيرات) التنبؤات ، الفهم الواع) فيعبر عنها بواسطة قضايا تحتوي علي مفاهيم علمية . لهذا فإنه بالنسبة لمعظم أهداف العلم فإن المفاهيم لايمكن الحكم عليها بعيدا عن القضايا التي تحتويها .

وبعبارة أخري فإن القيمة العلمية للمفاهيم يمكن أن يحكم عليها فقط في ضوء فائدتها العلمية . ويتم تقييم المفاهيم في ضوء وضوحها ويقاس الوضوح بواسطة درجة اتفاق من يستخدم هذه المفاهيم علي معناها .

اولا تعريف المفاهيم Definition of Concepts

المفاهيم هي المكونات الرئيسية للنظرية شيء عادة من مفاهيم . والمفاهيم تشير الي ظواهر معينة مثل الجماعة ، المنظمة الرسمية القوي ، التطابق ، الادراك .. الخ فكل منها يعتبر مفهوم يعزل ملامح العالم الاجتماعي التي تعتبر هامة واساسية لفرض تحليل معين . والمفاهيم تتكون من تعاريف والتعريف هو بناء مصطلحي يدل الباحثين علي الظاهرة المشار اليها بالمفهوم فمثلا مفهوم مثل النزاع يمكن ان يكون له معني فقط عند تعريفه ، فاذا قبلنا هذا التعريف له مثلا " النزاع هو التفاعلات بين الوحدات الاجتماعية حيث تعمل احدي هذه الوحدات علي منع الوحدات الاخري من ادراك مصالحها " فهذا التعريف لمفهوم النزاع يساعد العلماء علي ادراك الظاهرة المشار اليها بالمفهوم ، فالتعريف يساعد العلماء علي رؤية نفس الشيء وعلي فهم ماهو تحت الدراسة . وهكذا فالمفاهيم التي تعتبر مفيدة في بناء النظرية يجب ان يكون لها خاصية هامة وهو ان تحمل معني واحدا لكل من يستخدمها .

ولكن من حيث ان المفاهيم عادة يعبر عنها بكلمات اللغة الدارجة فانه من الصعب تفادي وجود بعض الكلمات التي لها معاني مختلفة وبالتالي تشير الي ظواهر مختلفة لمختلف العلماء ولهذا نجد معظم مفاهيم العلوم الطبيعية تعتمد علي مصطلحات فنية مثل الرموز الرياضية بينما في علم الاجتماع فان التعبير عن المفاهيم بهذه الطريقة لايعتبر أحيانا مستحيلا بل غير مرغوب فيه ايضا ولكن كل ما يمكن قوله في حالة علم الاجتماع هو أن الرموز اللفظية المستحدثة في تطوير مفهوم معين يجب ان تعرف بأكبر درجة ممكنة من الدقة حتي يمكن ان تعني نفس الشيء لكل الباحثين والدراسين

اذا رغب فرد في أن يشاركه آخر في أفكاره فيجب عليه أن يوصل افكاره بطريقة ما . وتتم عملية إرسال واستقبال الرسائل العلمية عن طريق اللغة سواء كانت لغة طبيعية أو مختزلة (مصطنعة) كما هو الحال في الرياضيات (أي لغة لايمكن أن تنتقل من جيل من العلماء الي جيل أخر) . ولهذا فان المشكلة تكمن في التأكيد علي أن المرسل والمستقبل يوافقان علي معني الرموز المستخدمة لتقديم المفاهيم .

وهناك نوعين من الرموز أو المصطلحات المستخدمة في أي لغة سواء كانت لغة طبيعية أو لغة مصطنعة (مختزلة).

١ - رموز أولية Primitive symbols :

وهي تلك التي يوجد موافقة مشتركة علي معناها ولكنها لايمكن أن توصف

باستخدام مصطلحات أو مفاهيم أخري .

٢ - رموز أو مصطلحات اسمية (مشتقة) Derived :(nominal) symbols

وهذه يمكن أن توصف باستخدام المصطلحات أو الرموز الاولية :

مصطلحات أولية		(توجد موافقة مشتركة بين من يستخدمها)
X	فـرد	محددة الأهداف
Y	يتفاعل	نظام اجتماعي
+	اثنين أو أكثر	قواعد واجراءات رسمية
مصطلحات مشتقة (اسمية)		(محـددة عـن طـريـق الجمـاعـات الاولـية)
$Z = Y + X$	جماعة -مزوين أو أكثر يتفاعلون بانتظام	منظمات رسمية - نظام اجتماعي محدد بقواعد واجراءات رسمية .

أما عن المصطلح المشتق (Z ، جماعة ، منظمة رسمية) وتعريفه فانه يتكون من مصطلحات اولية تعبر عن نفس المفهوم . والفائدة الرئيسية للمصطلح المشتق تكمن في أن استخدامه كافي ، كما أنه يتطلب مجهود أقل وأكثر مجموعة من الكلمات . والبعض يتجنب استخدام هذا المصطلح ويستخدم بدلا منه التعريف .

هناك مشكلة في العلوم الاجتماعية وهي اضافة معني للكلمات التي تم تعريفها

من منظمها وخاصة اذا استخدمت الكلمة في مفاهيم أخري أو بمعني آخر اذا كان لتلك الكلمات استخدام في مفاهيم اخري . وغالبا ما يعد هذا المعني المضاف - غير المقصود بواسطة الكاتب عن معني الجملة أو يحدد حلا واحدا لهذه المشكلة باستخدام رموز أو كلمات مخترعة ، وهي كلمات نادرا مانصادفها أو عبارات لايتنية بهدف وصف أو تعريف المفهوم ولكن مثل هذه المصطلحات يوجه اليها نقد لأنها عقيمة أو صعبة القراءة . ويصعب تحويل المصطلحات الأولية الي غيرها من مصطلحات لأنه لايمكن تعريفها بواسطة لغة أو رموز آخري .

ان معاني هذه المصطلحات يمكن أن تحول فقط بواسطة الأمثلة المشار اليها غير أمثلة المفهوم التي يشير اليها المصطلح . وعندما يحدث ذلك فإن الكاتب يمد القاريء بفرصة لكي يتعرف علي خبرته المناسبة لانطباعاته (اشارة ، أصوات ، ابتسامة .. الخ) والتي لايمكن وصفها ولكن يمكن تعريفها فقط من خلال مصطلح أولي .

باختصار ان الطريقة الوحيدة " لتحديد " مصطلح أولي هو التأكد من أن كل من يستخدمونه يربطون المصطلح لنفس المفهوم أي يشيرون الي حالات المفهوم وغير حالاته لكي يكون الآخر قادر علي المرور بخبرة الانطباعات الحسية التي تحدد المفهوم .

ولأن المصطلحات الأولية مترابطة غالبا وبصورة مباشرة بالانطباعات المشاركة فإن هذه المصطلحات تعتمد علي عدة أفراد يشاركون نفس الخبرات وغالبا ما يكون

مجموع العلماء الذين يشتغلون بنفس الظاهرة ذوي خبرات مماثلة وانطباعات مماثلة غير مشاركة بواسطة الاخرين . وهذه المجموعات المختارة من العلماء توافق علي معني مصطلحات أولية . ولكن بعض العلماء الذين يشتغلون بهذه الظاهرة أو غير العلماء يشعرون براحة تجاه هذه المصطلحات . إن أي فرد مدرب تدريبا جيدا يمكن أن يكون قادرا علي مشاركة هذه الخبرات الخاصة وأيضا علي معاني المصطلحات الأولية .

هناك نوعين آخرين من التعاريف يجب تناولهما هما :

١ - التعريفات القاموسية Dictionary definition :

والتعريفات القاموسية عبارة عن محاولات رئيسية لوصف المفاهيم المشار اليها بواسطة مصطلحات (أو كلمات) اللغة الطبيعية . والتعريفات القاموسية تعريفات دائرية بمعني ان الكلمة الاولي تقود الي الثانية ثم الي الثالثة التي تقود مرة أخري الي الكلمة الأولي . هذا لأن التعريف القاموسي لايمكن أن يكون واضحا أكثر من المصطلحات الاولية للغة الطبيعية .

٢ - التعريفات الحقيقية Real definition :

وهي تلك التعاريف التي تصف الحقيقة " الجوهر " أو " الخصائص " الحقيقية لموضوع أو ظاهرة ما . ويفترض هذا النوع من التعريفات أن الموضوعات أو الظواهر لها بعض الخصائص يمكن أن تكتشف أو توصف وهناك اتجاه حديث جدا يفترض ان الملاحظين يشيرون الي خصائص الموضوعات أو الظواهر وليست هناك

أية " حقيقة " غائبة يمكن أن تكتشف ونتيجة لذلك فإن التعريفات الحقيقية نراها بصورة أقل .

والخلاصة :

أن الجانب الاكثر أهمية لأي مصطلح علمي - يستخدم للإشارة الي مفهوم - هو درجة الموافقة علي معناه ، أي الموافقة علي طبيعة المفهوم . والمصطلحات المشتقة تتكون من مصطلحات أولية تشير الي مفاهيم يشارك فيها العلماء ، وتحقيق الموافقة بين المستمعين علي معني مصطلح معين أكثر أهمية من الصورة الحقيقية للتعريف نفسه .

المفاهيم المجردة فى مقابل المفاهيم المحسوسة

Abstract Vs. Concrete Concepts

يشير مصطلح " مجرد " الي نوعين مختلفين من خصائص المفاهيم ، والاستخدام الذي يتكرر كثيرا هو المقارنة بين المفاهيم المجردة والمفاهيم المحسوسة. وفي هذا الاستخدام فإن المفاهيم المجردة هي هذه المفاهيم المستقلة تماما عن مكان معين أو زمان معين . بمعني آخر فإن المفهوم المجرد لايرتبط بأي خلفية مكانية (الموقع) أو زمانية (تاريخية) . أما اذا كان المفهوم مرتبط بزمن أو مكان معين فيعتبر مفهوما محسوسا .

وفيما يلي أمثلة لمفاهيم مجردة ومفاهيم محسوسة :

مجـرد	محسـوس	الاختلاف المحسوس
درجة الحرارة	درجة حرارة الشمس درجة حرارة الارض يوم ٢٦ يوليو ١٨٦٧	محدد بمكان - محدد بمكان وزمان تاريخي
٣ أيام	٤ ديسمبر ١٩٦٧ الي ٦ ديسمبر ١٩٦٧	مجرد زمان تاريخي
اتجـاه	ماهي فكرة هاري عن الرئيس ماهي فكرة الرئيس عن هاري	مرتبط بنظام اجتماعي معين
نظام اجتماعي	الولايات المتحدة الامريكية شركة المحركات العامة	مرتبط بنظام اجتماعي معين
جماعة التفاعل وجها لوجه	جو ، هاري ، بيتر ، بوب من عائلة جونز	مجموعة معينة من الناس

في كل حالة من الحالات السابقة يكون معني المفهوم المحسوس متضمنا في معني المفهوم المجرد المرتبط به ، والاحداث المحسوسة عبارة عن أمثلة (حالات)

لمفاهيم مجردة .

إن أي قضية في جوهرها عبارة عن وصف لعلاقة بين اثنين أو أكثر من المفاهيم ، بينما تكون العلاقات مجردة دائما ومستقلة عن أي محتوي . ومستوي التجريد في القضية يعتمد علي مستوي التجريد في المفاهيم فاذا كانت المفاهيم مجردة تكون القضية مجردة واذا كانت المفاهيم محسوسة تكون القضية محسوسة .

ان للتجريد معاني كثيرة ناقشنا واحدا منها فقط (الاستقلال عن الزمان والمكان). ان مفهومين معينين قد يكونا مستقلان عن الزمان والمكان وتكون القضية اكثر تجريدا من غيرها . واذا كان هناك مفهوم متضمن داخل مفهوم اخر فان الثاني يعتبر اكثر تجريدا . مثلا مفهوم العاطفةSentiment اكثر تجريدا المحبة Liking فالعاطفة ميل عاطفي ناحية شخص اخر ومفهوم المحبة هو شعور ايجابي تجاه شخص لايعظ اخر بمفهوم العاطفة يمكن ان يشمل مفهوم المحبة ومع الحب " الاعجاب " وغيرها ، في هذا المثال نجد ان كما سبق ان اوضحنا ان مفهوم " العاطفة " اكثر تجريدا لانه يحتوي علي معني " المحبة " .

وهناك تساؤل هل يكون المفهوم اكثر تجريدا ؟

الاجابة بنعم أنظر مرة اخري علي سبيل المثال الي المفهوم " عاطفة " ، الحب ، التقدير ، المحبة ، الاحترام تعتبر كلها انواع مختلفة من العواطف . ان مفهومي المحبة والحب يرتبطان ارتباطا ايجابيا ولايحتمل ان يرتبطا ارتباطا سلبيا . من ناحية اخري من الممكن ان يكون الشخص غير محبوب ولكنه محترم ويكون هذان

الاتجاهان مرتبطان ارتباطا سلبيا . في مثل هذا الموقف من الصعب ان نحدد نوع العاطفة الموجودة بين الشخص الاول والشخص الثاني حيث ان عدم الحب اتجاه سالب اما الاحترام فهو اتجاه موجب . ان المفهوم النظري " عاطفة " متداخل كثيرا كما انه مجرد وتواجهنا صعوبة عندمانحاول تحديد وجوده .

ان هذا يقودنا الي ضرورة تحديد معيار لتقدير ما اذا كان المفهوم النظري مجرد جدا أو واسع جدا وهذا المعيار ولسوء الحظ يعتمد علي فهم معني " المفهوم الاجرائي " . ببساطة ان المفهوم الاجرائي عبارة عن مجموعة من التعليمات أو الأسس مستقلة عن الزمان والمكان (أي مجردة) والتي تشرح الاجراء التي تتيح للفرد تحديد عما اذا كان المفهوم في موضعه الخاص .

وبصورة عامة تعتبر المفاهيم النظرية اكثر تجريدا من التعريفات الاجرائية وتكون التعريفات الاجرائية المتعددة بمثابة " مؤشرات " لمفهوم نظري واحد .

فالمفهوم النظري هو أي مفهوم يكون اكثر تجريدا من أي تعريف اجرائي أو اجراء للقياس ويعتبر جزءا من نظرية أو يتوقع ان يكون له فائدة في تلخيص نظرية .

هذا يعني ان مفهوم " عاطفة " ، " محبة " ، " احترام " وغيرها تكون مؤهلة لأن تكون مفاهيم نظرية حيث انها اكثر تجريدا .

ويعتبر المفهوم النظري اكثر تجريدا اذا كانت نتائج مجموعة التعليمات أو الاسس لتحديد الحالات الاجرائية للمفهوم غير متسقة مع نتائج المجموعة الثانية من

التعليمات لتحديد المفهوم نفسه . فالمفاهيم لاتحتاج لأن تكون مرتبطة ايجابيا ولكنها في نفس الوقت لايجب ان تكون مرتبطة سلبيا . اما اذا وقع مثل هذا الارتباط السلبي فان من الصعب الموافقة علي متي تحدد وقائع المفهوم .

واخيرا : يمكن القول ان المفهوم النظري لايجب ان يكون محسوسا ، ولايجب ايضا ان يكون مرتبطا بحالة زمانية أو مكانية معينة ، ولايجب ايضا ان يكون اكثر تجريدا الي الحد الذي نجد صعوبة في تحديد حالاته . ان تقرير مستوي التجريد الاكثر فائدة للمفاهيم النظرية يعتبر نوعا من الحكم ، والبرهان . فتحديد المستويات الهامة للمفاهيم النظرية المجردة علي المستوي الحقيقي يعد من الأمور الهامة لابداء الرأي . وبالنسبة للدليل التجريبي فلقد اصبح من السهولة تحديد اذا ما كان المستوي الصحيح للمفهوم التجريبي قد تم فهمه .

قياس المفهوم Concept Measurement :

من أحد الخصائص الهامة التي يجب ان تكون في العبارة العلمية هو امكانية مقارنة العبارة ببعض الظواهر أو الظاهرة . ويعتبر البرهان الامبيريقي احد الخصائص الهامة لأي قضية علمية حيث من الممكن مقارنة القضية بالظاهرة أو ببعض الظواهر ، وهذا يتم بالاشارة الي حالات المفاهيم النظرية في محيطات محسوسة ، بمعني انه من المهم ان ترتبط المفاهيم النظرية بانطباعات حسية في مواقف حسية ، ومع ذلك فليس من الضروري ان المفاهيم المتضمنة في مجموعة من القضايا أو في نظرية يمكن ان تقاس فليس هناك شخص شاهد حقيقة ذره أو

الكترون ، ولكن ما نلاحظه هو الاثار المترتبة علي الالكترونات أو الذرات .

ويطلق علي المفاهيم النظرية التي يصعب ان تقاس مباشرة في محيط محسوس بالمفاهيم الافتراضية . ونحن نحاول التوصل الي انواع من التعريفات لتزودنا بأسس أو قواعد تقرير المفهوم النظري في محيطه الحسي وتسمي هذه التعريفات بالتعريفات الاجرائية .

ويمكن ان نعرف التعريف الاجرائي Operational definitions :

" التعريف الاجرائي هو مجموعة من الاجراءات التي تصف الانشطة التي يؤديها الملاحظ كي يستقبل انطباعات محسوسة (أصوات - انطباعات بصرية وغيرها) تشير الي وجود أو درجة وجودها في المفهوم النظري .

ويجب أن تكون التعريفات الاجرائية مستقلة عن الزمان والمكان حتي تستخدم في محيطات محسوسة مختلفة وفي أزمنة مختلفة .

وعلي سبيل المثال من الممكن ان نقيس " قلق " الفرد أي الحالة الانفعالية لقلقه بأي طريقة من الطرق الثلاث الاتية :

١ - من خلال الملاحظة المدربة حيث يسمح للملاحظين المدربين مثل علماء النفس التحليليين كي يقدموا حكمهم فيما يتعلق بدرجة القلق .

٢ - ان نقيس نشاط الاعضاء الفسيولوجية مثل قياس ضغط الدم ، معدل التنفس ، نشاط الغدة الدرقية وغيرها .

٣ - من خلال اعطاء الفرد استمارة استبيان ودراسة نماذج الاجابات فمثلا اذا كانت الاجابة بنعم عن السؤال : هل تشعر بأن الحجرة غير مريحة فان الاجابة تدل علي درجة من القلق اكثر منها في حالة الاجابة بلا .

ان كل اجراء من هذه الاجراءات يمكن ان يحدد في علاقته بالمفهوم النظري للقلق ويمكن ان يستخدم لقياس القلق في مواقف مختلفة . فكل اجراء يحدد ما يفعله الفرد ليكتسب انطباعا حسيا مرتبطا بدرجة القلق عن فردا آخر .

وهناك مثال آخر يوضح ذلك فمثلا لو كان المطلوب تحديد الحالة الكهنوتية أو القوة أو المكانة وذلك في جماعة المناقشة وجها لوجه وبالرغم من عدم امكانية قياس الحالة الكهنوتية مباشرة ، الا ان هناك اجراءات عديدة وخطوات لها صلة بمفهوم الحالة الكهنوتية وتستخدم لتحديد الجماعة الخاصة وتشمل تلك الاجراءات الخطوات التالية :

١ - منزلة ورتبة الاعضاء في الجماعة المتعلقة بقوة التحدث عند المبادرة .

٢ - منزلة ورتبة الاعضاء في الجماعة المتعلقة بعظة التحدث عن النواحي المستقبلة .

٣ - منزلة ورتبة الاعضاء في الجماعة من خلال قوتهم ومكانتهم في الجماعة من خلال الحكم الواضح للملاحظين .

٤ - متوسط منزلة جميع اعضاء الجماعة التي يقبلها الاعضاء والمرتبطة بنفوذهم وتعاونهم مع الاخرين .

٥ - السماح للاعضاء باتخاذ القرارات نحو المشاكل الخاصة ثم عمل ما يطلق عليه جماعةالقرار Group decision ويتم ترتيب اعضاء الجماعة وفقا لدرجة الاتفاق علي القرار الذي تتخذه الجماعة (جماعة القرار) . ويتم ترتيب الاعضاء في الجماعة وفقا لتأثير قرارهم علي قرار الجماعة حيث يتحدد نفوذهم أو قوتهم .

ومرة اخري فان كل تلك الخطوات المتعلقة ببعض اشكال وانواع المفاهيم النظرية للحالة الكهنوتية توضح للباحثين كيفية الحصول علي احساس وانطباع يرتبط بالمفهوم النظري .

وعندما يكون المفهوم النظري معقدا مثل الامثلة المختلفة للحالة الكهنوتية ، فهناك كثير من التعاريف الاجرائية يجب ان تكون مرتبطة بنفس المفهوم النظري مثل الطرق الخمس السابقة لقياس القوة والمكانة والمنزلة .

وهناك تساؤل هام يدور بخصوص التعاريف الاجرائية هو هل من الواجب ان تكون كل التعاريف الاجرائية الممكنة ذات علاقة ايجابية ؟ ويمعني آخر وبصورة اخري هل من الضروري ان القراءة المتمكنة والعالية والتي يتمتع بها فرد ان تساعد في تحقيق قراءة متمكنة لاخر ؟

والاجابة في هذه الحالة هي بالنفي وذلك لأن بعض معاني المفاهيم النظرية لاينبغي ان تقاس عن طريق كل تعريف اجرائي ممكن فمثلا ترتيب منزلة الاعضاء من ناحية الدور الذي يؤديه (التحدث مباشرة لهم) لايجب ان يكون مرتبط ايجابيا

مع درجة تأثيرهم علي قرارات الجماعة . فكل تعريف اجرائي له علاقة بالاشكال المختلفة لمفهوم الحالة الكهنوتية .

وهناك علاقات مختلفة ومحتملة بين التعاريف الاجرائية :

فأولا :

هناك علاقة وارتباط ايجابي وموجب بمعني انه لو كان أحد المقاييس ذا قيمة عالية فإن الأخر سيكون ذا قيمة عالية أيضا .

وثانيا :

فهناك كذلك ارتباط سلبي بمعني انه اذا كان احدهما ذا قيمة عالية فإن الاخر سيكون ذا قيمة منخفضة .

وثالثا :

قد لايكون هناك ارتباط حيث ان قيمة أحد المقاييس تكون مستقلة عن المقياس الآخر . وعموما وعلي المدي البعيد فإن أي تعريفان اجرائيان ليس بينهما أي ارتباط سلبي فإنه في هذه الحالة لاتبرز مشاكل وهذا يعني انه من الممكن أن يرتبطا ايجابيا أو قد لايكون بينهما ارتباط .

مثال علي ذلك مفهوم المرتبة أو المنزلة Status rank وهي مركز الافراد مع الاهتمام بالحالة الفردية في حالة جماعة صغيرة العلاقات فيها وجها لوجه نجد أن هناك وسيلتان لقياس مفهوم المنزلة وله تعريفان اجرائيان :

الأول :

هو ميل اعضاء الجماعة لاختيار فرد يمثل مكانة اجتماعية حيث يتم اختيار هذا الشخص نو المكانة الاجتماعية المرتفعة من خلال استخدام وسائل القياس الاجتماعي .

ثانيا :

المقياس الثاني هو شعور أفراد الجماعة بأن هذا الفرد له فاعليه في الجماعة وعلي هذا فإن هذا الفرد يمثل أعلي مكانة ومنزلة .

فإذا كان هذان المقياسان الاجرائيان للمنزلة بينهما ارتباط ايجابي ففي هذه الحالة لايوجد مشاكل في القياس أما اذا لم توجد علاقة بين هذين المقياسين للمنزلة فحينئذ توجد بعض العراقيل في القياس الا أن هذه المعوقات قد لاتكون واضحة بدرجة كبيرة سواء في طبيعة المفهوم النظري للمنزلة أو خطوات قياس المنزلة وعكس ذلك صحيح تماما اذا كانت العلاقة بين التعريفان الاجرائيان سلبية .

لقد ركزت المناقشات السابقة علي العلاقة بين المفاهيم النظرية والتعاريف الاجرائية وخاصة درجة الاتفاق بين تعريفان اجرائيان أو أكثر لقياس مفهوم نظري منفرد والمعيار الرئيسي الأول في تقييم التعريف الاجرائي كطريقة للقياس هو في الموضوعية أو اتفاق وجهات النظر حياله فلو طبق التعريف الاجرائي واسطة ملاحظان لهما نفس الخبرة ونفس الانطباع لقياس ظاهرة معينة وحدث بينها اتفاق في وجهات النظر فهذا يعني قوة المقياس الاجرائي . أما المعيار الثاني فهو العلاقة

بين التعريف الاجرائي والمفهوم النظري فكلما كان التعريف الاجرائي معبرا عن الظاهرة التي يتناولها المفهوم النظري كلما عكس ذلك قوة التعريف الاجرائي .

القياس الكمي للمفاهيم Quantification of Concept :

عالجت المناقشات السابقة كل المفاهيم بالتساوي بهدف معرفة نوع الحادثة أو الظاهرة التي تصفها مثل الزلزال ، الشخصية ، درجة الحرارة ، الذكاء ، النظام الشمسي ، السرعة ، علاقة الوجه للوجه في الجماعة الصغيرة وغيرها . كما أنه أصبح من المرغوب فيه أن نضع قضايا دقيقة عن الوقائع أو الموضوعات حث انه أصبح من الضروري أن نأخذ في الاعتبار أنواعا مختلفة من المفاهيم .

والمفاهيم يمكن أن تنقسم الي قسمين عامين :

١ - تلك التي تشير الي موضوع أو ظاهرة .

٢ - تلك التي تشير الي خصائص موضوع أو ظاهرة تختلف في الدرجة والمفهوم الذي يشير الي مواقف أو حالات تختلف في الدرجة بتشابه مع المفاهيم التي تختلف في الكمية وبالتالي في مستويات التكميم .

وبالتالي فإن عبارة مستويات التكميم تستخدم عندما يختلف مفهوم في الدرجة أو يشير الي ظاهرة تفرض وجود حالات مختلفة أو درجات مختلفة حيث يعبر عن كل حالة من الحالات برقم (بالرغم من أنه في بعض مستويات التكميم فأن هناك تصنيفات اخري ملائمة تستخدم الحروف أو الرموز).

ان تكميم المفاهيم يرتبط عادة بالتعريفات الاجرائية مثل قياس الاتجاهات على مقياس من - ٣ الي + ٣ ولكنه يمكن أن يطبق علي المفاهيم النظرية .

وهناك أربعة مستويات للقياس تستخدم في القياس الكمي للمفاهيم وهي :

١ - المستوي الاسمي .

٢ - المستوي الرتبي .

٣ - المستوي الفتري .

٤ - المستوي النسبي .

أولا : المستوي الاسمي The Nominal Level :

اذا ما تمثل المفهوم في شكل حالات منفصلة بمعني انه يتكون من اجزاء ليس لها علاقة واضحة ببعضها ففي هذه الحالة فإن وصف حالة المفهوم يتحدد بعنوان كل حالة فلو أمكننا تحديد حالات المفاهيم في أي صورة فإنه وفي هذه الحالة يطلق عليها المستوي الاسمي للتكميم ويلاحظ أننا هنا لانخلط مع التعريفات الاسمية (التعاريف التي تتكون منها المصطلحات الاولية) . والمفهوم مجالاته الأربعة يمكن أن يوصف كالآتي :

	A	B	C	D
Or:	1	2	3	4
Or	G	U	R	K
Or	3.56	5	10.-	4.3

وأي تصنيف من هذه التصنيفات يعتبر ملائما اذا أشار وبوضوح الي الحالات المختلفة وهناك مفاهيم نظرية كثيرة يمكن قياسها كميا باستخدام المستوي الاسمي من القياس فمثلا " تركيب المكانة " كمفهوم نظري مثلا يمكن أن تكون له حالتين : إما مجموعة من الأفراد يملكون أو لايملكون وكذلك أنماط الشخصية ممكن أيضا أن تكون مفهوما اسميا فالأفراد يمكن أن يصنفوا في الانماط الاربعة للشخصية .

وهناك تعريفات اجرائية كثيرة علي المستوي الاسمي نذكر بعضها علي سبيل المثال الجنس (ذكر أو انثي) ، الحالة الاجتماعية (اعزب ، متزوج ، مطلق ، ارمل) .

وباختصار ان الحالات المختلفة لتكميم المفاهيم علي المستوي الاسمي من الممكن أن تعنون فقط ولاتوجد عبارة مؤكدة خاصة بالاختلافات بين جميع الحالات الا اذا قيل ان الاختلافات قد تم التعرف عليها .

ثانيا : المستوى الرتبي The Ordinal Level :

عندما يكون للمفهوم مجموعة من الحالات التي يمكن أن ترتب في نظام أو شكل عددي بمعني آخر عندما يأخذ المفهوم شكل مجموعة من الاشياء أو الخصائص التي يمكن ترتيبها ففي هذه الحالة يمكن افتراض ان بعض السمات قد تكون متصلة من خلال ترتيب الخصائص . فعلي سبيل المثال فان الانظمة الترتيبية الآتية ممكنة .

A B C D E

A B C D E

E D C

1 2 3 4 5

5 4 3 4 5

يلاحظ ان كل حالة من الحالات السابقة تعني شيئا كما انها توجد باستمرار بين حالتين أحدهما أكبر والاخري اصغر ولهذا فان هذا التصنيف لابد وأن يحفظ شكل النظام الترتيبي للقياس ويلاحظ ان الفرق بين A ، B ليس بالضرورة ان يكون هو نفس الفرق بين B ، C ولكن الملاحظ ان B لابد وان تقع باستمرار بين C ، A .

ومثال علي ذلك انه بالنسبة لتقييم الطلاب نجد ان هناك مستويات رتبية معينة تشكل اداء الطلاب ويلاحظ منها ان A اكبر من B وكذلك فان B اكبر من C وكما ذكرنا سابقا فان الفرق بين A ، B لاينبغي دائما ان يكون مساويا للفرق بين B ، C .

والواقع ان معظم المفاهيم النظرية في العلوم الاجتماعية تنرج تحت المستوي الرتبي للقياس فمثلا في الجماعات الصغيرة أو جماعات الوجه لوجه نجد أن الافراد يرتبون حسب المكانة النسبية علي مقاس ترتيبي كذلك فان الاتجاهات غالبة ماتكون ايجابية أو حيادية أو سلبية .

وباختصار فان المستوي الترتيبي للقياس يطبق علي المفاهيم التي يوجد بينها تبانيات وان هذه التبانات يمكن ترتيبها بطريقة منتظمة .

ثالثا : المستوى الفترى (الفاصل) The Interval Level :

وفي هذا المستوي يتم ترتيب السمات المقاسة بانتظام ، ليس هذا فقط بل ان الفروق بين السمات يكون لها دلالتها .

يمكن توضيح ذلك في الشكل التالي :

. A		. B		. C		. D		
. F		. G		. H		. 1		
. 3	3.5	. 4	4.5	. 5	5.5	. 6	6.5	. 7
. 45		. 46		. 47		. 48		. 49

ويلاحظ أن الفترات أو المستوي الفاصل للقياس لابد وأن يكون نفس القيمة في كل حالات قياس المفهوم حيث يلاحظ أن جميع الحالات مرتبة بانتظام كما وأن الفروق بين الحالات لابد وأن يكون لها معني . فالفروق بين مجموعة النقط المتجاورة ثانيا (٤٦ – ٤٥ ، ٤٧ – ٤٨) ، (G - H) (A - B) ولذلك فان مقارنة الفرق بين أثنين من المكونات يكون له معني .

ومن الإهمية بمكان ملاحظة انه بالرغم من أن الفترات بين الحالات متساوية الا

أنه لايوجد صفر مطلق فعلي الرغم من ان الفترات بين الحالات الاختلاف بين ٦ ، ٣ علي اساس ان رقم ستة أكبر بثلاث مرات من ٣ وكذلك أكبر ثلاث مرات من الفرق بين ٦ ، ٥ فان حالة ٥ ، حالة ٣ لايمكن أن تقارن مباشرة حيث أن نقطة الصفر غير معروفة .

وعلي الرغم من أن المفاهيم النظرية ذات الفواصل المتساوية الرتبة تزخر بها العلوم الطبيعية مثل درجات الحرارة مثلا الا أن هذه المفاهيم صعبة الوجود في العلوم الاجتماعية . الا أن هذا لايمكن ان يكون مطلقا اذ توجد الكثير من المفاهيم النظرية ذات القياس الفتري فمثلا لو حاولنا وضع الانماط المعروفة للمكانة الاجتماعية في شكل مقياس فتري ولو افترضنا ثلاث حالات من مستويات المكانة : منخفضة ، متوسطة ، عالية ، فانه في هذه الحالة نجد أن رجل المطافي يقع في المنزلة المنخفضة والمهندس الكهربائي في المنزلة المتوسطة والطبيب في اعلي مكانة واذا كانت الفروق في المكانة بين رجل المطافي والمهندس مساوية للفروق بين المهندس والطبيب فانه في هذه الحالة لابد من تكميم المفهوم النظري للمكانة علي مقياس فتري فاذا كان الامر كذلك فإن الطبيب لن تكون مكانته ضعف مكانة المهندس ولكن الفرق بين الطبيب ورجل الاطفاء سوف تكون ضعف الفرق في المكانة بين الطبيب والمهندس .

وهناك مثال تقليدي اجرائي ذو مستوي فتري هو درجة الحرارة وهو يستخدم بكثرة لأن معظم الناس يألون مقياسين عاديين لقياس درجة الحرارة أحدهما المقياس المئوي والثاني هو المقياس الفهرنهيتي . والفرق بين درجات الحرارة

كمفهوم مجرد وذلك عندما يتجمد الماء وعند غليان الماء ثابت فترا . الا أن الاختلاف بين درجات الحرارة علي المقياس المئوي والفهرنهتي هو ان الأول له تدريج مائة مضلة بينما الثاني يدرج الي مائة وثمانون مضلة . أي أنه في هذه الحالة هناك فرقان في درجة الحرارة .

وبالنسبة لمفاهيم العلوم الاجتماعية فإن المقاييس العملية والاجرائية علي المستوي الفتري من السهولة معرفتها بالمقارنة بالمفاهيم المجردة الفترية . فعلي سبيل المثال فإن الاتجاهات تقاس كثيرا علي مقياس مثل .

محبب								غير محبب
+ ٤	+ ٣	+ ٢	+ ١	صفر	- ١	- ٢	- ٣	- ٤

فاذا افترض الباحث أن الفرق بين + ٢ ، + ٤ هو نفس الفرق بين صفر ، - ٢ فهذه محاولة لتطبيق قياس ذو مستوي فتري .

وهناك اتجاة لعلماء الاجتماع فحواه الاعتقاد بأن المقاييس قد صممت علي المستوي الفتري للتكميم حتي اذا لم يكن ذلك واضحا تماما . ويرجع هذا الي أن معظم المقاييس المفيدة (مثل المتوسطات) والاختبارات الاحصائية تحتاج أو تتطلب قياسا علي المستوي الفتري . وللحصول علي مزايا تلك العمليات الاحصائية فأن العلماء الاجتماعيون يقومون بتجريد وتشكيل بياناتهم بحيث تكون علي المستوي الفتري خاصة اذا شعروا ان هذه البيانات تحوي معلومات أكثر مما تتضمنه علي المستوي الرتبي للقياس .

رابعا : المستوي النسبي The Ratio Level :

تعتبر المقارنات المباشرة احدي العمليات التي لايمكن اجراؤها بواسطة الارقام التي تشير الي مواقع علي قياس فاصل أو فتري ، فعلي سبيل المثال نسبة رقمين لايمكن حسابها حيث أن الارقام المستخدمة لتصنيف المواقع اعتباطية (نسبة نقطة غليان الماء الي نقطة تجمده هي ١٠٠ : صفر اذا استخدمنا مقياس درجة الحرارة المئوي ، ٢١٢ : ٣٢ اذا استخدمنا مقياس درجة الحرارة الفهرنهيتي).

ومن الواجب الاشارة الي أن حساب النسبة تأتي من مقارنة الفرق في الأطوال بين جزئين والذي يبدأ من الصفر . ومن أحسن المفاهيم المعروفة في العلوم الطبيعية سواء النظرية أو العملية وعلي المستوي التكميمي الزمن والأطوال والمسافات ، الكتلة، الوزن ، وكلها مفاهيم تبدأ من الصفر علي مقياس فتري نظريا واجرائيا ولهذا يقال انها " أبعد مرتين " ، " اسرع مرتين " ، " اشكل مرتين " وكلها لها معاني واضحة وغير غامضة . وعلي العكس من ذلك لايستطيع الفرد ان يقول " زي مرتين " ، أو متمامل مرتين " حيث انه لايوجد طريقة لمعرفة أين يقع صفر الذكاء أو صفر التحايل أو صفر المكانة .

تعليقات عامة على القياس الكمى

General Comments on Quantification

في البحوث الواقعية تستخدم الاعداد في معظم التعريفات الاجرائية والبيانات الخاصة بتشغيل المعدات الاوتوماتيكية تكون مصممج لتعالج الارقام ، ولهذا فانه من الناحية الاقتصادية يجب أن تكون المقاييس في صورة ارقام . ويلاحظ أن معظم المقاييس نو التعريفات الاجرائية في العلوم الاجتماعية تقع علي المستوي الاسمي والرتبي والفتري من القياس .

الا أنه من الصعوبة بمكان أن نكمم المفاهيم النظرية ، فمنها الكثير الواضح علي المستوي الاسمي فعلي سبيل المثال جماعة من الأفراد يشكلون بناء اجتماعي اذا حدث تفاعل اجتماعي اذا لم يتفاعلوا ابدا . فالبناء الاجتماعي يدرك بوضوح علي المستوي الاسمي ومع ذلك فإن خصائص وسمات البناء الاجتماعي مثل الفروق بين الأوضاع الاجتماعية أو ما يطلق عليه أفضلية درجة المكانة يمكن أن تدرك علي المستوي الرتبي للقياس مثل عالي ومتوسط ومنخفض المكانة .

مثال آخر هو درجة التصنيع في المجتمع حيث يمكن قياس عدد من الخصائص الصناعية مثل اعداد التليفونات ، وحجم القوة الهيدروليكية ، أميال الطرق المعبدة ، وهكذا علي مقياس فتري أو نسبي . كل هذه الخصائص يصبح واحدا من التعريفات الاجرائية المفيدة لقياس المفهوم النظري ودرجة التصنيع ، ومع ذلك فإن المفهوم النظري نفسه قد لايكون قابلا للتعديل الي اكثر من المستوي الرتبي للقياس

. فباستخدام هذه المقاييس المختلفة (اعداد التليفونات ومثلها) يكون الفرد قادرا علي أن يرتب A ، B ، C في ضوء درجة التصنيع ، ولكنه لايكون قادرا علي أن يقارن الفرق بين A ، B بالفرق بين B ، C . هذه المشكلة المتعلقة بتطوير مقياس يشمل خصائص متعددة وغير متماثلة لمفهوم نظري واحد تسمي " مشكلة التجميع".

إن أحد الفوائد الرئيسية للتكميم انه يسمح بتوافر جمل أكثر دقة تختص وتتصف بدرجة من الاتحاد أو الترابط بين اثنين أو أكثر من المفاهيم .

أن احد الانشطة الهامة في البحث العلمي هي مناقشة العلاقات بين المفاهيم . فالأنماط المختلفة من العلاقة يمكن أن تصنف الي مستويات مختلفة من التكميم بنفس الطريقة كالمفاهيم .

ملخص واستنتاج :

يمكن أن نلخص هذا الفصل في المبادىء التالية :

١ - اذا استخدم مصطلح اولي فلابد من أن تكون هناك موافقة بين العلماء المتخصصين علي معناه .

٢ - يجب أن تعرف المصطلحات المشتقة بواسطة المصطلحات الأولية .

٣ - يجب أن تكون هناك موافقة مشتركة عن معني كل المفاهيم النظرية بين العلماء المتخصصين .

٤ - يجب أن تكون هناك موافقة مشتركة عن أي من التعريفات الاجرائية كمؤشرات للمفاهيم النظرية .

٥ - لايرتبط أي تعريفيين اجرائيين ارتباطا سلبيا اذا كانا مؤشرين لنفس المفهوم النظري .

٦ - يجب أن تكون هناك موافقة علي مقاييس المتحصل عليها عندما يطبق فردين مدربين نفس التعريف الاجرائي .

٧ - ليس بالضروري أن تقاس كل المفاهيم النظرية في مواقف محسوسة .

٨ - من الممكن أن تصنف التعريفات النظرية والاجرائية الي اربعة مستويات من

القياس : اسمي ورتبي وفتري ونسبي .

٩ - ان استقصاء الاسئلة العلمية الهامة لايجب تجنبه بدعوي أن المفاهيم الدقيقة (المكملة) لايمكن استخدامها .

وفي الختام :

فإنه يجب الحرص وملاحظة انه مهما كانت مجموعة التعريفات بقيقة وواضحة ومقبولة بوجه عام وحتي اذا كانت هذه التعريفات مقاسة كميا فانها لايمكن أن تمدنا الا بأجراء تنظيم وتصنيف الموضوعات أو الظواهر . فهذه التعريفات لايمكن أن تستخدم للتنبؤ والتفسير أو للفهم الوا ع الا من خلال قضايا تصف العلاقات بين المفاهيم ففي هذه الحالة فإن الأهداف الاخري للعلم يمكن أن تتحقق .

ثانيا : العبارات : Statements

ترتبط المفاهيم ببعضها عن طريق العبارات النظرية فالمفهوم في حد ذاته يشير الي وجود ظاهرة ما والمفهوم المتغير يساعد الباحث علي إدراك مدي التباين في هذه الظاهرة . ولكن العلم يجب ان يتعدي مرحلة الاشارة الي ماهو موجود أو وصف التغير في شيء موجود فالهدف النهائي هو فهم كيفية حدوث ظواهر أو احداث متصلة ببعضها . فمثلا مفهوم مثل النزاع ، الوحدة الاجتماعية ، الرابطة يمكن ايضاح العلاقة بين هذه المفاهيم الثلاثة في العبارة النظرية التالية :

" كلما زاد النزاع بين الوحدات الاجتماعية كلما زاد الترابط داخل كل وحدة ".

وهذه العبارة تعتبر مجردة لأنها تتحدث عن نزاع محدد بين وحدات محددة في وقت معين أو مكان معين كما أن هذه العبارة نظرية لأنها تتناول العلاقة بين ثلاث ظواهر اجتماعية . وعن طريق ايجاد مؤشر لكل مفهوم (تعريف اجرائي) يمكن اختبار هذه العلاقة في العبارة النظرية .

وعادة فإن العبارات النظرية لاتقوم بمفردها ولكن عادة ماتنتظم في انظمة معينة من العبارات فكما ترتبط المفاهيم ببعضها ترتبط العبارات ببعضها في شكل معين .

ويتناول هذا الفصل شرح اشكال العبارات المستخدمة للتعبير عن كل من المعرفة العلمية والنظرية . وتصنف العبارات الي :

١ - . Existence Statements

٢ - Relational Statements

ثم في النهاية سيتم تناول خمسة نماذج من العبارات النظرية وهي (القانون Lows) ، (البديهيات Axioms) ، (القضايا Propositions) ، (المفترضات Hypotheses) ، (التعميمات التجريبية Empirical generalization) .

EXISTENCE STATEMENTS

يمكن تقسيم العبارات كما سبق أن أوضحنا الي مجموعتين :

أ - مجموعة تحتوي علي المفهوم .

ب - مجموعة تشرح العلاقة بين المفاهيم .

مثال على ذلك :

الموضوع هو الكرسي	That object is a chair .
الكرسي لونه بني	That chair is brown

That object is a person　　　　الموضوع هو الشخص

العبارات السابقة لديها نفس الشكل والمصطلح حدد بمصطلح من خلال موضوع ..... وبمعني آخر فإن الموضوع تحدد بكلمة موضوع ، كرسي ... الخ ولقد استقر علي موضوع موجود وتمثل في بعض المفاهيم مثل كرسي ، بني ، .... الخ ويلاحظ ان العبارات اذا كانت تشير الي وجود أو درجة وجود الشيء فإنها تعتمد علي مستوي التكميم في المفهوم النظري .

والعبارات من نوع Existence statements قد تكون أكثر تعقيدا في اساس تكوينها فعلي سبيل المثال :

أ – هناك أكثر من فردين في الجماعة س

ب – كل فرد يستطيع أن يتحدث للأفراد الآخرين في النواحي الشخصية في الجماعة س .

جـ – يستطيع كل شخص أن يكون انطباع شخصي عن الأفراد الآخرين في الجماعة س .

هذه الخصائص السابقة تعبر عن مفهوم الجماعة الصغيرة ذات العلاقة وجها لوجه والتي قد تكون اسره أو جماعة أصدقاء مثلا .

في هذه الحالة فإن مفهوم جماعة صغيرة وجها لوجه تمثل في الجماعة س لأنها تمتلك الخصائص أ ، ب ، جـ .

ونظرا لأن الشكل السابق مماثل لشكل التعريف ، لذا فإن الاختلاف بين التعريف وبين Existence Statements يجب أن يكون واضحا فالتعريف يشرح خصائص المفهوم أما العبارة فهي ادعاء ومعلومة للخصائص ، ولذلك فان المفاهيم توجد في العالم الحقيقي فالتعاريف تصف المفاهيم والعبارات تؤيد المفاهيم .

وقد تكون العبارات صحيحة أو خاطئة وهذا يعتمد علي الظروف فعلي سبيل المثال أن تقول أن الظهيرة في أي مكان يوم كذا كان واحدا في مختلف البلدان .

العبارات العلاقية : Relational Statements

هناك شكل آخر من العبارات تشرح العلاقة بين مفهومين فمعرفة ما يمثله المفهوم الأول يعطي المعلومات عن المفهوم الثاني .

مثال :

عندما يكون شخص ما عضوا في كلية Fraternity

هذه العبارة تشرح العلاقة بين مفهومين وعبارتين وهو ما يطلق عليه بالعبارات العلاقية .

والمعرفة العلمية يمكن التعبير عنها بعبارات علاقية Relatinal أو عبارات Existance ، وتطبيق التعريفات يمكن أن يؤدي الي تصنيفات وتقسيمات للمواضيع أو الظاهر . كما ان التنبؤ والتفسير وفهم وجهة النظر تعتمد علي

العبارات العلاقية .

ويمكن تقسيم العبارات العلاقية الى مجموعتين :

١ - تلك التي تصف العلاقة التفسيرية بين مفهومين .

٢ - المجموعة الثانية تشرح التنبؤ بين مفهومين .

فعلي سبيل المثال اذا كان شخص عضوا فيجماعة Fraternity حينئذ يحصل علي أعلي الدرجات في authoritarian فهي من العبارات الارتباطية حيث أنها تقول أن الشخص العضو فيجماعة Fra سيحصل علي اعلي الدرجات في .outh وبعض الناس تطلق علي هذا النوع من العبارات الارتباطية العبارات المساعدة حيث انه لايوجد علاقة سببية بين المفهومين فهنا مثل الاجر الشهري الذي يحصل عليه الموظف ومرتبه السنوي من نفس الوظيفة حيث توجد علاقة ارتباطية أو اقترانية بين المفهومين .

أما العبارات التي تشرح العلاقة السببية بين المفهومين فيطلق عليها العبارات السببية Cousal Statements .

١ - العبارات الارتباطية (الاقترانية) : Associational Statements

هي العبارات التي تصف وتشرح حدوث ووقوع ووجود المفاهيم معا فعندما تستخدم المقاييس الارتباطية أو الاقترانية علي المستوي الفتري أو الرتبي فإننا نستخدم كلمة الارتباط Correlation حيث يشير الي درجة الاقتران أو التكامل.

وطبيعة الارتباط بين مفهومين يمكن أن يأخذ احدي الحالات الثلاث التالية :

أ - الحالة الموجبة : Positive

وهي تعني انه عندما يحدث شيء ويكون عاليا فإن الشيء الآخر يحدث ويكون هو الآخر عاليا .

ب - لايوجد علاقة : None

وتعني أن حدوث المفهوم أو الموضوع لايعطي أي معلومات عن حدوث المفهوم الآخر .

جـ - سـلبى : Negative

عندما يكون المفهوم الاول عاليا فان المفهوم الاخر يكون منخفضا .

ومن الملاحظ أن قوة الارتباط أو الاقتران بين مفهومين تكون أما موجبة أو سالبة .

واذا كان من الممكن احداث تطوير في التعريفات الاجرائية المكملة وبمعني استخدام الاعداد في القياس) لكلا المفهومين فإنه في هذه الحالة يمكن ايجاد معاملات الارتباط بين الاعداد .

ومعظم المقاييس الارتباطية الكمية قد ضمت لأرقام من + ١ الي - ١ حيث + ١ تدل علي أقصي علاقة ايجابية ، - ١ تدل علي ادني علاقة ارتباطية . بمعني ان معامل الارتباط يقع بين $\pm$ ١ .

٢ العبارات السببية Causal Statements

كما أوضحنا سابقا فإنه كما توجد عبارات اقترانية فكذلك توجد عبارات سببية وهي تلك التي تشرح العلاقة السببية بين مفهومين بمعني آخر فإن مفهوم معين لابد من وجوده ليكون السبب في حدوث المفهوم الثاني

فمثلا :

- اذا كان هذا الكرسي ملك جامعة ——— فإنه يجب أن يكون بنيا .

- اذا ازداد حجم جماعة صغيرة ——— فإن الانتاجية سوف تتحسن .

ففي كل حالة من تلك الحالات نجد أن مفهوما واحدا لابد من وجوده حتي يحدث الأثر في المفهوم السبب بمعني ان أحدهما سبب والآخر نتيجة .

والعبارات التي تشرح العلاقة السببية والتي أحيانا تشير الي العلاقة أو التأثير أو السبب يطلق عليها العبارات السببية Cousal Statements

والمفهوم أو المتغير الذي يفيد السبب يطلق عليه المتغير المستقل أما المتغير الذي يتأثر فيطلق عليه المتغير التابع لأنه يعتمد علي المتغير المستقل .

ومن الأهمية بمكان الاشارة الي انه بالرغم من أن العبارات السببية أو العبارات الاقترانية (الارتباطية) قد تأخذ نفس الشكل في الاستخدام الدارج . الا أنهما مختلفان في انواع العبارات فعلي سبيل المثال انه توجد بعض العبارات المرتبة والتي فيها يظهر ان هناك علاقة سببية ولكن في نفس الوقت هناك ارتباط بين

متغيرين معينين يسببان المتغير التابع .

وفي هذه الحالة قد يكون هناك صعوبة في تحديد أي سن هذه العبارات تعتبر ارتباطية أو اقترانية وأي منها السببية للتداخل الموجود بينهما ويرجع ذلك ان شكل وطريقة كتابة العبارات متماثلة ولا أن القاريء يستطيع من خلال التركيز التفرقة بين العبارات السببية والعبارات الاقترانية (الارتباطية) .

واذا كان في الامكان تكميم المفاهيم أو المتغيرات المستخدمة في العبارات السببية فانه في هذه الحالة يمكن شرح درجة السببية بين المفهومين وهذا هو تكميم المفاهيم السببية . وتكميم درجة السببية يتم فهمه فقط عندما يكون هناك سبب للإعتقاد بأن هناك أكثر من متغير مستقل يؤثر في المتغير التابع . وعليه فإنه اذا وجد سبب واحد فقط فإنه في تلك الحالة إما أن المتغير المستقل يسبب المتغير التابع أو قد لايسببه حيث لايوجد حالة وسط طالما أنه لايوجد سبب آخر مهم . ومع ذلك اذا كان هناك متغيران مستقلان أو أكثر قد يحدثان تأثيرا علي متغير واحد تابع فمن المفضل أن تؤخذ اسباب هذا التأثير في الاعتبار .

والتساؤل الوحيد الذي يمكن الاجابة عليه هو هل من الممكن قياس المتغير التابع علي المستويات المختلفة (الاسمي - الرتبي ، الفتري - النسبي) وان إمكن القياس علي هذا المستوي فان الباحثين ينتقلون الي السؤال التالي : عندما يكون المتغير التابع مختلفا (نفرض حالات مختلفة) فكيف يمكن لهذا المتغير ان يكون سببا في التباين في المتغيرات المستقلة .

ولقد أصبح من الضروري تقسيم مقاييس التباين للمتغيرات التابعة الي ثلاثة أقسام

١ - التباين الذي له علاقة مباشرة بكل متغير مستقل وذلك تحت شروط وهو أن يحدث التباين فقط لهذا المتغير .

٢ - التباين الذي له علاقة بالتفاعل بين متغيرين أو أكثر يدل علي تأثير التفاعل الداخلي Interaction effect فالتحدث بشدة هذا التفاعل يصبح مفهوم نظري وحيث يتم توضيحه عن طريق مجموعة من المفاهيم الاخري .

٣ - تباين بسبب خطأ المقاييس مثل عدم وضوح الاخطاء عند اختيار المتغيرات التابعة . فعلي سبيل المثال قد يكون لدي الباحث الرغبة في فهم اسباب الذكاء فيجري اختبار يستخدم فيه الورق والقلم والذي يمكن للفرد أن يعمله وبعد أن يقوم الفرد بوضع درجات الاختبار يمكنه أن يحدد الدرجة لأي فرد بين ٥٠ - ١٥٠ والتي توضح درجة الذكاء . وفي البحث التالي يقوم الباحث بدراسة اسباب التباين بين تلك الدرجات حيث يري ان الشواهد تشير ان سبب التباين يرجع الي ذكاء الابوين أو نوعية الخبرة التعليمية ، وباستعمال هذه الدراسة يتوصل الباحث الي النتائج المتعلقة بأسباب التباين في درجات اختبار الذكاء .

العبارات الاحتمالية والمحددات الاحصائية

Deterministic and Probalistic statements

جميع العبارات النظرية التي جاء ذكرها سابقا أخذت الشكل التالي :

انه تحت شروط س ، س .... سن اذا حدث تغير لـ X فإن Y يحدث لها تغير .
١ ٢

Under conditions c, ... c, if X occurs, y will occurs

وبمعني أخر فالعبارة تقول : ان y ستأتي بعد فترة من x وهذا النوع من العلاقة يطلق عليه المحددات الاحصائية deterministic وذلك لأن المتغير التابع y يتحدد عن طريق المتغير المستقل x .

وهناك شكل أخر للعلاقة يمكن توضيحه علي النحو التالي :

انه تحت شروط س ، ..... س اذا وقعت x فان هناك احتمال أ لوقوع y .

under conditions c,.... cn if x occurs, y will occur with prolability p .

ويلاحظ ان هذا الاحتمال لن يقع عند الاحتمال (أ - ١) فجميع الاحتمالات يجب أن يكون مجموعها مساويا للواحد . والعبارات التي تتضمن تلك العلاقة يطلق عليها العبارات المحتملة Probalistic statements وسنعطي مثالا لهذه العبارات فيما يلي :

احتمال ان يعمل الابن في نفس وظيفة والده في الولايات المتحدة أو اذا كان

الوالد عامل .

وحيث اننا نركز في هذه الاجزاء والاجزاء السابقة علي تطوير المعرفة العلمية فإن تأثير الاختلاف بين المحددات الاحصائية والعبارات الاحتمالية لن يناقش في هذا المكان . ولكن ليس هناك سببا لاعتبار العبارات الاحتمالية اقل علميا بالنسبة للمحددات الاحصائية فالاتفاق عليهما يفيد في تحقيق الاهداف العلمية .

ولأن العبارات الاحتمالية هي العبارات التي تستخدم في التنبؤ بحدوث حدث أو عدم حدوثه فإن المتغير التابع لايمكن اثبات خطأه في أي من الأمثلة السابقة . والاستراتيجية المألوفة لاختبار الفائدة من العبارات الاحتمالية هو دراسة اكبر عدد ممكن من الأحداث تحت ظروف معينة ، ومقارنة النتائج التجريبية مع التنبؤ بالعبارات الاحتمالية .

مستويات التجريد : Levels of Abstraction

من الممكن للعبارات والجمل ان تأخذ مستويات مختلفة من التجريد ويعتمد مستوي التجريد اساسا علي مستوي تجريد المفاهيم التي تتضمنها العبارات . ويعتبر المستوي النظري هو أكثر المستويات شيوعا وذلك عندما تحتوي العبارات علي مفاهيم نظرية ، واذا استبدلت المفاهيم النظرية بالتعاريف الاجرائية ذات الصلة بالمفاهيم النظرية ، فمن الممكن القول بأن العبارات تمثل المستوي الاجرائي . واخيرا اذا ما استبدلت التعاريف الاجرائية بأنواع من المشاريع البحثية أو وصف احداث معروفة ومؤكدة ، فيمكن القول بأن العبارات علي مستوي

العبارات التي يطلق عليها قوانين عادة تتضمن مفاهيم يمكن قياسها أو تحديدها من خلال التعاريف الاجرائية في المواقف المؤكدة .

ومن المفاهيم الاخري للنظرية والتي سيتم مناقشتها فيما بعد مفهوم The axiomalic form of theory ويتكون هذا المفهوم من مجموعة من العبارات الرئيسية كل واحدة منها مستقلة عن الأخري وتشتق عبارات النظرية من البديهيات منطقيا . ويطلق علي العبارات التي تشتق من البديهيات بالقضايا Propositions ويري بعض العلماء أن أي عبارة تستخدم كبديهية في النظرية يجب أيضا أن تكون قانون ولكن لايوجد اتفاق واسع حول هذه النقطة .

ثالثا :اشكال النظرية Forms of theories

تتكون المعرفة العلمية اساسا من مجموعة من العبارات النظرية المجردة . ولذا فإنه يتضح وجودخمسة تصورات لما ينبغي ان تتكون منه العبارات وهذه الاشكال تبني علي اساس قواعد منطقية معينة وهذه الاشكال هي :

١ - الشكل البديهي Axiomatic Form .

٢ - الشكل السببي Cousal Form .

٣ - الشكل الذي يأخذ مجموعة قوانين The set of Lows Form.

٤ - النموذج الرياضي أو الاحصائي Statistic Form

٥ - نموذج التصنيف والتنميط Typological Form

أولا : الشكل البديهـــي :

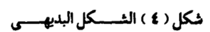
تنقسم العبارات النظرية أو البديهية الي بديهيات وقضايا حقيقية . ويتكون هذا الشكل أولا من مجموعة من المفاهيم بعضها أكثر تجردا وبعضها أقل تجردا وثانيا توجد مجموعة من العبارات التي تحدد الظروف التي تنطبق فيها المفاهيم والعبارات العلاقية وثالثا عبارات علاقية مصاغة في ترتيب طبقي معين حيث في قمة الترتيب توجد البديهيات وهي العبارات ذات المستوي التجريبي العالي والتي منها يشتق كل العبارات النظرية الاخري . وهذه العبارات النظرية الاخيرة تسمي فروض وهي التي تشتق من البديهيات الاكثر تجردا ويراعي في اختيار البديهيات الآتي :

١ - يجب أن تتفق مع بعضها وليس بالضرورة أن تكون مرتبطة ببعضها .

٢ - يجب أن تكون ذات مستوي تجريدي عالي .

٣ - أن يكون صدقها يبدو جليا وواضحا .

ويوضح شكل (٤) تصور لما يجب أن يكون عليه الشكل البديهي .


شكل (٤) الشكل البديهي

بديهيات

فروض

فروض

فروض تجريبية

القياس التجريبي

التوجهات المنطقية من المسلمات الى التجريب

زيادة درجة التجريبية

ومن أمثلة النظريات البديهية نظرية دور كايم عن الانتحار والتي سبق تناولها وكذا نظرية (سعد الدين ابراهيم ، ١٩٨١) حول ظاهرة التنمية والتخلف فكما يقول صاحبها ان أية نظرية علمية لابد أن تكون قادرة علي شرح الظاهرة التي تتصدي لها بمقولات منطقية تربط بين المقدمات والنتائج ، وبطريقة يمكن معها اختبار صحة هذه المقولات في عالم التجربة والواقع ، وفيما يلي نسقا مترابطا من عشر مقولات حول ظاهرة التنمية والتخلف .

١ - في أي نظام أو نسق انساني مترابط الوحدات (Systems) اذا تفاوتت درجات أو معدلات النمو بطريقة ثابتة وكبيرة بين وحداته المتفاعلة ، فإن ذلك يعني ان بعض هذه الوحدات ينمو علي حساب الوحدات الاخري في النظام أو النسق بالذات .

٢ - في أي نسق انساني تتفاوت فيه معدلات النمو فإن وحداته الاقل نموا تحاول اللحاق بوحداته الأكثر نموا بوسائل وطرق متعددة داخل اطار هذا النسق .

٣ - في ظل علاقة طبيعية سوية داخل النسق تتم عمليج الحاق الوحدات الاقل نموا بالوحدات الأكثر نموا في زمن مقيد نسبيا وبلا توترات عنيفة داخل النسق ولكن في ظل علاقات سوية فإن عملية اللحاق هذه عادة ما تتكسر .

٤ - انتكاس محاولات الحاق الوحدات الاقل نموا لايمكن أن يتم الا باستعمال العنف المباشر أو غير المباشر بواسطة الوحدات الأكثر نموا ضد الوحدات الاقل نموا .

٥ - باستعمال العنف المباشر أو غير المباسر تتسع الفجوة في معدلات النمو بين وحدات النسق الاكثر نموا ووحداته الاقل نموا .

٦ - بإستمرار استعمال العنف ويتزايد اتساع الفجوة في معدلات النمو تتكرس علاقات " السيطرة " من جانب الوحدات الأكثر نموا و " التبعية " من جانب الوحدات الاقل نموا . وينعكس ذلك أقوي ما ينعكس في البداية علي مزيد من الاستغلال الاقتصادي للوحدات الأقل نموا .

٧ - بمرور الوقت وباستمرار نمط السيطرة والاستقلال الاقتصادي المبنيين علي العنف يتسع نمط السيطرة والاستغلال لتشمل جوانب الحياة الاخري من سياسية وتعليمية وثقافية ونفسية . وينفذ هذا النمط الي كل مستويات النسق : المستوي الحضاري الثقافي (Culture) والمستوي الاجتماعي (Social Order) والمستوي الفردي أو الشخصي (Personality) .

٨ - مع استمرار نمط السيطرة والاستقلال المبنيين علي القهر ومع اتساعها ليشملا كل الجوانب والمستويات في الوحدات الاقل نموا ، ويزداد التخلف وتتولد قيم السلبية واللامبالاة والقدرية والاحساس بالنقص والتبعية حيال الوحدات الاقوي والأكثر نموا .

٩ - لاتتوقف هذه العملية الحلزونية (Spiral process) الا بقوة ذاتية مضادة من داخل الوحدات الاقل نموا لكي تعكس اتجاه هذه العملية الحلزونية . بحيث يتخلخل نمط السيطرة والتبعية ، ويتحول العلاقة تدريجيا في اتجاه المساواة

والتكافؤ مع الوحدات الاكثر نموا .

١٠ - هذا التحول الجولي في اتجاه العملية الحلزونية من علاقات سيطرة وتبعية الي علاقات مساداة وتكافؤ يبدأ وجوديا (Existentially) علي مستوي الوعي والحركة الرافضة والعنف الجماعي . ضد اتجاه الاستغلال التي تمارسه الوحدات الاقوي في النسق وينتهي بخلق هياكل مؤسسيه جديدة تؤدي الي توسيع فرص تنمية الامكانيات الذاتية التي انبثقت خلال الحركة الرافضة الي حدودها المثلي .

وعموما فهناك عدة مميزات لهذا الشكل من اشكال بناء النظرية .

١ - يمكن لهذا الشكل ان يتضمن مجموعة من المفاهيم ذات المستوي التجريدي العالي والتي تربط مجال واسع من الظواهر المتصلة .

٢ - طريقة اشتقاق فروض من البديهيات النظرية يمكن أن يؤدي الي توليد مجموعة جديدة من الفروض المثيرة لعلاقات غير معروفة من قبل .

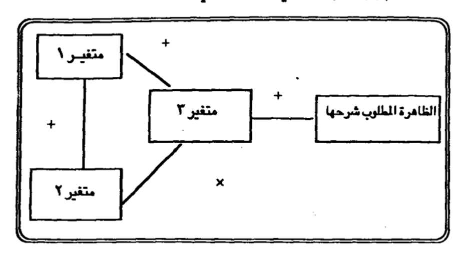
ثانيا : الشكل السببي :

مثل الشكل البديهي يحتوي الشكل السببي علي مفاهيم مجردة ومفاهيم ملموسة (غير مجردة) مع وجود مفاهيم اجرائية مناسبة ، كما انه مثل الشكل البديهي فان الشكل السببي يتضمن مجموعة من العبارات التي تحدد ظروف وجود عبارات سببية . ولكن بخلاف الشكل البديهي فان الشكل السببي يقدم مجموعة من العبارات السببية التي تصف تأثير متغير معين علي متغير آخر بدون تكوين ترتيب طبقي لهذه العبارات . فشرح الاحداث في الشكل السببي يتضمن تتبع التعاقب السببي

للأحداث التي تؤثر في حدوث ظاهرة معينة فالشرح هنا بخلاف الشكل البديهي لايتضمن استنباط أو استنتاج منطقي .

وعموما فان الشكل السببي يعتبر أكثر تفضيلا في علم الاجتماع ربما لأنه يخضع نفسه بسهولة لأساليب التحليل الاحصائي الانحداري المتعدد كما ان الشكل السببي يمكن الباحث نت تتبع العلاقات السببية الشيء الذي يتجاهله الشكل البديهي . ومن ناحية أخري يبدو أن العلوم الاكثر تقدما تستخدم الشكل البديهي . فالشكل البديهي يبدو انه اكثر تجريدا من الشكل السببي وبالتالي يساعد اكثر علي شرح ظواهر عديدة . كما ان الشكل البديهي من خلال الاشتقاق المنطقي يؤدي الي ابتكار فروضا جديدة والتي ربما كانت ستظل مجهولة بدون استخدام لولا الشكل البديهي ، والشكل السببي اقل من الشكل البديهي من حيث تقديم عبارات مجردة للعلاقات ولكنه اكثر من الشكل البديهب في توضيح كيفية الحدوث السببي للظواهر ويوضح شكل (٥) رسما تخطيطيا للشكل السببي حيث سيتم في الاجزاء الاخيرة من الكتاب تناول دراسة لاحدي الظواهر من خلال النموذج السببي مع اختبار هذا النموذج .

شكل رقم (٥) رسم تخطيطي للشكل السببي



ولقد تناول (Zetterberg) النظرية البديهية أو الاكسيوماتية Axiomatic وحاول ان يوضح فيها فكرة النسق الاستنباطي حيث افترض اولا مجموعة من المتغيرات التي يمكن ان تحتوي عليها النظرية مثل :

١ - تضامن الجماعة .

٢ - عدد اعضاء الجماعة .

٣ - درجة امتثال السلوك لمعايير الجماعة .

٤ - درجة الانحراف عن معايير الجماعة .

٥ - تقسيم العمل .

٦ - درجة استبعاد الافراد حينما ينحرفون عن معايير الجماعة .

كذلك اوضح ان هذه المتغيرات يمكن ان يرتبط بعضها مع البعض الاخر في تعميمات امبيريقية او تجريبية ناتجة عن الدراسات الميدانية وافترض ان هذه التعميمات يمكن ان تكون كالاتي :

١ - كلما ازداد تقسيم العمل ازداد ت درجة الامتثال .

٢ - كلما ازداد التضامن الاجتماعي ارتفع عدد اعضاء الجماعة .

٣ - كلما ارتفع عدد اعضاء الجماعة كلما قلت درجة الانحراف .

٤ - كلما ازدادت درجة الامتثال كلما قل رفض المنحرفين .

٥ - كلما ازدادت درجة تقسيم العمل كلما ازدادت درجة التضامن .

٦ - كلما ارتفع عدد الاعضاء كلما قل رفض المنحرفين .

٧ - كلما ازداد التضامن ازدادت درجة الامتثال .

٨ - كلما ارتفع عدد الاعضاء ازدادت درجة تقسيم العمل .

٩ - كلما ازدادت درجة تقسيم العمل كلما قلت درجة الانحراف .

١٠ - كلما قل الانحراف قل رفض المنحرفين .

١١ - كلما ارتفع التضامن قل الانحراف .

١٢ - كلما ازدادت درجة تقسيم العمل قل رفض المنحرفين .

١٣ - كلما ازدادت درجة التضامن كلما قل رفض المنحرفين .

ولعرض هذه القضايا من خلال نموذج نظري استنباطي أو شكل بديهي فان ذلك يتطلب اجراء الاتي :

١ - ان تحدد المفاهيم الاساسية أو المصطلحات الاولية والمفاهيم التي تم تناولها في المثال السابق هي تقسيم العمل ، رفض ، عضو ، معيار ، تضامن ، سلوك ، جماعة .

٢ - نقوم بعد ذلك بتحديد المفاهيم المنسقة (derived (nomind) symbols ولقد سبق في الاجزاء السابقة عند تناول المفاهيم توضيح ماتعنيه بالمفاهيم المشتقة .

٣ - الخطوة التالية هي تحديد البديهيات أو المسلمات أو المقصود بها العبارات ذات المستوي التجريدي العالي وبعبارة اخري.فانها تعني القضايا العليا التي ينبغي ان يشتق منها بقية الفروض . ويتعين ان يكون متسقة منطقيا ومستقلة وفي المثال السابق فانه يمكن اعتبالر العبارات الاتية مسلمات .

١ - كلما ازداد تقسيم العمل ارتفع التضامن .

٢ - كلما ارتفع التضامن ازداد الامتثال .

٣ - كلما ازداد عدد اعضاء الجماعة ازداد تقسيم العمل .

٤ - كلما ارتفع التضامن قل رفض المنحرفين .

ثالثا : الشكل الذى يأخذ صورة مجموعة قوانين The set of lows form

من أحد الاسس العلمية الهامة هو تقبل القواعد التي تقول ان القوانين جزء من المعرفة العلمية ، ولذا فإن مجموعة القوانين يمكن أن تعتبر نظرية ومن المعروف أن القوانين معضدة من خلال البحث التجريبي وهذا يعني أن كل المفاهيم المستخدمة في القوانين يجب أن تتضمن التعاريف الاجرائية التي تتيح الاختيار في المواقف المؤكدة .

رابعا : النماذج الرياضية :

بالاضافة الي الاشكال السابقة . فان (Homans, 1964) يري أن بعض علماء الاجتماع ومنهم Kelley ، Lazarsfeld ، Thibaut قد قدم مايطلق عليه بالنماذج الرياضية والمقصود بها انه يمكن من خلال هذه النماذج عرض مجموعة من القضايا التي تشكل النظرية وذلك في صورة رمزية أو في صورة مجموعة من المعادلات ، وأهم ما يميز النموذج الرياضي عن الرياضيات البحتة هو أن الأول لابد أن ينطوي علي قضايا اجتمالية (معادلات) بغض النظر عن استخدام لغة الرياضيات . غير أن هذه الحقيقة ليست واضحة تماما فيما يتعلق بالنماذج الرياضية السوسيولوجية فغالبا ما تضم هذه النماذج عددا ضئيلا جدا من القضايا الاحتمالية الامر الذي يجعلها تعجز عن تفسير الوقائع التجريبية تفسيرا شاملا .

مع أن النموذج الرياضي لايمثل أكثر من عرض مكتمل للنظرية الا أنه يحقق

مجموعة من الفوائد منها :

١ - يجعل الباحث اكثر وضوحا في عرض الاسلوب الذي اتبعه لتعريف .

٢ - يمنح الباحث القدرة علي تحديد العلاقة الوظيفية بين المتغيرات علي نحو بالغ الدقة

٣ - يمكن الباحث من التغلب علي الاخطاء التي قد تواجه عملية الاستنباط عند استخدام اللغة العادية .

خامسا : نماذج التصنيف والتنميط :- Typological or classificatory Formats

تختلف نماذج التصنيف والتنميط عن النماذج البديهية والسببية من عدة زوايا اهمها :

- الاهتمام الاكبر لاينصب علي كمية الفروض ، ولكن علي اساس النظر الي الظاهرة كعنصر من العناصر المكونة للاطار الاجتماعي العام في المجتمع .

- تحديد الابعاد أو المؤشرات التي يمكن من خلالها التعرف علي الظاهرة وهذا بدوره يساعد الدارس علي أن يميز الظاهرة ويتعرف عليها من خلال المواقف والاحداث وليضعها أو يصنفها في مكانها الصحيح من النسق العام للسياق المجتمعي

- بذل الجهد المناسب لتحديد موقع أو مكان هذه الظاهرة في ضوء كافة

الوحدات البنائية للمجتمع .. ويقال ذلك لو حاولنا أن نحدد مكان لوضع الدوريات العلمية ضمن مصفوفات الكتب التي تضمها احدي المكتبات ... وكيف ان تخصص الدورية مثلا في الكيمياء يجعلها تصنف ضمن علوم البيولوجي .

ويوضح النموذجي التنميطي للدارسين كيف تعمل اجزاء الظاهرة ، ولكن لاتتوفر معرفة كافية للاجابة عن التساؤل - بكيفية تفاعل أو تساند اجزاء الظاهرة ولكن هذه الطريقة تلقي الضوء علي تطور النمط أو خروجه عن القواعد الاساسية التي كان يعمل وفقا لها، وهذا المدخل يتناسب مع دراسة تطور القوانين كما هو الحال في محاولة " ولسن وداروز Wallac's & DarwinTheories ، ولماذا يتحقق التطور أو الارتقاء عن النمط الاساسي .

ويمكن أن نسمح لانفسنا بالادعاء بأن النموذج الخاص بالتصنيف والتنميط يتضمن أو يساير غيره من النماذج الاخري ، وذلك لأنه يكفي ان يقوم الباحث بتحديد النمط الذي تندرج تحته الظاهرة ، ثم يستطيع بعد ذلك ان ينطلق الي التفسير والتحليل . ومثال علي ذلك يمكن القول بأن ظاهرة ما تندرج تحت النمط " الخطي " في نسق النظرية التطورية .. وكذلك الحال بالنسبة للنظريات الاخري . ولكن العلماء عندما يطبقون نموذج التنميط لهم بعد ذلك فرصة الانطلاق نحو اتخاذ الاجراءات المنهجية في احد الاتجاهين : -

* البحث عن المتغيرات السببية وراء الظاهرة .

* البحث عن المبادئ التي تحكم اداء الظاهرة لوظيفتها في المجتمع .

تاكيدي Concrete Level .

ومن الأهمية التحقق من أن هناك عديد من التعاريف الاجرائية تتعلق بكل مفهوم نظري ، وعلي ذلك يجب أن يوجد عديد من العبارات الاجرائية ذات صلة بكل عبارة نظرية وبالمثل يجب أن يوجد عديد من العبارات المؤكدة ذات صلة بكل عبارة اجرائية طالما ان كل عبارة حقيقية ومؤكدة تحدد بالمكان والزمان ولاترتبط العبارات الاجرائية بهذا . وحيث انه لايوجد هناك قيود حقيقية علي العبارات المؤكدة ، فمن الواجب وجود عدد لانهائي من العبارات الحقيقية المؤكدة المشروحة في المصطلحات التجريدية عن طريق العبارات النظرية .

علاقة العبارات النظرية بالنظرية

Relationship Between theoretical statements to theory

توجد خمس من العبارات النظرية هي القانون Laws البديهيات axioms ، القضايا proposition ، المفترضات hypothesis التعميمات التجريبية Empircal generaligation .

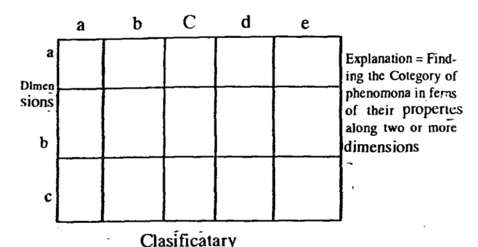
من أهم المصطلحات المستخدمة والمتعارف عليها عند مناقشة العبارات النظرية كلمة قانون Laws . والقانون هو العبارة التي تصف العلاقة والتي يري الكثيرون انها تمثل الحقيقة المطلقة .

وتعتبر النظرة الي المعرفة العلمية كمجموعة من القوانين والعبارات والتي يمكن اعتبارها تمثل الحقيقة الواقعية والصادقة ، ومن أهم المفاهيم الهامة . فمعظم

وكلا الاتجاهين ليسا علي خلاف ، طالما انهما يتوصلان الي تفسير الفروض التي كانت عليها الدراسة ، وهكذا نجد أن الاتجاه الاستقرائي والاستنباطي يؤدي كل منهما الي تحقيق العديد من اساليب المعرفة .

ويمكن ان نخرج بأن كافة العلماء علي اختلاف توجهاتهم النظرية يستخدمون خمسة تعميمات منهجية وهي النموذج القائم علي المسلمات أو البديهيات Axiomatic ، والنموذج الثاني وهي النموذج السببي Causal Process ..

أما النموذج الثالث الذي يأخذ شكل قوانين Lows Form والنموذج الرابع الرياضي Statistic Form
ثم يأتي لنا النموذج الخامس وهو نموذج التنميط أو التصنيف ، وقد سبق تناول النماذج الاربعة . . اما النموذج الخامس فهناك عدة امثلة علي هذا الشكل من اشكال النظرية اولاها بصفوته Thibaut & Kelley وهي تفيد عن مكان نو بعدين يمثل انماط السلوك الممكنة بين شخصين وعلي أحد هذين البعدين يوصف السلوك الممكن لأحد هذين الشخصين ثم يوصف سلوك الشخص الاخر علي البعد الثاني وتمثل الخلايا التي يتضمنها الجدول المركب من البعدين احتمالات السلوك المرغوب لكل عنصر بعد فحص النتائج بالنسبة لكل منهما :



لقد حاول العالمان المذكوران أن يحققا نوعا من التلاؤم لنظرية التبادل مع الحياة الجماعية ولكنهما لم يبتعدا عن الاطار الذي قدمه هوماتر ، ولم يكن محور اهتمامها هو الفـرد وكيف يؤدي وظيـفتـه في العـلاقـات التبـادلية مع الآخرين وانما ركزا اهتمامهما في العلاقات ذاتها وحاولا تفسير هذه العلاقات بوصفها نتائج متوقعة يمكن فهمها جيدا في ضوء مفاهيم هوماتز .

ولقد حاول هوماتز دراسة النظام الاجتماعي من خلال دراسته لمتغيرات النشاط والتفاعل والاحاسيس ولقد وضع العلاقة بين هذه المتغيرات في صورة مصفوته حيث يمثل كل من A B العلاقة الاطرادية بين النشاط والتفاعل ، A C العلاقة الاطرادية بين النشاط والأحاسيس ، B C تمثل العلاقة الاطرادية بين التفاعل والاحاسيس .

ويتضح ذلك من المصفوته التالية (جامع عن هوماتز ، ١٩٧٥)

المحددات		النتـائج		
		النشاط A	التفاعل B	الاحاسيس C
	النشاط A	——	B A	C A
	التفاعل B	A B	——	C B
	الاحساس C	A C	B C	——

وعلي ذلك يمكن أن نلاحظ الاختلافات بين النماذج الرئيسية الثلاث من حيث ان :

– النموذج الأول يبدأ بالمسلمات البديهية ومن خلال الاستنتاج المنطقي يصل *الي الفروض التي تحكم الظاهرة ومن ثم الوصول الي المرحلة الامبيريقية التي توضع العلاقة بين المتغيرات المتفاعلة التي أوجدت الظاهرة .*

واذا كانت الاستنتاجات صحيحة فان هذا يعظم من الثقة في صحة المسلمات أو البديهيات وقبولها ، وفي هذا النموذج ايضا يتحدد الاطار أو التفسير للظاهرة عندنا اذا اتفقت المعطيات الامبيريقية مع التصورات القائمة علي المسلمات أو البديهيات التي توجه الدراسة .

– أما بالنسبة للنموذج " السببي " فان اجراءات تطبيق هذا النموذج تستهدف الوقوف علي الاسباب التي تقف وراء الظاهرة ، والتفسير لايعتمد علي العلاقات

المنطقية أو العلاقات المجردة العقلانية ، ولكن الوصول الي العلاقة السببية بين المتغيرات والتي يقوم علي مقاسها الباحث .

– أما نموذج المصفوفة فانه يسعي الي الملاحظة الامبيريقية المنظمة عن طريق تصنيف المتغيرات في شكل انماط علي اساس التجريد العلمي ووفقا للمؤشرات الخاصة بكل نمط من هذه الانما ، واذا كان هذا التنميط قائم علي اساس علمي فان ذلك سوف ينير لنا الطريق في العمل الميداني ، وقد يستتبع ذلك الاستعانة ببعض النماذج الاخري لاستكمال فهم وتفسير الظاهرة .

واذا جاز لنا السؤال .. أي من هذه النماذج افضل ؟ .. فان الاجابة سوف تختلف تبعا للدارس نفسه والهدف من وراء الدراسة والاطار النظر في المرجعي الموجه للدراسة . وفي الوقت الحالي يفضل النموذج السببي وذلك لأنه يعتبر نموذجا متعدد الاهداف ويعتمد علي تصفيه احصائية عالية ، بينما معظم العلوم المتطورة تستخدم أكثر نموذج الاستقراء القائم علي اختيار المسلمات والفروض العلمية .

وبصفة عامة يمكن أن نري في الثلاث نماذج أطارا عاما لمنهجيه الدراسات أو البحوث الاجتماعية .. ويمكن ان يلجأ الباحث الي استخدام نموذج دون آخر بناء علي توجهاته النظرية والاهداف المراد تحقيقها من وراء دراسته . كما يمكن أن يتحقق نوع من الوفاق باستخدام اكثر من نموذج ، او النماذج الثلاث مجتمعة في حالة محاولة تحقيق مستوي مصفوفة اعلي في النتائج أو تحقيق التكامل المنهجي .

الفصل السادس

اختبار النظريات

الفصل السادس

اختبار النظريات

تعتبر درجة التماثل والتطابق بين العبارات ونتائج البحث التجريبي من أهم المعايير المستخدمة لتقييم مدي الاستفادة من أي عبارة. في الاغراض العلمية . وعموما يمكن القول ، انه ليس من الممكن فحص التطابق بين البحث التجريبي وجميع العبارات التي تتضمنها النظرية . ولذلك ، فان معظم المشروعات البحثية قد صممت لتوضح المنفعة والاستفادة من عبارة واحدة أو عدد قليل من العبارات . فاذا كانت تلك العبارات تمثل جزء من مجموعة العبارات المترابطة ، أو اذا كانت جزء بديهي في النظرية أو في شكل عمليات سببية ، في تلك الحالة فان التجربة التأكيدية يمكن أن تزيد من الثقة في العبارات المكونة للنظرية .

وحيث ان معظم الابحاث تعطي التعضيد والثقة للعبارات الفردية ، فان المناقشات العامة عن كيفية حدوث التغييرات في هذه الثقة تجاه العبارات الفردية سيتم دراستها اولا .

Abstract statements and concrete research

مما لاشك فيه أن العبارات العلمية مجردة وبالتالي تصبح مستقلة عن أي مجموعة زمنية أو مكانية وذلك وضعها المناسب والمتفق عليه .

فعلي سبيل المثال :

اعضاء الجماعة الاكثر اتفاقا في الاتجاهات ، هي الجماعة الاكثر اتحادا .

ومن ناحية أخري فان جميع الابحاث التجريبية تعامل وفقا لوضعها المكاني والزماني . فمثلا عند وصف الآتي نجد أن :

أثناء الفصل الدراسي الذي ولي ، كان اثنان في الجامعة في فترة X Y Z لهما نفس الاتجاهات السياسية أحدهما يجب المحافظة علي القديم والآخر حافظ علي القديم .

والاختلاف بين تلك العبارات يثير سؤلان :

كيف يمكن للبحث ان يدعم العبارة المجردة ؟ وكيف يمكن اثبات صحة العبارة المجردة . أو التجريدية ؟ .

والقضية الاولي تم مناقشتها في الاجزاء السابقة . فاذا ما كان هناك اتفاق علي ان الحقائق التي تم شرحها عن طريق العبارات المؤكدة ، قد تشرح أيضا عن طريق اكثر من عبارة تجريدية ، حينئذ فان أي مساعدة تجريبية للعبارة المؤكدة ايضا تعطي التعضيد للعبارة التجريدية . وهذه الحالة ايضا تكون اذا كان هناك اتفاق علي الاجراءات والخطوات والعمليات المستخدمة (والتعاريف الاجرائية) قد استخدمت لقياس المفاهيم في العبارة المؤكدة ولها علاقة بالمقصود بالمفاهيم النظرية . والمثال السابق يوضح ذلك ، فترتان زمنيتان لجماعتين الناحية السياسية ص الاتجاه المقصود ويتم القياس وفقا لهذا .

والقضية الثانية ، وهي أكثر تعقيدا ، فاذا كانت العبارة تجريدية ، فيمكن ان

البحث التجريبي والثقة في العبارات التجريدية :

Emprical Research and confidence in abstract statements

اذا لم تتمكن التجربة البحثية من اثبات صحة العبارة التجريدية حينئذ كيف يمكن ان تؤثر في العبارة النظرية ؟ وباختصار فان التجربة البحثية لتأكيد الموقف والمؤثرة علي ثقة العلماء قد تكون مقيدة للعبارات التجريدية لتحقيق الغرض العلمي من التنبؤ والتفسير . وهو ما سيناقشه هذا الفصل .

وبالنظر الي العبارة التجريدية التالية :

" ان اعضاء الجماعة المتفقين في الاتجاهات هم اكثر الجماعة ترابطا وهذه اعبارة سيرمز لها بالعبارة X . وهي كعبارة تجريدية المكن اثبات صحتها ، كما يمكن ايضا اثبات خطئها .

وذلك بافتراض ان خطة البحث قد صممت لاختبار مدي استخدام العائد من العبارة X .

عمليات اتخاذ القرار الاحصائى :Statistical decision procedures

عملية اتخاذ القرار الاحصائي هي الطريقة المستخدمة لاثبات عما اذا كانت العبارة صحيحة أو خاطئا .

ورغما عن أن العمليات الاحصائية مفيد . الا انها اقل تطبيقا ، وفهم تلك الخطوات والعمليات الاحصائية يساعد في منع عدم التطبيق .

ومن الاسباب الرئيسية لقلة تطبيق الاختبارات الاحصائية بصورة مباشرة علي العبارات التجريدية لاثبات صحتها او خطئها ، أولا : ان العبارات

التجريدية لايمكن اثبات صحتها . وثانيا : ان هناك حالة وحيدة فقط يمكن ان يطبق فيها الاختبار الاحصائي علي العبارة التجريدية وذلك عندما يكون هناك تعريف اجرائي لكل مفهوم في العبارة

تطبق في المستقبل . واذا ما امكن تطبيقها وفقا للمواقف المستقبلية ، فالاحتمال بوجود للبرهان علي الخطأ في المستقبل أو خطئها ولذلك فليس من الممكن اثبات صحة العبارات التجريدية في كل الحالات للمواقف المستقبلية التي تحويها العبارات وحيث ان العبارات التجريدية تناسب الماضي والحاضر فمن الممكن اثبات انها قد لاتطبق في بعض الحالات المتعلقة بخطأ العبارة التجريدية وهذا هو السبب في ان المناقشة سوفستائين Sophisticated لاستراتيجية البحث تركز علي الفروض الخاطئة اكثر من اثبات س

ولكن ، فمن الامور الاكثر اهمية ، فان العالم قد لايهتم بأن العبارات التجريدية اما تكون خاطئة أو صحيحة . فالتجربة البحثية تؤثر في درجة الثقة لدي العلماء عند استخدامهم العبارات التجريدية اكثر من السبب العلمي المتعلق بقبول او رفض العبارة كعبارة صحيحة او خاطئة .

وهناك مشكلتان قد تتعارضان مع هذا الوضع ، ولكنهما مهمتان : اولا :

انه من المحتمل ان الفروض المؤكدة اما تكون حقيقية أو خاطئة طالما انها ذات صلة بوضع مكاني او زماني معين .

وثانيا ان استخدام الطرق الاحصائية المختلفة في شكلها الحالي تركز علي نوع القرار المتخذ هل هو صحيح أو خطأ أو رفض أو قبول ، بالرغم ان الاجراءات الاحصائية لاتخاذ القرار يمكن ان تطبق علي الفروض الخاصة المؤكدة . كما ان النتائج قد تطبق بصورة مباشرة وبطريقة غير مفضلة علي العبارات التجريدية .

(البحوث الاجتماعية فى مجال النظرية الاجتماعية وفى ضوء ممارسة تنمية المجتمع :)

١ - ماهي النظرية ؟ وماهي علاقتها بوصف أو تحليل المعلومات عن المجتمع ؟ وماهو دورها في الممارسة ؟

٢ - كيف يتم تعميم السياسات العامة ؟ في ضوء :

- النظريات الموجهة للبرامج لضمان فاعليتها .

- المسلمات التي تحيط بالسياسات .

٣ - اقتراح المنهج الذي يساعد الممارسين علي ترويض هذه المعطيات النظرية بما يتفق وممارستهم .

النظرية والوصف : Theory and Description

ان الوصف الدقيق عن واقع المجتمع أو عن الاحداث التي تتم فيه يمكن أن تكون مفيدة بالنسبة للممارس في تنمية المجتمع ذلك لأن الوصف يجيب علي الاسئلة الخاصة بالتعرف علي مايحدث في المجتمع ؟ ، ومن الذي يشارك في هذه الأعمال ؟ وماهي استجابة الآخرون وغيرها ؟ .

ولكن بعد تحليل وتفسير هذه البيانات الوصفية يصبح البحث الوصفي غير كاف أو زائف وعاجزا تماما عن تفسير أسباب حدوث الظواهر أو التنبؤ بما يمكن أن

يحدث مستقبلا .

ولفهم ما يحدث في المجتمع يجب أن يتم الوصف في اطار يسمح بالمساهمة والتحكم والتفسير ، وتعتبر النظرية هي الاطار أو المحتوي الذي يساعد أو يوجه الممارسة الامبيريقيةوينتهي بنا الي تعميمات .

ومثال علي التقارير الوصفية نجد محاولة (Studs Terkel 1974) في مقولته " ان الناس يتحدثون عما يفعلون طوال اليوم ، وماهي مشاعرهم تجاه ما يفعلونه ؟ " . وقد استخلص هذا التعميم من ملاحظته للعديد من العاملين في وظائف متعددة وجمع كل ما قالوه عن أعمالهم ، وهو تعبير ذاتي عن العمل من وجهة نظر المبحوثين دون أي تدخل من الباحث أو تحليل لما قالوه ، ولكنه اكتفي بالوصف ، وهو يفيد في معرفة طبيعة الاعمال التي يقوم بها أفراد المجتمع ومشاعرهم تجاهها الان ، ويشابه هذا بالضبط الافلام الدرامية التسجيلية التفصيلية .

بينما نجد في نفس الموضوع (Standey Aronowitz 1973) يقدم مغالطات زائفة علي نفس الوتيرة السابقة ولكنه يضيف اليها تحليل موسع لتاريخ العامل وثقافة الشباب ، وسيكلوجية اللعب والحب ، ويستنبط اطار نظريا يحاول ان يقيم العلاقة بيم هذه المتغيرات لتفسير أسباب حدوث الظاهرة ولكن دون اقامة علاقة تصل بنا الي تعميمات .

أما ميرتون (Rotert Merton 1968) فقد قدم نموذجا للبحوث الامبيريقية المستندة علي النظرية ، وذلك عن طريق تفسيره للتماسك الاستاتيكي ،

وبأن معدل الانتحار لدي الكاثوليك أقل منه عند البروتستانت ، وهذه العبارة بمفردها لاتعبر عن نظرية ، ذلك لأن الكثير من البيانات يمكن أن تجمع وتحلل وتفسر دون أن تنتج عنها في النهاية نظرية ، ولكن السؤال عن السببية "Why's" يجب أن يكون في الصدارة ، ويمكن لميرتون أن يؤهل ذلك في ضوء بناء النظرية لتفسير ملاحظته عن اختلاف معدل الانتحار اذا تتبع الاسلوب أو النمط الذي استخدمه (دور كايم):

- ان الترابط الاجتماعي يوفر دعما سيكولوجيا لاعضاء الجماعة الذين يتعرضون لضغوطا وتوترات .

- معدل الانتحار وسيلة وظيفية لتخفيف التوترات بالنسبة للأفراد المستهدفين .

- يتوفر للكاثوليك قدرا كبيرا من الترابط الاجتماعي أكثر من البروتستانت .

وهكذا فان معدلات الانتحار المنخفضة تكون متوقعة لدي الكاثوليك عنها لدي البروتستانت .

وعلي الرغم من أن الملاحظة المقصودة والوصف والتحليل متطلبات أساسية لنمو المعرفة ، نجد أن النظرية لاتخرج بطريقة تلقائية من هذه الجهود المتعددة ولكن النظرة الشمولية لايجاد العلاقة بين الظواهر والنظريات ذات العلاقة بالموضوع مطلوبة لصياغة نظرية شمولية ، وهكذا فان النظرية هي التي اتخذت المفهومات المحورية والتكامل بين الأجزاء التي تكون البناء المعرفي لها .

ان العمليات الخاصة بالوصول الي نظرية في تنمية المجتمع تعتمد علي التحليل

والتنظيم التراكمي ذلك لأن النظرية تعبر عن التجريد العقلي أو المنطقي بينما البناء المعرفي والممارسة في تنمية المجتمع تتسم بالرحابة والخصوصية في نفس الوقت وتهتم في نفس الوقت بمعرفة مايقوم عليه المجتمع وتستند بذلك علي رصيد معرفي متنوع ، ولذلك يجب ان تكون النظريات لتفسر أمرين .

الأول : متغيرات التنمية وفقا للنسيج الاجتماعي بمجتمع بعينه - (Micro Scope) .

الثاني : الاحاطة بكل المفاهيم ذات العلاقة بالاطار النظري للتنمية ككل .

نحو تعريف بالبحوث النظرية فى مجال تنمية المجتمع :

هناك العديد من الاصطلاحات سبق استخدامها لوصف الوضع أو الموقف بالنسبة للبحوث في مجال النظرية بالنسبة لتنمية المجتمع منها :

نظريات الوحدات الصغري (تحليلية) .

نظريات الوحدات الكبري (المركبة) .

المباديء الاساسية .

الانماط الاساسية .

المواقف المجردة .

المحتوي العقلاني وغيرها .

وكل هذه العناصر تظهر بشكل واضح أو أكاديميا في المحاولة التالية وبشكل تعريف شامل :

إن البحوث النظرية الخاصة بمحتوي تنمية المجتمع تأتي من خلال التحليل المنظم والبناء العلاقي في ضوء البيانات المتاحة عن المجتمع والاطار النظري والمفاهيم التي تركز علي العلاقة بين :

١ - أنماط البناءات الاجتماعية والسلوك .

٢ - التدخل الواعي أو المدروس لدعم أو تنمية هذه الانماط .

وهناك بعض العناصر في هذا التعريف يجب توضيحها ، منها أن البحث ليس بهدف جمع البيانات ولكن هو يستهدف أبعد من ذلك ، وهذه الحقيقة (أهمية جمع البيانات) يمكن أن تكون مقبولة في البحوث الوصفية والتقويمية ، ولكن البحوث في مجال النظرية هي عملية استقراء .

والأمر الثاني أن البحوث في مجال النظرية تقوم علي عمليات التحليل واقامة العلاقات بين المتغيرات ، والأمر الثالث أن الاهتمام الرئيسي للبحوث في مجال النظرية عند رصد أية ظاهرة هو الاهتمام باعطاء التفسير المنطقي لعلاقة المتغيرات التي أدت الي الظاهرة .

أي أن البحوث في مجال النظرية تحاول أن تجيب علي السؤال " لماذا يحدث الموقف بهذا الشكل ؟ " بدلا من ماذا يحدث في الواقع ، والأمر الرابع أن البحوث في مجال النظرية تتعامل بمستوي عال من التجريد والعمومية . واذا كان أي شيء

– متطرف أو مكتوب هو نوع من التجريد علي اساس ان الكبرت هي الافعال ، لكن النظرية كمثل اعلي درجات التجديد في النسق المعرفي الذي يستخدم المفاهيم العقلانية ، وفي النهاية يتم صياغة البحوث في مجال النظرية في اطار العمل بالنسبة لتنمية المجتمع المحلي .

ولما كانت النظرة الي تنمية المجتمع تؤكد علي العملية التفاعلية بين نسق المجتمع والتدخل المقصود يصبح من المنطقي ان تهتم البحوث في مجال النظرية بالنسبة لتنمية المجتمع بالعلاقة الداخلية بين المجتمع والتدخل ، وليس المجتمع نفسه أو دراسة التدخل علي حدة دون المحتوي المجتمعي .

ويصبح علي الباحث في مجال تنمية المجتمع ان يكون علي دراية بالمجتمع ونسق التدخل والعملية التي من شأنها أن تجمعهما معا . ونجد أن Roland worren) 1979) بوصفه احد الذين يتناولون القضايا الاساسية لتنمية المجتمع (مثل الضبط الاجتماعي واتخاذ القرارات ، استراتيجيات التغير ، واشكاليات التساند البنائي والتنظمي للمنظمات والتخطيط الاجتماعي) بتصدي في دراسات مرحلة الوصف لما يحدث في المجتمع الي محاولة تفسير ما يحدث في المجتمع في ضوء القوي المتعددة التي تشكل هذه القضايا وتحدد أبعادها .

العلاقة بين النظرية والممارسة : The Theoy Action Link

هناك علاقة تبادلية يجب ان تقوم بين النظرية والممارسة ذلك لأن أي تغيير يحدث في النظرية هو نتيجة أو رد فعل لتغيير حدث في الممارسة ، أو بمعني أخر أن أي تغيير في الممارسة لابد وأن يكون رد فعل للنظرية ، واذا حدث أي انفصال بينهما

يكون ذلك راجع الي عدم مصداقية النظرية ، فكل منها يغذي الآخر وهذا ماجعل (Kutt Lewis)يذهب الي ان النظرية هي تعبير عن الممارسة المثالية ، وعلي الممارس أن يرحب باستخدام المعرفة القائمة علي النظرية ويحاول ان يثبت مصداقيتها في الممارسة ، وفي نفس الوقت علي المنظرين ان يكون لديهم التشوق الي اختبار صياغاتهم النظرية من خلال الممارسين ويعيدون صياغة نظرياتهم في ضوء الملاحظات الامبيريقية .

وقد يكون من السهل ترديد هذا القول ولكن الواقع يؤكد علي عدم وجود العلاقة التبادلية والسبب يرجع الي :

- معظم الممارسة (سياسات الرعاية الاجتماعية) تقوم علي فروض نظرية في هيئة مسلمات لم يتم اختبارها وهي اقرب الي عبارات الحكمة .

- يتم تجميع بعض النتائج الخاصة بالممارسة في صورة مسلمات لاتعبر في حقيقتها عن نظرية ولكنها لاتكون الا انطباعات شخصية (مستوي التعميم).

وهناك العديد من الاجراءات التطبيقية في تنمية المجتمع والتي تستند علي بعض المسلمات الأساسية والنظريات التي تحتاج الي اعادة النظر فيها ، وفيما يلي خمسة مسلمات خاصة بالمفاهيم في تنمية المجتمع التي تخطي بالقبول ولكنها قد تعدت زمنية مرحلة التسليم (Spiegel 1970) : -

١ - احدي هذه المسلمات بأن المجتمع وحدة محددة تؤدي وظائفها بوصفها كائن حي .

ومن خلال هذه المسلمة ظهرت محاولات للعاملين في مجال تنمية المجتمع للعمل مع المجتمع علي اساس الوحدات الكبري Macrobasis والتي تنحو نحو تحديد الاحتياجات الخاصة بالمجتمع في ضوء احتياجات المجتمعات الفرعية أو المحلية Subcommunities

٢ - النظرية الخاصة والتي حظيت بالاهتمام في الخمسين عاما الاخيرة - بأن التمييز العنصري في المجتمع يرجع الي الجهود الخاصة بالتعليم ذلك لأن السلوك الانساني في المجتمعات الديمقراطية يحكمه لمعتقدات اكثر من القوانين .

٣ - من المسلمات أيضا التي لها صفة العمومية لدرجة تصل الي اعتبارها اطارا نظريا تستند عليه الممارسة هي أن الاقتصاد الخاص بالمجتمعات النامية من الأفضل الا يقوم علي تصدير الانتاج الي المجتمعات الصناعية ، ولكن يجب ان يتم تسويقه واستغلاله في الاسواق المحلية . ولذلك المتخصصين في تنمية المجتمع قد نصحوا " البرازيل " بوقف تصدير محصول البن الي أوربا والولايات المتحدة واستغلال الاراضي الزراعية لرفع انتاجية محاصيل الغذاء لأهل البرازيل انفسهم وعلي الرغم من ذلك فإن نتيجة ذلك أصبح الاقتصاد البرازيلي يعاني العديد من المشكلات (Boserup 1975) .

٤ - العاملون في تنمية وتخطيط المجتمعات دائما يدافعون عن النظريات التي تؤكد سلامة خبرتهم ولذلك ولمدة جيل سابق يعتقد العاملون في مجال تنمية المجتمع بصدق المقولة بأن " قيام المجتمعات المتخلفة حول المدينة " " Slums " يؤدي الي

زيادة معدل الجريمة وانحراف الاحداث وتفشي الامراض وغيرها من المشكلات) وإذا أمكن القضاء علي ظاهرة هذه الاحياء الفقيرة عن طريق (Abrons 1966) المجتمعات السكنية اللائقة ، فإن المشكلات السلوكية سوف يمكن القضاء عليها .

٥ - في محاولة القضاء علي مشكلة لفقر كانت هناك مسلمة اساسية مؤداها بأن مشكلة التباين بين الدخول في المجتمع تسبب العديد من المشكلات التي تزيد الفقراء فقرا ولاتجعلهم قادرين علي مواجهة مشكلاتهم ، ولكن ثبت أن هذا الأمر غير حقيقي ، بل هناك العديد من المتغيرات الأخري التي تعوق دون حل مشكلة الفقر ، وقد تكون هذه المتغيرات متمثلة في الدخل القومي العام أو عجز الاستراتيجيات عن مواجهة المشكلة ورداءة البرامج والاجراءات (Ginzberg & Solow, 1974, Clowad & Piven 1971)

محاولة لصياغة نموذج للممارسة فى تنمية المجتمع وفقا للأطر النظرية المتاحة :

ان عملية اجراء البحوث في مجال النظرية اما أن تكون بطريقة تحليلية ثم محاولة ربط الحقائق والممارس في تنمية المجتمع يجب أن يبدأ باستقراء معطيات المجتمع ثم يستتبع ذلك بمحاولة استنباط العلاقات في المستوي الاعلي من مستويات الصياغة : وفيما يلي محاولة لصياغة " سلم Ladder " يصور بدايات العمل في تنمية المجتمع ، ويتحرك نحو صياغة المفهومات التجريدية وصولا الي صياغة نظرية ، ويتمثل هذا في الخطوات التالية : -

١ - يمكن أن تبدأ هذه الخطوة بعد الاجابة عن هذا السؤال " ماذا أنا بفاعل "؟

كمحاولة من جانب الممارس لتحديد عمله في مجال تنمية المجتمع ، بمعني تحديد الممارسين لتوجيهاتهم

٢ - ومن ثم يبدأ سؤال نفسه " هل هناك اجراءات معينة يجب أن يستتبع القيام بتنفيذ هذه التوجهات " ؟ بمعني اذا كنا نريد ان نقوم بشق طريق جديد في المدينة هل عند الحاجة الي اخطار بعض اصحاب المحلات أو السيارات لكي يمهدوا لهذه العمل .

٣ - محاولة الاجابة عن ماهي دواعي استحداث هذا العمل ؟ وتفسير ذلك للمشاركين أو المتأثرين بهذا العمل .

٤ - لماذا لايوجد سوي هذا العمل لصالح المجتمع ؟ وماهي دوافع هذا العمل ؟ وجمع البيانات بهذا الشأن لكي توضع امام المجتمع

٥ - من هم المتأثرين أو المشاركين في العمل ؟ وكيف يمكن الوصول معهم الي نوع من التعاقد للسير في خطوات التنمية حتي النهاية أو الاستفادة من المنجزات التي سوف تتحقق .

٦ - ماهي العوامل التي يمكن ان تحفز المشاركين ؟ وماهي اوجه النفع أو الفائدة التي سوف تعود عليهم ؟ وماهي العلاقات السائدة بين المتأثرين بهذا التغيير ، وخاصة في قطاع الشباب .

٧ - محاولة تحليل النتائج المتوقعة في ضوء الاطر النظرية المتاحة ، وفي نفس الوقت في ضوء الخبرة الخاصة بالممارسين أو الخبراء المشاركين في تنفيذ

المشروع.

٨ - تحديد المسلمات الأساسية التي تمثل الاطار العام الذي سوف يحكم تنفيذ المشروعات وهذه المسلمات مهمة لضمان حيادية الأداء من قبل الممارسين ووحدة الفكر في العمل .

٩ - في صعود هذا السلم نبلغ درجة لاباس بها من التجريد حيث نسأل أنفسنا هل هناك علاقة سببية بين خطوات البرامج المقترحة للتدخل ؟

١٠ - الاستفادة بالمكتبة أو الاكاديميين (هنا تبدأ عملية الاستناد الي الاطر النظرية ومايليها من خطوات تؤكدا وتعدل من بناء الاطار النظري) للبحث عن النظريات التي يمكن الاستفادة بها وتتناسب مع مايحدث في المجتمع ، وهي تحتاج الي جهد كبير من الباحث للبحث عن هذه النظريات .

ومن الأمثلة الجيدة التي تمثل هذه الخطوة المحاولة التي قام بها Marshal) Clinard 1966)عندما استطاع اقامة العلاقة بين أهم الدراسات النظرية والامبيريقية عن الاحياء الفقيرة وتنمية هذه المجتمعات مع برامج تنمية المجتمعات الحضرية في مدينة دلهي بالهند محددا أوجه الالتقاء بين هذه الاطر النظرية ومجتمع دلهي .

١١ - محاولة الممارس صياغة النظرية الخاصة به أو المشروع الذي يقوم به ، وقد تكون هذه النظرية علي اتساق مع المعطيات النظرية الاخري ، اذ أن تكون صورة من النظريات التي تمثل خبرة خاصة بالمشروع ، ويمكن في هذه الحالة ان

يعاد اختبار مدي صدق وصحة هذه النظرية في المشروعات القادمة وهكذ يتحقق النمو المعرفي في مجال النظرية .

وفيما يلي تصورا للبناء اللهواركي للبناء التجريدي لنظرية الممارسة :

التساؤلات		سمات المرحلة
هل يمكن صياغة تعميمات لتفسير الموقف الحالي في ضوء البدايات للمشروع ؟	١١	صياغة النظرية
هل يمكن تفسير مايحدث الآن في المجتمع في ضوء النظرية المتاحة ؟	١٠	اختبار الاطر النظرية المتاحة
ماهي العلاقة بين مايحدث الان في المجتمع مع النسق العام في ضوء المسلمات الاساسية؟	٩	تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات
ماهي المسلمات الحالية في ضوء المسلمات السابقة في المجتمع التي كانت توجه العمل المهني ؟	٨	تحديد العلاقة بين المسلمات الاساسية .
هل مانشاهده الان في المجتمع يتفق مع مشاهدات الاخرين في مجتمعات اخري ؟	٧	الملاحظة بالمشاركة والمقارنة .
كيف تشارك جماعات المجتمع وماهي الجماعات المستفيدة؟	٦	تحليل الاطر الخاصة بالقوي الكامنة في المجتمع
ماهي احتياجات هذا المشروع ؟	٥	تحليل المحتوي وردود الافعال
لماذا اعتزم القيام بهذا العمل ؟	٤	تحليل الخبرة الذاتية للممارس
هل يمكن اعطاء مسميات للاعمال المطلوبة؟ وهل هناك علاقة بين هذه المتطلبات ؟	٣	التصنيف واقامة العلاقات المتساندة بين متغيرات المشروع .
هل العمل المطلوب انجازه علي صلة بمشروعات اخري؟	٢	تحديد النتائج أو الاهداف المبتغاه
ماهو المشروع المطلوب انجازه ؟	١	وصف العمل أو المشروع والمجتمع في وضعه الحالي

ملخـــص وخاتمة : Conclusion

أهم النقاط في هذا الفصل الخاص باختبار النظريات هي :

١ - ان العبارات التجريدية لايمكن اثبات صحتها ، ولكن من الممكن البرهنة علي خطئها .

٢ - العبارات المؤكدة يمكن اثبات صحتها أو خطئها .

٣ - ان العبارات المؤكدة تساعد في تدعيم العبارات التجريدية بطريقة غير مباشرة للاستفادة من تلك العبارات التجريدية .

٤ - حيث ان العبارات التجريدية قد وجدت لكي تكون مفيدة في وصف مواقف أكثر وأكثر ، فإن الثقة في الاستفادة من تلك العبارات تتزايد .

٥ - الاختبارات الاحصائية المعروفة لاثبات المعنوية ، يتم تطبيقها مباشرة علي العبارات المؤكدة ، ولكن عموما لايمكن أن تطبق بصورة مباشرة علي العبارات التجريدية .

٦ - الحقائق الملموسة .Substantive signif أكثر اهمية من الحقائق الاحصائية Statistical signific .

٧ - ان الفروض التي تقوم وتعتمد علي البديهيات قد تنتشر قبل تحليل البيانات البحثية ، والفروض التي تشتق من النظريات يمكن ان تختبر بجمع البيانات قبل أو بعد وضع الفروض .

٨ - تأييد العبارات المشتقة من النظرية يؤيد ويعضد بصورة مباشرة النظريه كما أن وجود أكثر من عبارة تتفق مع النتائج التجريبية ، يزيد الثقة في النظرية .

٩ - ان الثقة في أي عبارة لم يتم اختبارها يكون عادة كبيرا وذلك اذا ما اشتقت من نظرية مدعمة جيدا ، ومن مجموعة من العبارات المترابطة أكثر عبارات منفصلة .

١٠ - ومن المفيد جدا أن تأخذ في الاعتبار كيف أن التأثير الكبير لعديد من النظريات يأخذ شكل الظاهرة في تحديد صحة النظرية أو الاجابة عليها .

١١ - ان الاتفاق علي وجهات النظر من الاسس المفيدة عند الاختيار بين النظريات (في الشكل السببي أو البديهي) .

وعموما ، فإن التغيرات في الثقة في النظريات تحدث ببطء وسيتم في الاتي عرض لكيفية بناء نموذج سببي لنظرية ، كما سيتم من خلال ذلك ايضا كيفية استخدام الطرق المختلفة لاختبار النظرية سواء باستخدام المنهج التجريبي أو المنهج الاحصائي .

الفصل السابع

دراسة لكيفية بناء النموذج السببي للنظرية وكيفية اختبار النظرية

الفصل السابع

دراسة لكيفية بناء النموذج السببى للنظرية وكيفية اختبار النظرية

التحليل المسارى لبيان دور التكنولوجيا فى تحديد المستوى التنموى لقرى العينة البحثية

تمهيـــد:

استـخـدام لاجـراء الـتحليل الاحـصـائي لبيـانات هذه الدراسـة مـجـموعة من الاختبـارات والاساليب الاحصائيـة ، أحد هذه الاسـاليب هو التحليل الاحصائي المعروف باسم التحليل لمساري (Pathanalysis(Blaloch, 1979 وهـو عبارة عن اسلوب احصائي لعمل استدلال سببي بين مجموعة من المتغيرات ، ولقد توصل الي هذا الاسلوب عالم الوراثة سيوال رايت Sewall wrightعام ١٩٢١ كوسيلة تساعد علي التعبير بصورة رياضية عن الوراثة ، ولقد اخذ هذا الاسلوب في تحليل البيانات في الانتشار في كثير من العلوم وبخاصة في العلوم الاجتماعية حيث يرجع الفضل في ذلك الي دانكان Duncanعام ١٩٦٦.

ويمتاز هذا النوع من التحليل بانه يمكن من خلاله الربط بين النظرية المجتمعية والواقع الاجتماعي ، كما ويفيد هذا النوع من التحليل كذلك في اختبار العلاقات السببية والاسهامات النسبية لسلسلة أو لعدة سلاسل من المتغيرات المستقلة والتابعة والتي تنتهي كلها لتسبب في النهاية متغيرا تابعا نهائيا هو الظاهرة المراد دراستها من خلال نموذج مقترح من قبل الباحث . ويعتمد بناء هذا النموذج علي الاطار

النظري أو المنطقي الذي يتبناه الباحث . فاذا لم تتسق البيانات مع النموذج التفسيري ، يبرز الشك في الاطار النظري أو المنطقي الذي بني علي اساسه ، كما يفيد هذا النوع من التحليل في معالجة أوجه قصور النظرية المجتمعية (أبو العلا). وسيتم خلال هذا الفصل عرض المفترضات اللازم توافرها لاجراء مثل هذا النوع من التحليل ، ثم محاولة التعرف علي اثر مكونات التكنولوجيا المختلفة علي المستوي التنموي لقري العينة البحثية من خلال اختبار النموذج المعد لذلك بغرض التوصل في النهاية الي النموذج النهائي الذي يفسر العلية أو السببية لأثر التكنولوجيا علي المستوي التنموي .

مفترضات التحليل المساري :

لايجوز استخدام التحليل المساري في تحليل بيانات معينة الا في ظل شروط أو مفترضات معينة ، ويخطيء من يتصور ان تحليل المسارات هو طريقة للكشف عن العلية أو السببية . وفي هذا يقول Wright اننا لانهدف من تحليل المسارات الي استنباط علاقات علية أو سببية بين مجموعة من المتغيرات باستخدام قيم معاملات الارتباط ، وانما نهدف الي تطبيق هذا الاسلوب من اساليب تحليل البيانات علي نموذج سببي Causalmodel مفترض علي اساس نظري معين (علام ،) وهناك شروط معينة لابد من توافرها اذا ما اريد استنباط علاقة سببية بين مجموعة من المتغيرات هي : (Hertert, 1975) (Salana , 1983) .

١ التحليل الانحدارى كامتداد للانحدار المتعدد Multible regression.

حيث يفترض ان وحدات العينة قد سحبت بدون تبعية علي بعضها In dependently drawn كما يشترط ان تكون المتغيرات مقاسة بمقاييس فترية Interval Scale علي الاقل بالاضافة الي انه يشترط تجانس التباين بين المتغيرات .

٢ - لايوجد مشكلة الارتباط العالي أو الترادف الخطي المتعدد Multicali-narity بين العوامل المستقلة . (Norman , 1975) .

٣ - العلاقة بين المتغيرات الداخلة في النموذج السببي تتميز بأنها خطية بمعني انها خالية من التغذية الارتجاعية Feed back (Duncan , 1966) .

٤ - قياس المتغيرات في النموذج السببي بمقاييس ثابتة معتمدة Reliable

٥ - امكانية التوصل الي معاملات المسار Path coefficient في النموذج السببي من العلاقات الواقعية الارتباطية بين المتغيرات ، وذلك اذا امكن التحكم في التأثيرات الواقعة علي المتغيرات التابعة سواء كان بين بعضها البعض أو بينها وبين المتغيرات الخارجية .

خطوات اجراء التحليل المسارى

لاجراء التحليل المساري بطريقة سليمة يلزم الأمر اجراء مجموعة من الخطوات ، وأولي هذه الخطوات هو تحديد مجموعة المتغيرات الداخلة في النموذج وفي هذه

الدراسة فانه تم تحديد المتغيرات المستقلة والتابعة على نحو ما هي مسماه في جدول(١١٩) .

جدول ١١٩ المتغيرات المفترضة بالنموذج السببى المقترح ورموزها

اسم المتغير	الرمز	اسم المتغير	الرمز
تكنولوجيا الانتقال	X_1	توافر وكفاءه المنظمات	X_9
تكنولوجيا الاتصال	X_2	ترشيد التكنولوجيا	X_5
تكنولوجيا الطاقة	X_3	البنية الاساسية	X_{12}
تكنولوجيا التصنيع	X_4	المستوى التعليمى	X_{13}
التكنولوجيا الزراعية	X_5	الحجم السكانى	X_{14}
التكنولوجيا المنزلية	X_7	نوع المحافظة	X_{17}
التنسيق المنظمى	X_8	المستوى التنموى (المتغير التابع النهائى)	Y

٢ - وجود مجموعة من المفترضات ذات منطلقات نظرية تربط بين هذه المتغيرات .

٣ - ترتيب مجموعة المتغيرات الداخلة في النموذج ترتيبا سببيا زمنيا طبقا

لدينامية تأثيرها أو ما يطلق عليه الترتيب السببي لهذه المتغيرات Causal (Miller, 1981) . Ordcring .

٤ - وضع النموذج السببي المقترح أو ما يطلق عليه الـ Path diagram) Salane , 1983) يلاحظ في هذا المنموذج التمييز بين بعض المتغيرات وهي :

أ - المتغيرات الخارجية Exogenousvariables :

وهي تلك العوامل أو المتغيرات التي تتغير بناءا علي عوامل خارجية عن النموذج السببي وهي في هذه الدراسة ثلاثة متغيرات هي :

التعليم X_{13} ، نوع المحافظة X_{17} ، حجم السكان X_{14} .

ب - المتغيرات الداخلية Endogenou Variables :

وهي المتغيرات التي تتغير بناءا علي عوامل داخل النموذج السببي وهي في هذه الدراسة

تكنولوجيا الانتقال	X_1	تكنولوجيا الاتصال	X_2
تكنولوجيا الطاقة	X_3	تكنولوجيا التصنيع	X_4
التكنولوجية الزراعية	X_5	التكنولوجيا المنزلية	X_7
التنسيق المنظمي	X_8	توافر وكفاءة المنظمات	X_9
ترشيد التكنولوجيا	X_{10}	البنية الاساسية	X_{12}

وبالنسبة للمتغير التابع النهائي وهو المستوي التنموي فيرمز له بالرمز Y . في هذا الشكل المساري فان العلاقات الافتراضية السببية تمثل باسهم احادية الاتجاه من المتغيرات المستقلة الي المتغيرات التابعة بينما العلاقات بين المتغيرات الخارجية تمثل باسهم ثنائية منحنية ، وبالنسبة للمتغيرات المتبقية التي تعكس الـ erres والتي تسمي residual فتمثل هي الاخري باسهم احادية الاتجاه من كل من متغير متبقي الي المتغير التابع الخاص به . وفي النموذج السببي لهذه الدراسة سيرمز للقيم المتبقية للمتغيرات التابعة بالترميز الاتي :

جدول الرموز الرياضية للقيم المتبقية بالنموذج السببى المقترح

المتغير	القيم المتبقية	المتغير	القيم المتبقية
X_5	R_v	X_9	R_b
X_{12}	R_c	X_{10}	R_n
X_2	R_u	X_1	R_a
X_4	R_z	X_7	R_m
X_3	R_E	Y	R_j
X_8	P_w		

ويوضح الشكل صورة النموذج السببي المقترح والذي يبين كيفية تأثير التكنولوجيا علي المستوي التنموي لقري العينة البحثية مع وجود بعض المتغيرات الاخري التي تعمل من خلالها مكونات متغير التكنولوجيا .

٥ - تحديد مجموعة المعادلات التركيبية السببية Structure Equations

تكتب مجموعة المعادلات للمعاملات التابعة بالنموذج السببي وفقا للمسارات المقترحة في النموذج وهذه المعادلات هي :

$X_{12} = f(X_{14})$

$X_{12} = P_{12}X_{14} + P_{12RC}$

$X_2 = f(X_3, X_1)$

$X_2 = P_{23} X_3 + P_{21} X_1 + P_{2uRu}$

$X_1 = f(X_{14} , X_{12})$

$= P_{1\ 14} X_{14} + P_{112} X_{12} + P_{1aRa}$

$X_3 = f(X_{14})$

$= P_{314} X_{14} + P_{3E} R_E$

$X_{10} = f (X_1, X_{17}, X_{13})$

$P_{10} X_1 + P_{1017} X_{17} + P_{1013} X_{13} + P_{10n} R_{ur}$

$X_5 = f(X_{12}, X_2, X_1, X_3, X_{10})$

$= P_{512} X_1 + P_{52}X_2 + P_{51} X_1 + P_{53} X_3 + P_{510}X_{10} + P_{5v}R_v$

$X_9 = f(X_{12}, X_2, X_{17}, X_3)$

$P_{912} X_{12} + P_{92}X_2 + P_{917}X_{17} + P_{93}X_3 + P_{95}R_b$

$X_4 = f(X_5, X_{10}, X_{10}, X_2, X_1, X_3)$

$X_4 = P_{45}X_5 + P_{410} X_{10} + P_{412}X_{12} + P_{42}X_2 + P_{41}X_1 + P_{43}X_3 + P_{4z}R_z$

$X_7 = f(X_{10}, X_2, X_3, X_{14})$

$P_{710}X_{10} + P_{72}X_2 + P_{73}X_2 + P_{713}X_{13} + P_{7m}R_m$

$X_8 = f(X_{17}, X_2, X_1)$

$= P_{817}X_{17} + P_{82}X_2 + P_{81}X_1 + P_{8w}R_w$

$$Y = f(X_1, X_2, X_3, X_4, X_5 X_6, X_7, X_8, X_9, X_{10})$$

$$= P_{y1}X_1 + P_{y2}X_2 + P_{y3}X_3 + P_{y4}X_4 + P_{y5}X_5 + P_{y7}X_7$$

$$+ P_{y8}X_8 + P_{y9}X_9 + P_{y10}X_{10} + P_{yj} R_j$$

حيث R_j هي المعادلات المسارية ، i المتغير التابع ، j المتغير المستقل والتحليل المساري يتطلب عمل الانحدارات لهذه المعادلات وهذه العملية تستمر حتي يشتمل النموذج السببي فقط علي المتغيرات المغزوية حينئذ يسمي النموذج revised-modet وفي هذه العملية يتم الحصول علي معاملات الانحدار وكذلك المتبقي لكل عامل حيث يحسب المتبقي من المعادلة $\sqrt{1-R^2}$ وذلك لتحديد النسبة المئوية من الانحراف المعياري للمتغير التابع التي لم يمكن شرحها من خلال العلاقات المفترضة في النموذج السببي وسيستخدم لاجراء التحليل الاحصائي للنموذج السببي لهذه الدراسة مجموعة من المعاملات الاحصائية .

أ – معامل الارتباط البرسوني .

ب – معامل الانحدار الجزئي Partial regressioncoofficents تعطي تقديرات لتأثير كل من المتغيرات المستقلة علي متغير تابع عند التحكم في تأثيرات العوامل الاخري في النموذج السببي المقترح ومغزوية هذه المعاملات تبين ما اذا كانت هذه المسارات يمكن أن تستبعد أو يحتفظ بها في النموذج السببي المقترح وذلك بغرض الوصول الي النموذج السببي المعدل . وهناك نوعين من معاملات الانحدار الجزئي التي تستخدم في التحليل المساري .

(١) معاملات الانحدار القياسية B :

وتستخدم عندما يكون الاهتمام منصبا علي كمية التباين النسبي المشروحة في متغير تابع معين بتأثير مجموعة من العوامل المستقلة وكذلك تستخدم اذا كانت العوامل المستقلة مقاسة بوحدات قياس مختلفة ويكون الاهتمام في التحليل السببي هو تقدير التأثير الكلي من متغير معين علي متغير آخر في نفس العينة أو الشامل

(٢) معاملات الانحدار الجزئي غير القياسية B :

وتستخدم للمقارنة بين شاملة وأخري أو في الدراسات الطولية (١).

١– لبيان العلاقة بين كلا النوعين من المعاملات B B

حيث B هي معامل الانحدار غير القياسيUnstandized I. coefficient

B معامل الانحدار القياسس Standerdizedregrossion coofficirnt

sxi, هي الانحراف القياسي D ; S للمتغير المستقل x ; sy هي الانحراف القياسي للمتغير التابع y .

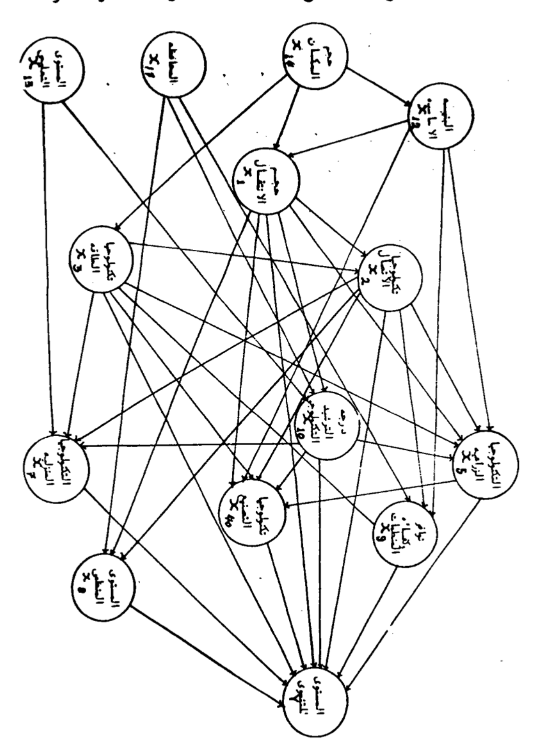
جـ - معاملات التحديد Cooffiuiont of determintion :تعكس كمية التبـاين في متـغير تـابع والمشروحـة أو الناتجة من مـجموعـة معينة من المتغيرات المستقلة ،وكلما كبرت قيمة R^2 كلمـا دل ذلك علي كفاءة النموذج السببي ولقد بلغت هذه النسبة في النموذج المقترح ٦٣.١٧ ٪ .

النموذ ج المقترح لبيان دور التكنولوجيا فى تحديد المستوى التموى :

تضمنت الفروض البحثية عشرة متغيرات داخلية يفترض ان لها تأثيرا علي المتغير التابع النهائي وهو المستوي التنموي للقرية ، كما تضمنت متغيرات خارجية يعتقد انها تقوم بدور متغيرات الاختيار لهذه المتغيرات الداخلية بمعني ان المتغيرات الوسـيطة أو الداخليـة لكي تحـدث تـأثيرهـا فـي المتـغـير التـابع النهـائي فـان هذه المتغيرات الخارجية لابد وان يكون كلها أو بعضها سابقا لهذه المتغيرات في الترتيب الزمني ملاحظة انه ليس بالضرورة ان يؤثر كل متغير خارجي علي كل المتغيرات الوسيطة وان اختيار هذه المتغيرات وتحديد مسارات تأثيرها تم من خلال دراسة الاتجاهات النظرية ونتائج بداية هذا الفصل .

ويمثل الشكل رقم (٢٠) النموذج المقترح لتأثير الانواع المختلفة من التكنولوجيا علي المستوي التنموي للقرية حيث يعرض مسـارات التـأثير السببي بين مختلف المتغيرات مرتبة ترتيبا زمنيا ، كما يمثل جدول (١٢١) العلاقات الارتباطية بين جميع المتغيرات ، ولاجراء التحليل الارتباطي لايجاد معامل الارتباط البسيط بين المتغيرات الخارجية exogenous وهي المستوي التعليمي X_{13} ، نوع المحافظة X_1 ، وحجم

شكل ٢٠ النموذج السببى المقترح لبيان دور التكنولوجيا فى تحديد المستوى التنموى



السكان X_{14} . فلقد ثبت انه لايوجد ارتباط معنوي بين المستوي التعليمي ونوع المحافظة حيث بلغت قيمة معامل الارتباط -۱۰ر وهي قيمة غير معنوية ، كما تبين عدم وجود علاقة معنوية بين نوع المحافظة* وحجم السكان حيث بلغت قيمة معامل الارتباط - ٤٠ر ، كما بلغت قيمة معامل الارتباط بين حجم السكان والمستوي التعليمي ۱۱ر وهي أيضا قيمة غير معنوية وبهذا يتحقق صحة أحد مفترضات التحليل المساري وهو عدم وجود ارتباط عالي بين المتغيرات المستقلة أو ما يطلق عليه الترادف الخطي المتعدد المشترك .

وببحث طبيعة العلاقة الارتباطية بين المتغيرات المستقلة للدراسة والمستوي التنموي اتضح وجود علاقة ارتباطية معنوية بين درجة تكنولوجيا الانتقال والمستوي التنموي لقري العينة البحثية حيث بلغت هذه القيمة ۳۲ر وهي قيمة معنوية عند المستوي الاحتمالي ۰۱ر ، كما تبين وجود علاقة ارتباطية معنوية بين متغير تكنولوجيا الاتصال والمستوي التنموي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ٥٤. وهي قيمة عند المستوي الاحتمالي ۰۱ر ، كما بلغت قيمة معامل الارتباط بين درجة تكنولوجيا الطاقة والمستوي التنموي ٤٦. وهي قيمة موجبة ومعنوية عند المستوي الاحتمالي ۰۱ر.

وبالنسبة لمتغيرات التكنولوجيا الاجتماعية تبين عدم وجود علاقة معنوية بين متغير درجة التنسيق المنظمي والمستوي التنموي لقري العينة البحثية حيث بلغت قيمة

* حيث ان نوع المحافظة متغير اسمي Noninalvariable فقد تم استخدامه كمتغير رمزي Dummy variable حتي يمكن اجراء الاختبارات البارامترية باستخدامه .

جدول ١٢١ مصفوفة توضح معاملات الارتباط البيرسونية بين المتغيرات البحثية

	تكنولوجيا المواصلات X_1	تكنولوجيا الاتصال X_2	تكنولوجيا الطاقه X_3	تكنولوجيا التصنيع X_4	التكنولوجيا الزراعيه X_5	التكنولوجيا المنزليه X_7	التنسيق المنطقى X_8	توافر وكفاءه المنظمات X_9	ترشيد التكنولوجيا X_{10}	البنيه الاساسيه X_{12}	المستوى التعليمى X_{13}	الحجم السكانى X_{14}	نسق المحافظه X_{17}	المستوى التنموى للقريه Y
X_1	-	.30	.25	.31	.17	.21	.09	.23	.21	.23	-.013	.13	.024	.33
X_2		-	.52	.42	.40	.53	-.15	.56	.029	.28	-.08	.46	.15	.54
X_3				.36	.21	.73	-.09	.44	-.30	.39	-.001	.45	.20	.46
X_4					.12	.34	-.07	.34	.36	.15	-.02	.37	.18	.38
X_5						.24	-.11	.51	.16	.18	-.14	.22	.26	.52
X_7							-.15	.28	-.05	.22	.09	.33	.25	.45
X_8								-.05	.081	.06	-.011	-.102	-.11	-.09
X_9									.21	.27	-.27	.54	.12	.71
X_{10}										.011	-.17	.105	-.14	.05
X_{12}											-.15	.14	.10	.3
X_{13}													-.01	-.11
X_{14}														.45
X_{17}														.15

معامل الارتباط - ۰٫۰۹ وهي قيمة غير معنوية بينما اثبتت الدراسة وجود علاقة ارتباطية معنوية بين درجة توافر وكفاءة المنظمات والمستوي التنموي حيث بلغ معامل الارتباط ۷۱ر وهي قيمة ارتباطية موجبة عالية المعنوية ، كما اثبتت النتائج عدم وجود علاقة بين متغير ترشيد التكنولوجيا والمستوي التنموي لقري العينة البحثية حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ٠٥ر وهي قيمة غير معنوية .

وبالنسبة للعلاقة بين المتغيرات الخارجية والمستوي التنموي لقري العينة البحثية فلقد اظهرت النتائج البحثية معنوية العلاقة بين حجم السكان والمستوي التنموي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ٤٥ر وهي قيمة معنوية وموجبة عند المستوي الاحتمالي ۰۱ر ، كما تبين عدم وجود علاقة ارتباطية بين متغير نوع المحافظة والمستوي التنموي حيث بلغت هذه القيمة ١٥ر وهي قيمة غير معنوية عند المستويات الاحتمالية المقبولة ، كما تبين وجود علاقة ارتباطية موجبة بين متغير البنية الاساسية والمستوي التنموي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط ٣ر وهي قيمة ارتباطية موجبة عند المستوي الاحتمالي ٠١ر.

وبالنسبة للعلاقة بين متغير المستوي التعليمي والمستوي التنموي فلقد بلغ معامل الارتباط - ١١ر وهي قيمة غير معنوية وقد يكون ذلك راجعا الي ان التعليم اصبح حقا للجميع كفلته مجانية التعليم كما ان اتجاه الدولة لبناء وتوفير مدارس المرحلة الاساسية في القري صغيرها وكبيرها .

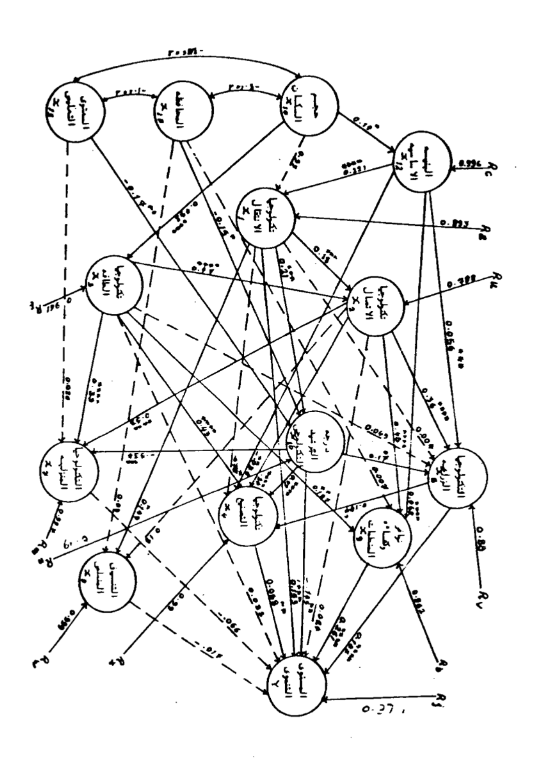
من هذا يتبين ان هناك ارتباط ايجابي ومعنوي عند المستوي الاحتمالي ٠١ر بين

كل المتغيرات الوسيطة وهي متغيرات التكنولوجيا المادية و الاجتماعية باستثناء درجة التنسيق المنظمي وبين المستوي التنموي لقري العينة البحثية ، كما اظهرت النتائج ايضا ارتباط متغير حجم السكان بالمستوي التنموي بدرجة معنوية عالية عند المستوي الاحتمالي ٠١ر ، بينما تبين عدم وجود ارتباط معنوي مباشر بين كل من المستوي التعليمي والمستوي التنموي ، وكذا نوع المحافظة والمستوي التنموي .

النموذج المعدل لبيان اثر التكنولوجيا على المستوى التنموى لقرى العينة البحثية

اظهرت النتائج البحثية بعد اجراء التحليلات الانحدارية للمعادلات التركيبية للنموذج المقترح ان متغير تكنولوجيا الاتصال لم يكن له تاثير مباشر علي المستوي التنموي الا انه كان له تاثير غير مباشر من خلال تاثيره علي متغيرات ذات اهمية كبيرة في تحديد المستوي التنموي مثل التكنولوجيا الزراعية ، توافر وكفاءة المنظمات تكنولوجيا التصنيع ، كما تبين ايضا ان متغير التكنولوجيا المنزلية لم يكن له تاثير مباشر أو غير مباشر ، كذلك اظهرت النتائج التحليل الانحداري ، ان متغير تكنولوجيا الطاقة لم يكن له تاثير مباشر وانما كان له تاثير غير المباشر من خلال تاثيره علي متغيرات اخري تلعب دورا كبيرا في تحديد المستوي التنموي مثل تكنولوجيا التصنيع ، توافر وكفاءة المنظمات ، وكذلك اوضحت النتائج البحثية ان متغير درجة التنسيق المنظمي لم يكن له أي تاثير في تحديد المستوي التنموي وربما يرجع ذلك الي نظام المركزية الذي يتحكم في عمل المنظمات والذي لايعطي فرصة لتباين المنظمات القروية في درجة مركزيتها والذي لايعطي لها الفرصة أيضا لاقامة المشاريع وتبادل الخبرات والمعارف بين المنظمات المختلفة ، كذلك أوضحت نتائج

الدراسة ان متغير المستوي التعليمي وهو أحد المتغيرات المستقلة الخارجية لم يكن له تاثير مباشر علي المستوي التنموي أو التكنولوجيا المنزلية وانما كان له تاثير غير مباشر علي المستوي التنموي من خلال تاثيره علي متغير درجة ترشيد التكنولوجيا هذا وقد اظهرت النتائج وجود تاثير مباشر لكل من التكنولوجيا الزراعية ، توافر وكفاءة المنظمات ، ترشيد التكنولوجيا ، تكنولوجيا التصنيع ، تكنولوجيا الانتقال علي المستوي التنموي للقرية جدول (١٢٢) وشكل (٢١) .



جدول ١٢٢ معاملات الارتباط والانحدار القياسي للنموذج السببي المعدل لاثر التكنولوجيا على المستوى التنموي لقرى العينة البحثية

التابع Dependent Variable	المتغير المستقل Independent Variable	معامل الارتباط Zero order Correlation	r	t	معامل الانحدار القياسي Path Coefficient	معامل التحديد Percent explained Variable
	X_{14}	١٤ر	٦٦ر٢	٦٦ر١	٠١٠ر*	٢ر
X_{12}	X_{3}	٢٥ر	٥٠ر٢٧	٦ر٢٩	٤٧١ر****	٤٦٧١١ر
X_{2}	X_{1}	٣٠ر	١١ر٥	٢ر٤٤	٢٨١ر***	
	X_{14}	١٣ر	٢ر٣٤	١١ر١	٩٣ر	٠١ر
X_{1}	X_{12}	٣٣ر	٦ر٨٧	٢ر٦٢	٢٢١ر****	
	X_{14}	٥٤ر	٢٤ر١٠	٥ر٨٧	٢٥٤ر****	٣٠٢٠٧٢ر
X_{3}	X	٣١ر	٦ر٥١	٢ر٥٧	٣١٢ر***	١١ر
X_{10}	X_{17}	-٠٤ر	٣ر٢٤	-١ر٨٢	-٠٥٠ر*	
	X_{13}	-٠٧ر	٤ر٤٤	-٢ر١١	-١٧٤ر**	
	X_{12}	٨٤ر	٩١ر٥	١٤٠ر	٠٦ر***	٢٨١٦٦١ر
X_{5}	X	٤٠ر	٠٣ر٢٢	٧٥ر٣	٢٥٧ر****	
	X_{1}	١٧ر	٣١ر	٥٠ر	٠٠٤ر	
	X_{3}	٣١ر	١٢ر	١٦ر	٤١ر	
	X_{10}	١٦ر	٣٥ر١	١ر٨٨	١٦٦ر*	
	X_{12}	٣٧ر	١٤ر١٦	٨١ر	١٦٨ر****	٣٠١٧ر
X_{9}	X_{2}	٢٦ر	٥٢ر٧٠	٥ر١٢	٥٠٠ر****	
	X_{17}	١٢ر	٥ر	١٠ر	٠٠٧ر	
	X_{3}	٤٤ر	٤ر٣٢	٢ر٥٨	٨٠ر**	
	X_{5}	١٢ر	٣ر٦٨	-١ر١٥	-١٤٤ر*	٦٨٥ر
X_{4}	X_{10}	٣٦ر	٢٧ر٠٩	٦ر٥١	٦١٠ر***	
	X_{12}	١٥ر	٤ر١٨	-١ر١٧	-٠٨٦ر**	
	X_{2}	٤٢ر	٣٥ر٦٦	٢ر٨٤	٢١٠ر****	
	X_{1}	٣١ر	٣ر٤٢	١ر٠٢	٠٧١٥ر	
	X_{3}	٣٦ر	٢٢ر٤٧	٤ر٨٤	١٢٣ر***	
	X_{10}	-١٥ر	٣٠٨ر٤٧	-١٣ر٦٨	-٣٢٤ر****	٨١١٠ر
X_{7}	X_{2}	٣٥ر	٢٢٤ر١١	٧ر٨٢	٣١٨ر****	
	X_{3}	٣٧ر	٧٢ر١٦	٨ر٥١	٣١٣ر****	
	X_{13}	٠٩ر	٨ر	٦٦ر	٠٢٦ر	
	X_{17}	-١١ر	١ر٧٤	-١ر٠٤	٠٨٩ر	٠٤ر
X_{8}	X_{2}	-١٥ر	٦ر٤١	-١ر١٨	١٧٨ر	
	X_{1}	٠٩ر	٢ر٨١	١ر٦٨	١٤٩ر	
	X	٣٣ر	٦ر٢٨	٢ر٤٤	٢٥٣ر***	١٢٦ر
J	X_{2}	٤٥ر	٥٠١ر	٩٢٥ر	٠٢٤ر	
	X_{3}	١٦ر	٣١٧ر	٦٣٥ر	٠٣٢ر	
	X_{4}	٣٨ر	٤ر٤٨	٢ر١١٧	٠٥٨ر**	
	X_{5}	٢٥ر	١١ر٣٠٧	٣ر٦١٣	١٤٢ر****	
	X_{7}	١٥ر	٣٨٥ر	-٧٣٣ر	٠٦٦ر	
	X_{8}	-٠٩ر	٤٤٥ر	-٧٣٨ر	٠١٧ر	
	X_{9}	٧١ر	٤٦ر١٢٨	٦ر٨٥٠	٣١١ر****	
	X_{10}	٠٥ر	٣ر٥٠٣	-١ر٨٧٠	-١١٥ر**	

* معنوي علي المستوي الاحتمالي ١.
** معنوي علي المستوي الاحتمالي ٠٥.
*** معنوي علي المستوي الاحتمالي ٠٢٥.
**** معنوي علي المستوي الاحتمالي ٠١.

النموذج النهائى لبيان اثر التكنولوجيا على المستوى التنموى لقرى العينة البحثية :

بعد استبعاد المسارات السببية غير المعنوية واعادة التحليل الانحداري لما تبقي من متغيرات ترتبط بمسارات معنوية سببية ينتج النموذج النهائي لعلاقة التكنولوجيا المختلفة بالمستوي التنموي لقري العينة البحثية وتوضح النتائج البحثية ان المتغيرات المستقلة الاربعة عشرة التي بدأ بها النموذج المقترح والتي كانت تفسر نحو ٦٤.١٦٥٨٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية قد اختزلت الي اثني عشر متغيرا تفسر حوالي ٦٢.٧٩٦٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية ، وذلك بعد استبعاد متغيري درجة التنسيق المنظمي والتكنولوجيا المنزلية . وقد لوحظ من النموذج المعدل النهائي ان هناك متغيرات ذات تاثير مباشر ومتغيرات ذات تاثير غير مباشر *(Alwina Ropert, 1975) ، كما ان المتغيرات ذات التاثير المباشر لبعضها غير مباشر وفيمايلي المتغيرات المعنوية في تاثيرها المباشر وغير المباشر علي المستوي التنموي علي نحو ما يتضح من جدولي (١٢٢) و (١٢٤) شكل ٢٢ .

١ - متغير درجة توافر وكفاءة المنظمات ومعامل السلوك له والتي تعكس التاثير المباشر ٢٧٢. ولم يكن لهذا المتغير تاثير غير مباشر ، والمتغير يفسر نحو ١٩.٤٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية .

---

* تم حساب التاثير الغير مباشرمن خلال حاصل ضرب قيمB لكل مسار رئيسي خارج من المتغير المطلوب حساب التاثير غير المباشر له والموصل للمتغير التابع النهائي عبر متغيرات اخري ثم جمع قيم B لمجموع المسارات الرئيسية الخارجية من المتغير المطلوب حساب التاثير غير المباشر له .

٢ - متغير تكنولوجيا الانتقال ومعامل المسار له رالتي تعكس التأثير المباشر ‎.١٤٢‏ ، كما بلغ حجم التأثير غير المباشر ‎٠.١١٢‏ . ليصبح حجم التأثير الكلي ‎.١٥٢‏ ويلاحظ ان التأثير غير المباشر كان من خلال متغيرات تكنولوجيا التصنيع ، ترشيد التكنولوجيا ، تكنولوجيا الاتصال . كما تبين ان متغير تكنولوجيا الانتقال يفسر نحو ‎١٠.٧‏٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية .

٣ - متغير تكنولوجيا التصنيع ومعامل المسار له والتي تعكس التأثير المباشر بلغ ‎٠.٤٩‏ . وهذا المتغير يفسر نحو ‎٨.٣‏٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية .

٤ - متغير التكنولوجيا الزراعية ومعامل المسار له والتي تعكس التأثير المباشر بلغ ‎.١٤٢‏ ، كما تبين ان حجم التأثير غير المباشر بلغ - ‎٠.٠٠٧٣‏ . وذلك من خلال متغير تكنولوجيا التصنيع ليصبح حجم التاثير الكلي ‎.١٣٢٧‏ . وهذا المتغير يفسر نحو ‎٢٠.٤‏٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية .

٥ - متغير درجة الترشيد التكنولوجي ومعامل المسار له والتي تعكس التاثير المباشر بلغ - ‎.١٠٨‏ . كما بلغ حجم التاثير غير المباشر ‎٠.٤٦‏ . وهذا التاثير كان من خلال متغيري تكنولوجيا التصنيع ، والتكنولوجيا الزراعية . وليصبح حجم التاثير الكلي - ‎٠.٦٤‏ ، وهذا المتغير يفسر نحو ‎٣.٤‏٪ من التباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية .

جدول ١٢٣ معاملات الارتباط والانحدار ومعامل التحديد للنموذج السببى النهائى لاثر التكنولوجيا على المستوى التنموى لقرى العينة البحثية

المتغير التابع Dependent Variable	المتغير المستقل Independent Variable	معامل الارتباط Zero order Correlation r	قيمة F	قيمة t	معامل الانحدار القياسى Path Coefficient B	معامل التحديد Percent explained Variable R^2
X_{22}	X_4	١ر	2.70	1.66	* .14	,.2
X_2	X_3	٢ر	50.77	6.29	**** .47	.47063
	X_1	٠ر	5.94	2.44	*** .18	
X_1	X_{12}	٣ر	7.86	2.80	**** .39	,.5
X_3	X_{14}	٥ر	34.90	5.87	**** .45	.203077
X_{10}	X_1	١ر	6.51	2.57	*** .21	.6445
	X_{17}	-١ر	3.29	-1.82	* -0.15	
	X_{15}	-٧ر	4.44	-2.11	** -0.17	
X_5	X_2	٠ر	26.19	5.13	**** 0.4	8299
	X_{10}	٦ر	3.79	1.95	* 0.15	
X_9	X_2	٦ر	65.19	5.63	**** .46	4778
	X_3	٤ر	6.26	2.5	*** .20	
X_4	X_5	٢ر	3.27	-2.01	* -.15	1689
	X_{10}	٦ر	27.05	6.93	**** .50	
	X_2	٢ر	39.73	2.95	*** .25	
	X_3	١ر	25.19	5.02	**** .42	
X_7	X_{10}	-٥ر	305.68	-13.62	*** -.59	2049
	X_2	٢ر	225.79	7.86	**** .55	
	X_3	٣ر	72.44	8.51	**** .39	
Y	X_1	٣ر	6.9.9	2.63	**** .14	622
	X_4	٨ر	9.15	3.022	**** .05	
	X_5	١ر	13.149	3.626	**** .14	
	X_6	١ر	69.395	8.33	**** .27	
	X_{10}	٥ر	11.713	-3.42	**** -.11	

* معنوى على المستوى الاحتمالى ١ر

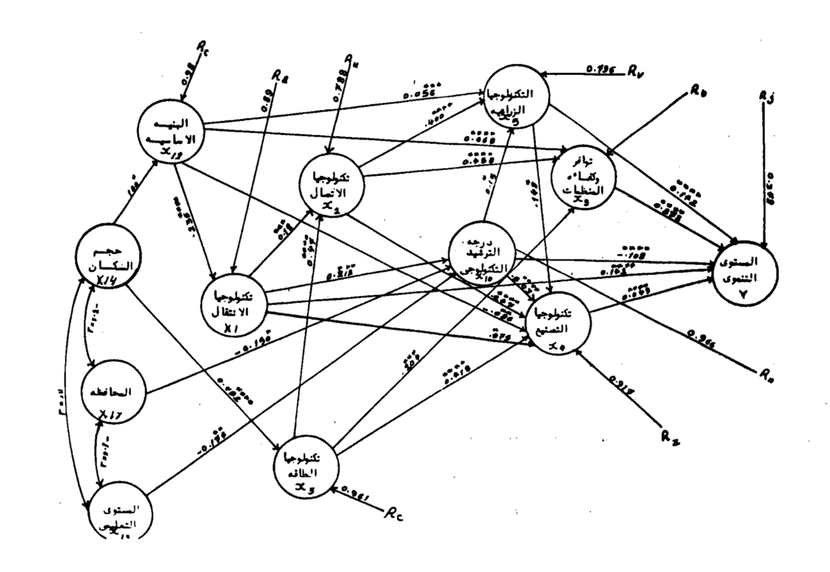
** معنوى على المستوى الاحتمالى ٥ر

*** معنوى على المستوى الاحتمالى ٠٥ر

**** معنوى على المستوى الاحتمالى ٠١ر

جدول ١٢٤ الارتباط الكلى والتأثير المباشر وغير المباشر للمسارات المعنوية الداخلة فى النموذج السببى النهائى

المتغير التابع Dependent Variable	المتغير المستقل Independent Variable	التاثير المباشر Direct effect β	التاثير غير المباشر Indirect effect	التاثير الكلى Total effect	الاقتران غير السببى Noncausal association	الاقتران الكلى Total association r
X_{12}	X_4	١٤ر	–	١٤ر	–	١٠ر
X_2	X_3	١٧ر	–	١٧ر	٠٥ر	٢٢ر
	X_1	١٨ر	–	١٨ر	١٢ر	٣٠ر
X_1	X_{12}	٢٤ر	–	٢٤ر	٠١ر	٢٣ر
X_3	X_{14}	١٥ر	–	١٥ر	–	١٥ر
X_{10}	X_1	٢١ر	–	٢١ر	–	٢١ر
	X_{17}	-١٥ر	–	-١٥ر	ر	-١٤ر
	X_{13}	-١٧ر	–	-١٧ر	–	-١٧ر
X_5	X_2	١٠ر	–	١٠ر	–	١٠ر
	X_{10}	١٥ر	–	١٥ر	٠١ر	١٦ر
X_9	X_2	١٦ر	–	١٦ر	١٠ر	٢٦ر
	X_3	٢٠ر	٢٢ر	٤٢ر	٠٢ر	٤٤ر
X_4	X_5	-١٥ر	–	-١٥ر	٢٧ر	١٢ر
	X_{10}	٥٠ر	-٢٢ر	٢٨ر	٠٨ر	٣٦ر
	X_2	٢٥ر	-٠٩٥ر	١٩١ر	٢٣ر	١٢ر
	X_3	٢٢ر	٠٨٨ر	٣٠٨ر	-١٩٨ر	٢١ر
	X_{12}	-٠٨٦ر	٠٣٢ر	-٠٥٢ر	٢٠٢ر	١٥ر
X_7	X_{10}	-٢٤ر	–	-٢٤ر	-١١ر	-١٥ر
	X_2	٣٥ر		٣٥ر	١٨ر	٢٣ر
	X_3	٧٣ر		٧٣ر	–	٧٣ر
y	X_1	١٤ر	٠١١٢ر	١٥ر	١٨ر	٣٣ر
	X_4	٠٤٦ر		٠٤٩ر	٣٣ر	٣٨ر
	X_5	١٤ر	-٠٠٧٣ر	١٣٢٧ر	٢٨٧ر	٢٢ر
	X_9	٢٧ر		٢٧ر	٤٤ر	٧١ر
	X_{10}	-١١ر	٠٤٦ر	-٠٦٤ر	١١٤ر	٠٥ر


حجم السكان X14
المحافظه X17
المستوى التعليمي
البنيه الاساسيه X12
تكنولوجيا الانتقال X1
تكنولوجيا الاتصال X2
تكنولوجيا الطاقه X3
درجه الترشيد التكنولوجي X10
تكنولوجيا التصنيع X4
التكنولوجيا الزراعيه X5
توافر وكفاءه المنظمات X9
المستوى التنموى Y

وبالنسبة للمتغيرات التكنولوجية الاخري والتي لم يكن لها تاثير مباشر معنوي فان بعضها كان له تاثير غير مباشر كبير وواضح وهي :

١- متغير درجة تكنولوجيا الاتصال ولقد تبين ان هذا التغير لم يكن له تاثير مباشر معنوي حيث بلغت قيمة B ٠.٠٢٤ . ولكن له تاثير غير مباشر كبير ولقد بلغ حجم هذا التاثير ١٩٣٤. وهذا التاثير كان من خلال بعض المتغيرات ذات التاثير المعنوي علي المستوي التنموي وهي متغير التكنولوجيا الزراعية ، متغير درجة توافر وكفاءة المنظمات ، متغير درجة تكنولوجيا التصنيع ليصبح حجم التاثير الكلي ٠.٢١٧٤.

٢ - متغير تكنولوجيا الطاقة وهذا المتغير لم يكن له تاثير مباشر معنوي علي المستوي التنموي حيث بلغت قيمة B ٠.٠٣٢ . ولكن كان له تاثير غير مباشر وقد بلغ حجم هذا التاثير ١٠١٥. ولقد كان هذا التاثير من خلال متغيرات تكنولوجيات الاتصال ، تكنولوجيا التصنيع ، متغير درجة توافر وكفاءة المنظمات ليصبح حجم التاثير الكلي ١٣٣٥. ٠

ترتيب متغيرات التكنولوجيا حسب الاهمية النسبية فى علاقتها بالمستوى التموى:

ان قيمة معامل المسار أو معامل الانحدار القياسي تعني ان بفرض زيادة وحدة انحراف معياري واحدة من المتغير المستقل فان الوحدة الواحدة من الانحراف المعياري للمتغير التابع تتزايد بمقدار قيمة معامل الانحدار القياسي (B) وعلي هذا الاساس فان معاملات المسار يمكن ان تعكس الاهمية النسبية أو الاسهام

النسبي لكل متغير مستقل بالمقارنة بالمتغيرات الاخري ، كذلك فان قيم R والتي يطلق عليها معامل التحديد أو التفسير تعكس حجم مساهمة المتغيرات المستقلة في تفسير التباين في المتغير التابع .

ووفقا لدرجة الاهمية النسبية لأهم المتغيرات المستقلة المؤثرة علي المستوي التنموي للقرية معبرا عنها بقيمة معامل الانحدار القياسي B علي اساس التاثير المباشر فقط يجيء متغير درجة توافر وكفاءة المنظمات في المقدمة وقيمة B له ٢٧٢. ثم في المرتبة الثانية يجيء متغيري درجة التكنولوجيا الزراعية درجة تكنولوجيا الانتقال ولقد بلغت قيمة B لكل منها ١٤٢. الا ان قيمة معامل التحديد R لمتغير التكنولوجيا الزراعية يفسر جزءا كبيرا من التباين في المتغير التابع مقارنة بمتغير تكنولوجيا الانتقال ، ويجدر التنويه هنا الي ان متغير درجة التكنولوجيا الزراعية يتفوق علي جميع المتغيرات في حجم تفسيره للتباين في المستوي التنموي لقري العينة البحثية ، ويجيء في المرتبة الرابعة في الاهمية النسبية متغير درجة تكنولوجيا التصنيع ومعامل المسار له (B) ٠٤٩. ثم اخيرا متغير درجة ترشيد التكنولوجيا ومعامل المسار له – ١٠٨.٠

ومن حيث ترتيب المتغيرات التكنولوجية حسب اهميتها النسبية داخل النموذج السببي اذا اخذ في الاعتبار حجم التاثير الكلي اي التاثير المباشر وغير المباشر فان متغير درجة توافر وكفاءة المنظمات يجيء في المرتبة الاولي حيث بلغ حجم التاثير الكلي له ٢٧. ، في المرتبة الثانية يجيء متغير درجة تكنولوجيا الاتصال وحجم التاثير الكلي له ٢١٧٤. ويلاحظ ان هذا المتغير لم يكن له تاثير مباشر علي

المستوي التنموي ، ثم في المرتبة الثالثة تجيء متغير تكنولوجيا الانتقال وحجم التاثير الكلي له ١٥. ، ثم في المرتبة الرابعة يجيء متغير درجة تكنولوجيا الطاقة وحجم التاثير الكلي له ١٣٥٩. ويلاحظ ان هذا المتغير لم يكن له تاثير مباشر معنوي علي المستوي المعنوي ، وفي المرتبة الخامسة يجيء متغير التكنولوجيا الزراعية وحجم التاثير الكلي له ٠.٠٦٧ ، وفي المرتبة السادسة يجيء متغير تكنولوجيا التصنيع وحجم التاثير الكلي له ٠.٠٤٩ . واخيرا في المرتبة السابعة يجيء متغير الترشيد التكنولوجي وحجم التاثير الكلي - ٠.٠٦٤

الفصل الثامن

نموذج بناء نظرية متوسطة المدي

الفصل الثامن

البناء الاجماعى

(نموذج لنظرية متوسطة المدىMmidle Range theory)

حتي عهد قريب يستطيع الفرد أن ينكر ثمة اتجاه ملحوظ في النظرية الاجتماعية وهذا الاتجاه يرجع عدم قدرة البناء الاجتماعي في تحقيق وظائفه الي فشل الضبط الاجتماعي علي دوافع الانسان البيولوجية المتعسفة . وتصور العلاقات القائمة بين الانسان والمجتمع التي ينطوي عليها هذا المذهب هو تصور واضح الا أنه عرضه للجدل . فهناك دوافع الانسان البيولوجية التي تنشد التعبير التام . ويليها الضبط الاجتماعي وهو نظام جوهري لإداره هذه الدوافع ولمعالجة التوترات بطريقة اجتماعية ولنبذ إشباع الغرائذ كما أطلق عليها فرويد . ويفترض البعض ان عدم التوافق مع النسق الاجتماعي العام موحد الدعائم في طبيعة الانسان الأصلية . والدوافع ذات الجذور البيولوجية هي التي تقوم من وقت الي أخر بخرق اطار الضبط الاجتماعي . ومن ثم فان التوافق ينجم عن التفاضل المنفعي للفاعل " Actor " في الموقف الاجتماعي .

ومع التقدم الذي تحرزه العلوم الاجتماعية فلقد طرأ علي هذه المفاهيم تعديلات اساسيا . فلم يعد الانسان يقاوم المجتمع في حرب دائمة بين الدوافع البيولوجية من ناحية والضوابط الاجتماعية من ناحية أخري . وتصور الانسان علي انه مجموعة غير مروضة من الدوافع يبدو وكأنه رسما هزليا أكثر من كونه وصفا يعبر عن الواقع

وبسبب آخر فإن ابعاد النظرية الاجتماعية تشتمل علي تحليل السلوك المنحرف عن نماذج السلوك الموضوعة المتعارف عليها . ومهما كان الدور الذي تلعبه الدوافع البيولوجية فسيظل هناك ثمة سؤال ملح : لماذا يتنوع السلوك المنحرف في نطاقات مختلفة من البناءات الاجتماعية ؟ وايضا كيف يتأتي لتلك الانحرافات أن تتخذ اشكالا ونماذج متباينة في البناءات الاجتماعية المختلفة ؟ وفي الوقت الراهن لازال لدينا الكثير لنعرفه عن العمليات التي تقوم من خلالها البناءات الاجتماعية بخلق الظروف التي تشكل فيها نقض القوانين الاجتماعية ومخالفتها استجابة طبيعية (وبمعني آخر استجابة متوقعة) .

ولكن كيف يتأتي لبعض البناءات الاجتماعية أن تفرض ضغوطا محددة علي اشخاص معينة في المجتمع ممايجعل سلوكهم يتسم بعدم التوافق الاجتماعي واذا امكننا تصنيف وتحديد المجموعات التي تتعرض لمثل هذه الضغوط يجدر بنا أن نتوقع ان تشتمل هذه المجموعات علي معدلات عالية من السلوك المنحرف ليس لأن الافراد الذين يكونون تلك الجماعات هم نتاج مركبات اتجاهات بيولوجية مميزة لكن لإنهم يستجيبون بطريقة طبيعية للموقف الاجتماعي الذي وجدوا أنفسهم يعيشون فيه .

ويجب أن نأخذ في الحسبان الاختلافات الموجودة في معدلات السلوك المنحرف وليس حدوث ذلك السلوك . واذا حالف بحثنا التوفيق فسيتضح أن بعض صور السلوك المنحرف هي صور طبيعية من صور السلوك المتوافق اجتماعيا من الناحية النفسية .

* نماذج الأهداف الثقافية والمعايير التنظيمية : Patterns of Cultural Goals and Institutional Norms .

من بين العناصر العديدة البناءات الاجتماعية والثقافية هناك عنصرين فقط يتسمان بكونها ذا أهمية قصوى الا أنه يمكن فصلهما من الناحية التحليلية علي الرغم من أنهما يظهران في مواقف محددة . ويتكون العنصر الأول من الأهداف والأغراض والاهتمامات بما يتصف بالمشروعية لكل أعضاء المجتمع وتعتبر هذه الأهداف أهدافا متكاملة ودرجة التفاوت هي مسألة تجريبية وهي مرتبة حسب القيمة. فالأهداف السائدة التي تشتمل علي درجات متفاوتة من الميول والدلالات تنطوي علي اطار من المطامع الرمزية . وهي تلك الأشياء التي تستحق ان يصارع ويناضل الانسان من أجلها وهي تشكل العنصر أو المكون الاساسي علي الرغم من انها ليست العنصر المطلق وهذا ما يطلق عليه لينتون " معايير استمرارية الجماعة " وعلي الرغم من أن بعض هذه الاهداف الثقافية ذات علاقة مباشرة مع دوافع الانسان البيولوجية الا أنها لاتقع تحت سيطرتها .

ويقوم العنصر الثاني للبنية الثقافية بتحديد وتنظيم وتحديد الاساليب المقبولة للوصول الي هذه الاهداف . وتقوم كل مجموعة اجتماعية بادماج أهدافها الثقافية مع اللوائح المتأصلة في الأعراف أو المؤسسات وهي لوائح ذات اجراءات مقبولة لتحقيق هذه الأهداف . ولاتتطابق هذه المعايير المنظمة بالضرورة مع المعايير الذاتية أو معايير الكفاءة . وهناك العديد من الاجراءات التي يعتبرها بعض الأفراد فعالة في حماية القيم المنشودة مع استبعاد ممارسة العنف والتدليس والنفوذ من الحيز

المنظم للسلوك المقبول . وفي بعض الاحيان فإن الاجراءات الخاصة بالمحرمات تشمل الافعال التي تعتبرها الجماعة تمس المعايير التي تتسف بالمقدسة حيث ان قاعدة القبول الاجتماعي ليست ذات فعالية محددة الا أنها ذات قيمة عاطفية تلقي مساندة من قبل اعضاء هذه الجماعة أو من قبل هؤلاء الذين تتوافر لديهم القدرة علي تعزيز هذه العواطف عن طريق تطبيق واستخدام مركب القوة والنفوذ . وفي جميع الأمثلة فان اختيار الوسائل لتحقيق الاهداف الثقافية يتم تحديده وفق المعايير التنظيمية وغالبا ما يتحدث علماء الاجتماع عن هذه الضوابط علي انها أعرافا أو علي انها ضوابط لها صفة العمومية من خلال النظم الاجتماعية . وهناك شيء من الصحة في مثل هذه العبارات الإهليلجية الا أنها قد تعتم حقيقة أن الممارسات الثقافية التي تم وضعها وفق معاييرا محددة لاتنتمي الي وحدة واحدة . وتقع هذه الممارسات عرضه للسيطرة والتحكم . وقد تمثل هذه الممارسات نماذج سلوك متعارف عليها أو مفضلة أو مسموح بها أو محظورة كلية . ويجب أن نأخذ في الاعتبار عند تقييم عملية الضوابط الاجتماعية أن هذه التنوعات يمكن الاشارة اليها باستخدام هذه المصطلحات : الوصف والتفضيل والتصريح والتحريم . فاذا رأينا أن الاهداف الثقافية والمعايير التنظيمية تؤدي وظائفها عن طريق الاتحاد لكي تشكل الممارسات السائدة ، ويمكننا القول بأن هناك ثمة علاقة ثابتة بينهما . ويختلف الدعم الثقافي علي أهدافا معينة عن درجة هذا التأكيد علي الوسائل التنظيمية . وقد يظهر ضغطا شديدا علي قيمة بعض الأهداف المعينة بما في ذلك الاهتمام النسبي بالوسائل التنظيمية التي تسعي الي تحقيق هذه الاهداف والمسألة

المحدودة من هذا النمط يمكن الوصول اليها تحت سيطرة المعايير الوسيطة أكثر من المعايير التنظيمية . فجميع الاجراءات التي تتعهد بالوصول الي الهدف ذات الأهمية القصوي سيتم تطبيقها في هذه الحالة الافتراضية. وهذا بدوره يؤدي الي نمط من أنماط الثقافة غير المتكاملة . وهناك نمط ثاني يوجد في الجماعات التي يتم تصور الأنشطة فيها علي انها أنشطة وسائلية ومن ثم فهي تتحول الي ممارسات ذات اكتفاء ذاتي وبالتالي تنقصها السعي وراء أهداف أخري . والأهداف الرئيسية تدخل في حيز النسيان ويصبح التمسك بالسلوك التنظيمي مسألة طقوس ويصبح التوافق الاجتماعي ذو قيمة رئيسية ولبعض الوقت يكون الاستقرار الاجتماعي علي حساب معدل المرونة وحيث ان مدي السلوك البديل المسموح به ثقافيا هو مدي محدود للغاية لذا فإن القاعدة المتاحة لتطبيق الظروف الجديدة هي قاعدة محدودة أيضا . وهنا يظهر مجتمع مقيد بالتقاليد تميزه ظاهرة جديدة (وهي حالة مرضية تصيب النفس بنوع من الخوف) . وتوجد بين هذه الانماط المتطرفة مجتمعات قادرة علي ان تحافظ علي التوازن بين التأكيد علي الاهداف الثقافية وبين الممارسات التنظيمية ومن ثم فهي تشكل المجتمعات المتكاملة ذات الاستقرار النسبي الذي قد يطرأ عليه بعض التغيرات .

ويمكن الابقاء علي توازن فعال بين هذين الطورين من اطوار البنية الاجتماعية طالما أن أفراد هذا المجتمع يشبعون رغباتهم بطريقة تتوافق مع الضوابط الاجتماعية أي اشباع الرغبات الناتج عن تحقيق الأهداف واشباع الرغبات المنبثق مباشرة من الوسائل التنظيمية التي تسعي لتحقيق تلك الأهداف . ويعتمد هذا التوازن علي الناتج والعملية من ناحية وعلي الناتج والانشطة من ناحية أخري .

ويجب أن ينبثق الاشباع المستمر للرغبات من المشاركة المحضة في النسق الذي يتسم بكونه ترتيبا تنافسيا وايضا من قبل المتنافسين اذا كان هذا الترتيب يحتاج الي مساندة وتعضيد . واذا اتجه الاهتمام بصورة مطلقة الي ناتج المنافسة فإن هؤلاء الذين يعانون بصورة دائمة من الهزيمة قد يلجئوا الي تغيير قواعد هذه اللعبة . ومن ناحية أخري فان التضحيات التي تبذل بطريقة عرضية من جراء التوافق مع المعايير التنظيمية يجب تعويضها بمكافئات اجتماعية ويجب ان يكون توزيع المناصب من خلال المنافسة توزيعا يتوافق مع أن تكون الحوافز الايجابية للتمسك بالتزامات المواقع أو المراكز في الجماعة لكل من يشغل أي مركز في نطاق هذا الترتيب الهادف والا نجم عن ذلك سلوك غير ايجابي (وهو السلوك الذي سلك سبيلا غير مألوف) بل أن الغرض الاساسي القائل بأن السلوك غير الايجابي قد يعد عرضا من اعراض الانفصال عن الأطر الثقافية وعن الوسائل الاجتماعية الممهدة لتحقيق هذه الأطر .

ومن بين انماط الجماعات التي تقوم علي تعدد الأهداف الثقافية والأطر التنظيمية سوف ينصب اهتمامنا فقط علي نمط الجماعة التي يوجد فيها تأكيدا قويا علي اهداف معينة دون وجود تأكيد مناظر علي الاجراءات التنظيمية . ولو تمكننا من ادراك ذلك فينبغي أن تفسر هذه العبارة بالتفصيل فليس هناك ثمة مجتمع تنقصه المعايير التي تحكم السلوك . الا أن المجتمعات تختلف من حيث درجة تكامل الأعراف والضوابط التنظيمية مع الأهداف التي تحتل المرتبة الأولي في ترتيب القيم الثقافية .

وقد تجعل ثقافة المجتمع الافراد يركزون اهدافهم الانفعالية علي عقدة الغايات التي تلاقي استحسانا ثقافيا مع توجيه مساندة عاطفية قليلة الي الوسائل التي تحقق الوصول الي هذه الغايات . ومع وجود مثل هذه المواقف المختلفة تجاه الأهداف والاجراءات التنظيمية فإن الاجراءات التنظيمية قد يصيبها التلف من جراء التركيز علي الأهداف بحيث تجعل سلوك العديد من الافراد يتحدد فقط باعتبارات ذات علاقة بالملائمة الغائية وفي هذا السياق يبرز سؤال ذو أهمية قصوي وهو : أي من هذه الاجراءات المتاحة تعد أكثر فعالية وكفاءة في نسق القيمة الثقافية ؟ واكثر الاجراءات فعالية وشرعية كانت تصبح هي الوسيلة المفضلة . وحيث أن عملية الغائية مستمر فإن المجتمع يتسم بكونه غير مستقر ويظهر مايطلق عليه دور كيم " الانحراف " أو الشذوذ عن القاعدة .

وهذه العملية التي تسبب الانحراف يمكن ملاحظتها بسهولة في سلسلة من الحوادث الطبيعية التوجيهية التي قد تتسم في بعض الأوقات بأنها تافهه . ومن ثم فإن الرياضة التي تتسم بطابع المنافسة يبتعد فيها غاية الانتصار عن نطاق الضوابط المنظمة ويصبح معني النجاح هو فوز بالمباراة أكثر من كونه فوزا يتحقق طبقا لقواعد اللعبة حيث يقوم المتنافسون بانتهاج سبلا غير شرعية تمكنهم من تحقيق الفوز حيث أنها وسيلة ذات فعالية غائية . فإنه يمكن عرقلة نجم فريق كرة القدم المنافس خلسة كما يمكن للمصارع أن يتغلب علي خصمه بطرق ممنوعة . وتقوم الجامعة بتقديم الاعانات المالية للطلبة الذين تقتصر مواهبهم علي النطاق الرياضي والتأكيد علي الهدف يخفف ويقلل من حدة اشباع الرغبات المنبثقة من

المشاركة الخالصة في النشاط الذي يتسم بطابع المنافسة التي تجلب وتحقق ناتجا ناجحا يحقق اشباع الرغبات . ويمكن تخفيف حدة التوتر الناشيء من هذه العملية من جراء الرغبة في الفوز في لعبة البوكر باتباع بعض الحيل أو عندما يتم تبديل أوراق اللعب بذكاء ودهاء . ويدل الشعور بالألم الخفيف الناتج عن القلق في المثال الأخير الذي ذكر مثالا من أمثلة الطبيعة الخداعة علي أن القواعد المنظمة لتلك اللعبة معروفة لهؤلاء الذين يتملصون منها . الا أن المبالغة الغائية لهدف النجاح يجعل الاشخاص يتغاضون عن المساندة العاطفية لهذه القواعد (أي الانسلاخ عن القواعد الاساسية).

وبالطبع فان هذه العملية غير مقصورة علي النطاق الرياضي ذات الطابع التنافسي الذي زودنا بصور مصغرة كونية للنظام الاجتماعي . والشعور بنشوة الانتصار عند تحقيق الهدف قد يسبب فسادا في الآداب ويحدث هذا في عديد من المجتمعات حيث يكون العنصرين الاساسين المكونين للبنية الاجتماعية في حاجة ماسة الي التكامل .

وتتقارب الثقافة الامريكية المعاصرة مع النمط الرئيسي حيث يحدث تأكيدا هائلا علي أهداف معينة للنجاح دونما حاجة الي تأكيد مماثل علي الوسائل التنظيمية . وبالطبع فسيكون من الغرابة ان نؤكد علي أن الثروة الطائلة تنفرد بكونها الرمز الأوحد للنجاح كما انه سيكون من الغرابة أن ننكر حقيقة أن الامريكيين قد خصصوا للثروة مكان الذروة في سلم القيم . وعلي نطاق أوسع فان المال يعتبر قيمة في حد ذاته ، ففضلا عن استخدامه لاشباع السلوك الاستهلاكي فهو يلعب دورا

هائلا في تعزيز القوة الي جانب أنه قد أصبح رمزا للمكانة والاعتبار . وكما أكد « سيمل » فان المال هو شيء معنوي وغير شخصي . ومع ذلك يحرص الجميع علي الحصول علي المال إما عن طريق التدليس والاحتيال وإما عن طريق اشباع المعايير التنظيمية وفي كلتا الحالتين فإن المال يستخدم لشراء نفس السلع ونفس الخدمات . فإن المجتمع الحضري يصرح ويقر بالثراء الذي تكون مصادرة غير معروفة للمجتمع الذي يعيش فيه الاستقراطيون . واذا كانت مصادرهذا الثراء معروفة فانها تستخدم كرمز للمناصب العالية المرموقة وفضلا عن ذلك فإن الحلم الامريكي حلم لانهاية ولاحدود له . كما أن مقياس النجاح المادي هو مقياس غير محدود ونسبي فكما يري (9 H. F. Ciark فإن في كل مستوي من مستويات الدخل فإن الامريكين يريدون أن يزيدوا دخلهم بنسبة ٢٥٪ فقط (ولكن هذه الـ ٢٥٪ فقط في زيادة مطردة) فإذا نجحوا في الحصول علي هذه النسبة فهم يسعون لتحقيق نسبة أعلي . ولاتوجد في هذا السيل المتدفق من المقاييس المتغيرة ثمة نقطة مستقرة للاسترخاء والراحة وبالاحري فان تلك النقطة هي النقطة التي تنجم دائما في أن تتقدم للأمام . والمراقب لأي مجتمع تكون فيه المرتبات السنوية المكونة من ستة ارقام هي مرتبات عادية يعطي تقريرا يذكر فيه بعض كلمات أحد ضحايا الحلم الامريكي . وهذه الكلمات تنم عن الألم والمعاناة " أنا مطحون اجتماعيا في هذه المدينة لإنني أحصل علي ١٠٠٠ دولار فقط اسبوعيا وهذا مايؤلمني " . واذا افترضنا ان هدف النجاح المادي هو هدف موطد الدعائم في الثقافة الامريكية فإننا بذلك نفترض أن الامريكيين محاصرين من كل جانب بفروض وتعاليم تؤكد علي واجب الحفاظ علي

الهدف حتي اذا جابه سلسلة من الاحباطات المتكررة . ويعزز الأشخاص نوي المكانة المرموقة في المجتمع هذا التأكيد الثقافي . فالأسرة والمدرسة ومكان العمل تعد من أهم الهيئات التي تشكل بناء الشخصية . وتكون الهدف للأمريكيين والتي تشارك وتساهم في توفير النظام المكثف المتطلب اذا كان علي الفرد أن يتمسك بهدف بعيد المنال واذا تم اثارته بوعد بتحقيق واشباع رغباته التي لم تتحقق بعد . وكما سنري فان وظيفة الوالدين تتمثل في نطاق تحويل القيم والاهداف للجماعات التي ينتمون اليها أو لطبقتهم الاجتماعية أو للطبقة التي تتيح لهم تحقيق ذاتهم . أما المدارس وهي الهيئة الرسمية لتوصيل القيم السائدة في المجتمع بنسبة عالية عن طريق الكتب المدرسية التي تبين ضمنيا أو تقر بوضوح بأن " التعليم يؤدي الي تحقيق الذات " وبالتالي تحقق النجاح الوظيفي والنجاح المادي " . وبؤرة عملية تأهيل الافراد للوصول الي مطامحهم التي لم تتحقق بعد تتمثل في انماط النجاح الاولية (الاصلية).

أنماط التوافق الفردى : A Typologg of Modes of Individual Adaptation

نحن الآن بصدد دراسة وفحص انماط التكيف لدي الافراد في اطار ثقافة المجتمع . وبالرغم من أن بؤرة اهتمامنا تظل متمثلة في النشوء الثقافي والاجتماعي للمعدلات والانماط المتنوعة للسلوك المنحرف فإن هدفنا ينتقل من مجال انماط القيم الثقافية الي مجال انماط التكيف تجاه هذه القيم بين هؤلاء الذين يشغلون مناصب مختلفة في النسق الاجتماعي وندرس هنا خمسة انماط للتكيف ، حيث أن هذه

الانماط قد تم ادراجها في الجدول التالي فنجد أن علامة (+) تدل علي " القبول " بينما تدل علامة (-) علي " الرفض " وعلامة (±) تدل علي :" رفض القيم السائدة وابدالها بقيم جديدة ".

أساليب التكيف	الأهداف الثقافية	الوسائط التنظيمية
١ - التوافق الاجتماعي	+ Conformity	+
٢ - الابتكار	+ Innovation	-
٣ - الطقوسية	- Ritualism	+
٤ - الارتداد	- Retruatism	-
٥ - التمرد	± Rebellion	±

وملاحظة أن الاشخاص قد ينتقلون من بديل الي أخر طالما أنهم يشاركون في مجالات مختلفة من الانشطة الاجتماعية يجب أن تتصدد الدراسة التي نجريها بصدد معرفة الكيفية التي يعمل بها النسق الاجتماعي في فرضه للضغوط علي الافراد لنهج الاساليب البديلة للسلوك .

وتشير هذه التصنيفات الي الدور الذي يلعبه السلوك في انماط معينة من المواقف وليس الي الشخصية وهي تقريبا أنماط للاستجابة وليست أنماط لتنظيم الشخصية . واجراء البحث علي انماط التكيف في مجالات مختلفة من مجالات

السلوك سيؤدي الي نشوء تعقيد يصعب التحكم فيه . ولهذا السبب ينصب اهتمامنا في المقام الاول علي النشاط الاقتصادي بما في ذلك انتاج السلع والخدمات وتبادلها وتوزيعها واستهلاكها في مجتمع يتنافس فيه الافراد حيث تتخذ الثروة قالبا رمزيا ذو مكانة رفيعة .

١ - التوافق (التكيف الاجتماعي : Conformity

يعتبر نمط التكيف الأول وهو التوافق مع كل من الأهداف الثقافية والوسائل التنظيمية من أكثر الأنماط شيوعا وانتشارا خاصة في المجتمع المستقر . واذا لم يكن هذا حقيقيا فيتعذر الإبقاء علي استقرار واستمرارية المجتمع . وشبكة التوقعات التي تشكل كل نظام اجتماعي يتم تعزيزها عن طريق السلوك النموذجي لأعضاء هذا المجتمع الذين يمثلون بالتوافق الاجتماعي مع الانماط الثقافية الموطدة الدعائم علي الرغم من كونها عرضة للتغيرات . وفي حقيقة الأمر فإنه يمكننا أن نحكم علي أي مجتمع بشري علي انه مجتمع والسبب في ذلك يرجع الي أن السلوك يتم توجيهه نحو القيم الاساسية للمجتمع . واذا لم يكن هناك ثمة اطار للقيم التي يتقاسمها الافراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض فإنه من الممكن ان نطلق علي هذه التفاعلات غير المرتبة اسم العلاقات الاجتماعية وليس اسم مجتمع . ولذا فمن المحتمل أن يشير الفرد الي مجتمع الأمم في غضون نصف قرن علي انه تعبير مجازي أو بالاحري موضوع من نسج الخيال ولكن ليس كحقيقة اجتماعية .

وحيث أن اهتمامنا الاساسي ينصب علي مصادر السلوك المنحرف وحيث أننا

قد درسنا بايجاز الآليات التي تهدف الي خلق توافق اجتماعي مثل الاستجابة النموذجية في المجتمع الامريكي فليس هناك مايمكن اضافته بخصوص هذا النمط التكيفي .

٢ - الابتكار : Innovation

وينجم الابتكار عن التاكيد الثقافي الكبير علي قيمة النجاح ويتم هذا الاسلوب عن طريق استخدام الوسائل المؤسسية الفعالة التي تساعد علي الوصول الي صور النجاح التي تتمثل في الثراء والقوة . وتحدث هذه الاستجابة عندما يدرك الفرد التاكيد الثقافي علي الهدف دون الأخذ بالمعايير التنظيمية التي تحكم طرق ووسائل تحقيق هذا الهدف . ومن وجهة نظر علم النفس فقد يؤدي الاستثمار العاطفي والانفعالي لهدف ما الي خلق استعداد للمخاطرة وقد ينتهج الافراد من كل الطبقات الاجتماعية .

هذا الاتجاه النفسي . ومن وجه نظر علم الاجتماع فان السؤال الذي يثار هو : أي الصفات التي يتسم بها تنظيمنا الاجتماعي التي تتهيأ وتتواءم مع هذا النوع من انواع التكيف ومن ثم يحدث تكرار للسلوك المنحرف في منطقة اجتماعية اكثر من غيرها ؟ وفي قمة المستويات الاقتصادية فان الضغط تجاه الابتكار يمحو التمييز بين الصراعات المتعلقة بالأعمال من جانب الاعراف والممارسات العنيفة التي تتعدي هذه الأعراف . وكما لاحظ فيلين " فليس من السهل في أي حالة معطاه - بل أنه يتعذر احيانا حتي تصدر المحكمة احكامها - أن نقول اذا كانت هذه الحالة

نموذجا يستحق المديح والثناء أو أنها جنحة يستحق صاحبها ان يودع في سجن الاصلاح " . وتاريخ الثروات الامريكية قد تم نسجه من خيوط تتجه نحو الابتكار الذي تساوره الشكوك من الناحية التنظيمية كما هو الحال بالنسبة للهدايا التي يمنحها البارونات اللصوص ، وغالبا ما نعرب عن اعجابنا الذي يشوبه عدم الرضاء سرا أو علانية بهؤلاء الرجال الحانقين والناجحين وهذا الاعجاب ماهو الا نتاج للهيكل الثقافي حيث يكون الهدف الحقيقي هو تقديس هذه الاهداف وهذه الظاهرة ليست بظاهرة جديدة . وبدون أن نفرض أن تشارلز ديكنز ، الكاتب الانجليزي الشهير ، كان مراقبا دقيقا لمشاهد الحياة الامريكية وكان يعي انه عادلا وغير متحيز ولنذكر هنا بعض ملاحظاته علي الامريكيين (فان حب المعاملة المتأنقة التي تموه الاختلاس والغش ونقض العهد وانعدام الثقة والتقصير العام والخاص) كما انها تمكن المختلسين من أن يجعلوا شاماتهم مرتفعة دائما هؤلاء الذين لايستحقون الا الاعدام شنقا . فان خصائص المضاربة التجارية الفاشلة أو الافلاس أو النجاح الذي يحققه الوغد لاتقاس بالقاعدة الذهبية القائلة بأن " افعل ماسيفعل بك " ولكنها تقاس بمدي تأنقها . ولقد قمت بتقديم هذه الحادثة مرارا فيقول تشارلز ديكنز " اليس هذه ظروفا مشينة تلك التي تجعل المدعو كذا يمتلك ثروة طائلة جمعها من استخدام الوسائل المشينة الشنيعة ومع هذا فان كل الجرائم التي اقترفها لاتجد من المواطنين سوي التساهل والتسامح ؟ فهو شخص يثير القلق اليس كذلك ؟ " نعم ياسيدي " " مجرم كاذب " ؟ " نعم ياسيدي " " هل خرب أو صفع علي وجهه " نعم ياسيدي " " هل هو شائن حقير فاجر ؟ " نعم ياسيدي " يالا العجب تري ماهي

جدارته ؟ هو رجل حاذق .

وفي هذا الرسم الهزلي الذي يصور القيم الثقافية المتصارعة كان تشارلز ديكنز واحدا من ذوي العقليات الفذة الذي شن هجوما عنيفا علي العواقب الوخيمة الناجمة عن التأكيد الشديد علي النجاح المالي . واستمر بعد ذلك الكتاب الوطنيون في استخدام ذكائهم في شن حملات هجومية ضد هذا النجاح المادي في حين توقف نظرائهم من الاجانب . ولقد قام ارتيموس وارد بنقد العادات الشائعة في حياة الامريكيين حتي اصبحت يعوزها التناسب والتلاءم . وقام بعض الفلاسفة مثل " بيل أرب " و " بترولويوم فولكانا " و " ناسبي " بتكريس قدراتهم علي الدعابة في سبيل مهاجمة العادات والتقاليد المتعارف عليها ومن ثم فقد حطموا صور الشخصيات العامة البارزة بسرور بالغ . أما جوزيف بيلنيجس ونظيره فقد قام بتفسير كل ما تعذر فهمه علي الكثيرين عندما لاحظا أن اشباع الرغبات هو شيء نسبي حيث أن " معظم السعادة في العالم تنشأ بسبب الاستحواذ علي الاشياء التي لايستطيع الاخرون امتلاكها " وكان الجميع مشغولين بعرض الوظائف الاجتماعية للذكاء التأثيري وهذا ما حلله فرويد في مقالته التي تناول فيها الذكاء وعلاقته باللاشعور . ولقد استخدم الذكاء في خلق الدعابة كسلاح من اسلحة الهجوم علي كل ماهو عظيم ومبجل وعزيز الجانب وعلي كل شيء تحيطه العوائق الداخلية أو " الظروف الخارجية ضد التبخيس المباشر من قيمة الاشياء " ولكن ما يلفت الانظار هنا في هذه النقطة هو نشر استخدام الدعابة والذي قام به امبروس بيريس في صورة جعلت من الواضح ان الذكاء لم ينحرف عن اصله الاشتقاقي ولازال يعني القوة

التي تجعل الانسان قادرا علي أن يعرف ويتعلم بل ويفكر ايضا . وفي هذا المقال الساخر الذي يسبر اغوارا " الجريمة وتصحيح مسارها " بدأ بيرس بملاحظة ان علماء الاجتماع ظلوا يجادلون في النظرية القائلة بأن الدافع لارتكاب الجريمة هو دافع مرضي ويبدو أن مناصريها يعانون من هذا المرض " ثم قام بيريس بعد هذا التمهيد بوصف الطرق التي تمكن المحتال من تحقيق النجاح بشرعية اجتماعية والتي عن طريقها يستطيع هذا المخادع ان يحلل التناقضات بين القيم الثقافية والعلاقات الاجتماعية .

وكقاعدة عامة فان الامريكي الطيب لايلجأ الي الاحتيال الا أنه يعدل من موقفه هذا فان يكون متسامحا مع المحتالين . ومطلبه الوحيد يتمثل في معرفته الشخصية بالمحتالين . فجميعنا " ننبذ " اللصوص علي الملأ اذا لم تسنح الفرصة لنتعرف عليهم . فاذا سنحت الفرصة وتعرفنا عليهم لماذا يختلف الموقف اذا لم يكن لدينا الرائحة الحقيقية التي تنبعث من الازقة التي يعيشون فيها أو للسجون الذين يسجنون فيها فنحن ندرك تماما انهم مذنبون الا أننا نقابلهم ونصافحهم ونحتسي مع المشروبات واذا كانوا أثرياء أو عظماء فندعوهم في منازلنا ويشرفنا أن نزورهم في منازلهم . نحن لانوافق علي الطرق التي يسلكونها وهذا شيء واضح لانهم يعاقبوا علي جرائمهم . ولايعبأ الانسان الخبيث بما قد يظن به أحد اصدقائه المتحضرين ويعتبر ذلك من نسج خيال أحد الشخصيات الفكاهية . (وعلي خشبة مسرح فودافيل) " وهو عرض مسرحي قصير تتخلله بعض العروض الغنائية الراقصة " لمارس " اله الحرب " يحتمل ان تتكون ثروته .

ومرة أخري : فاذا جرد المحتالين من القبول والانحراف الاجتماعي فستقل اعدادهم . وسيقوم بعض المحتالين بتغطية حيلهم التي يمارسونها في طريق الضلال والانحراف في حين ان البعض الاخر سيقوم بتعنيف ضمائرهم لنبذ مساويء اللؤم والاحتيال تجاه هؤلاء الذين يعيشون حياة أمنية . فالشخص الحقير لايخاف شيء بقدر خوفه من أن يصافح أيد أمينة أو أن تتجاهله اعين الآخرين . فلدينا الكثير من المحتالين لان لدينا اشخاصا جديرين بالاحترام ولايجدون حرجا في أن يصطحبوا هؤلاء المحتالين اينما ذهبوا علي مرأي ومسمع الجميع بل ويؤكدوا انهم يعرفونهم جيدا وفي مثل هذه الحالة يتعذر علينا أن نلقي اللوم عليهم أو حتي نوبخهم . واذا صحت ان يسرقك أحدهم فانك بذلك تكون قد قلبت الموازين . فقد يبتسم الانسان في وجه المحتالين (وغالبا مايفعل معظمنا ذلك) اذا لم يكن يعرف انه محتال . ولكن عندما يعرف الانسان ان هذا الشخص محتال فاذا ابتسم في وجهه فانه بذلك يكون منافقا ومتملقا . وعدد المنافقين يتجاوز عدد المتملقين كما يفوق عدد المحتالين عدد الاشخاص البارزين الاثرياء . وسيكون الامريكيون عرضه للسلب والنهب طالما ظلت الشخصية الامريكية علي ماهي عليه وطالما انها تتسامح وتتساهل مع المحتالين الناجحين وطالما ان ذكاء الامريكيين يرسم صورة وهمية تفرق بين شخصية الانسان العامة وشخصيته الخاصة أو بين شخصيته التجارية وشخصيته الحقيقية . وبايجاز سيبقي الامريكان عرضة للسلب والنهب طالما انهم يستحقون ذلك وليس ثمة قانون انساني بوسعه ان يمنع ذلك كما انه لاينبغي لأي قانون ان يفعل ذلك لانه بذلك سيلغي المبدأ القائل بأن " من زرع حصد " .

وابان عصر ازدهار البارونات الامريكيين نجح بيريس في ملاحظة ماتسمي بعد ذلك " بجريمة الياقة البيضاء " ومع ذلك فلقد كان يعلم ان ليس كل هذه الانحرافات المساوية عن المعايير المؤسسية في الطبقة الاقتصادية معروفة لدي الجميع وان انحرافات قليلة معروفة لدي الطبقة المتوسطة . ولقد دونت وثائق سوزرلاند مرارا تفشي جريمة الياقة البيضاء بين رجال الاعمال . ولقد لاحظ ان العديد من هذه الجرائم لم يتم مقاضاة مرتكبيها لانه لم يتم التحري عنها أو اذا تم التحري عنها فان وضع ومركز رجال الاعمال المتأنق يحول دون محاكمتهم لانهم كانوا بمنأي عن العقوبة وحتي عن الاستياء العام . ولقد كشفت احدي الدراسات التي اجريت علي ١٧٠٠ فرد من افراد الطبقة المتوسطة بأن الجرائم ذات الارقام القياسية كانت شائعة بين اعضاء المجتمع ذوي الهيبة والمكانة العالية . ولقد اعترف ٩٩٪ من الافراد الذين يتم استجوابهم بأنهم قد ارتكبوا أكثر من ٤٩ جنحة تحت قانون العقوبات لولاية نيويورك وكانت كل جنحة من هذه الجنح كافية بأن تودع مرتكبيها السجن لمدة لاتقل عن العام ولقد بلغ عدد الجنح التي كان مرتكبوها من البالغين - باستثناء كل الجنح التي تم ارتكابها قبل بلوغ سن السادسة عشر - ١٨ جنحة بالنسبة للرجال و ١١ جنحة بالنسبة للسيدات . واعترف ٤٦٪ من الرجال ٢٩٪ من السيدات بكونهم مذنبين بارتكاب الخيانة العظمي وهي جريمة كفيلة بأن تجردهم من جميع حقوقهم المواطنية . ولقد قام أحد الوزراء بتفسير أحد النقاط الرئيسية في هذه الاكتشافات حيث انه اشار الي البيانات الخاطئة والمزيفة التي أدلي بها عن أحد السلع التي قام ببيعها " لقد حاولت ان اجرب الصدق في البداية ولكن الصدق

لايحالفه التوفيق دائما " وعلي اساس هذه النتائج فلقد توصل المؤلفون الي أن " عدد الجرائم الشائعة بين رجال الاعمال يفوق عدد الجرائم التي يتم الابلاغ عنها بطريقة رسمية فالسلوك الغير قانوني يعد في الواقع ظاهرة من الظواهر الشائعة . وهناك معدلات متباينة للسلوك المنحرف في الطبقات الاجتماعية العديدة . ونحن نعرف من مصادر كثيرة ان احصائيات الجريمة الرسمية التي تدل علي وجود معدلات اعلي في الطبقات الاجتماعية المنخفضة هي احصائيات غير كاملة ولايمكن الاعتماد عليها . ولقد اتضح من تحليلينا ان الضغط تجاه الانحراف يتركز في الطبقات الاجتماعية المنخفضة . وتسمح لنا هذه الحالات بالتحري عن الاليات الاجتماعية التي تساهم في احداث هذه الضغوط . ولقد دلت ابحاثا عديدة علي ان المناطق المتخصصة في الرذيلة والجريمة تشكل " استجابة طبيعية لأي موقف يكون فيه التأكيد الثقافي علي النجاح المالي قد تم فهمه واستيعابه ولكن حيث تقل فيه نسبة اللجوء الي الوسائل التقليدية الشرعية التي تيسر النجاح . فالفرص المهنية في هذه المناطق تقتصر علي العمل اليدوي وتقل فيها الوظائف التي يكون اصحابها من ذوي الياقات البيضاء . وبعد ان رأيناالوصمة الامريكية للعمل اليدوي الذي يتسم بكونه متماثلا ومتشابها في جميع الطبقات الاجتماعية ورأينا أيضا غياب الفرص الحقيقية التي تحرز أي تقدم فكانت النتيجة الحتمية لما رأينا تتسم باتجاهها ونزوعها الي السلوك المنحرف . فمكانة العامل غير الماهر وما يترتب علي ذلك من دخل ضعيف تجعله عاجزا عن أن يتنافس ويتصارع من اجل تحقيق المعايير الموطدة بوعود القوة والسلطة والدخل المرتفع عن طريق الرذيلة والعربدة والجريمة .

وتعرض هذه المواقف عنصرين بارزين : الأول : حوافز النجاح التي توفرها القيم الموطدة للثقافة والثاني : السبل المتاحة للاتجاه نحو هذا الهدف وكلاهما محدودين بهيكل الطبقة الاجتماعية وبنيتها لذوي السلوك المنحرف . ومن ثم فان هذا المركب والمزيج من التأكيد الثقافي والهيكل الاجتماعي هو المسئول عن خلق ضغط شديد نحو الانحراف . فان مصادر الطرق الشرعية للحصول علي الاموال محدودة ببنية الطبقة الاجتماعية التي لاتفتح ابعادها علي مصراعيها للرجال ذوي القدرة والكفاءة العالية . وعلي الرغم من عقيدة الطبقة الاجتماعية المفتوحة فان التقدم نحو هدف النجاح هو تقدم نادر نسبي يصعب ان يحققه المسلحين بسلاح التعليم القانوني الرسمي وقليل من الموارد الاقتصادية . ان الضغط لسائد أو الغالب يقود الي الاضعاف التدريجي للاجتهادات الشرعية والاستخدام المتزايد للحيل غير الشرعية - الاكثر أو الاقل فعالية .

والثقافة تطالب هؤلاء الواقعون في المراكز السفلي في البنية الاجتماعية بطلبات متناقضة . فمن جهة هم مطالبون بأن يوجهوا سلوكهم نحو توقع ثروة كبيرة وقد قال كلا من ماردن وكارنيجي ولونج : " كل انسان ملك " ، ومن جهة اخري هم محرمون من الفرص الفعالة من اجل تحقيق هذا ، حسب القوانين الاجتماعية . ونتيجة هذا التضارب التركيبي هي نسبة عالية من السلوك المنحرف . والتوازن بين الغايات والوسائل الحضارية يصبح غير مستقر مع تركيز مستمر علي تحقيق الغايات المبنية علي الهيبة والاعتبار بأي وسيلة ايا كانت وفي هذا السياق ، يمثل " الكابون " انتصار الذكاء الغير مقيد بالاخلاق علي " الفشل " الذي تقتضيه الاخلاق

عندما تغلق أو تضيق قنوات الحركية الرأسية في مجتمع يضيع مكافاءه كبيرة للثراء المادي والتسلق الاجتماعي لجميع افراده

وهذه الصفة الاخيرة ذات اهمية اساسية فهي تشير الي ان المظاهر الاخري للبنية الاجتماعية - بالاضافة الي التركيز الشديد علي النجاح المادي . لابد من وضعها في الاعتبار اذا كان لنا أن نفهم المصادر الاجتماعية لانحراف السلوك . وكثرة تكرار حدوث الانحراف السلوكي لاينبع فقط من نقص الفرص او ذلك التركيز المبالغ فيما يختص بالمادة . فبنية طبقية متصلبة نسبيا علي نظام الطبقة المتعلقة يمكن ان تحد من الفرص بصورة اكثر بكثير من الصورة التي تسود في المجتمع الامريكي الآن انه فقط عندما يمجد نظام قيم ثقافية بعض اهداف النجاح المشتركة وذلك علي المستوي العام(لجميع الناس)بينما تحد البنية الاجتماعية بشدة أو تمنع تماما الوصول الي هذه الاهداف بالطرق المصرح بها وذلك لجزء كبير من هؤلاء الناس . هنا فقط ينجح السلوك المنحرف علي نطاق واسع . وفي قول اخر فان الايديولوجية المساوانية تنكر ضمنيا وجود افراد غير متنافسين او جماعات غير متنافسة في السعي وراء النجاح المادي . بدلا من ذلك فان نفس رموز النجاح يمكن تطبيقها علي الجميع . فالاهداف موجودة من اجل تجاوز حدود الطبقات وليس للتقيد بها ومع ذلك فالنظام الاجتماعي الفعلي هو وجود تفرقات طبقية في امكانية الوصول الي تلك الاهداف . في هذا الاطار فان فضيلة امريكية رئيسية وهي " الطموح " تشجع رذيلة امريكية رئيسية وهي " السلوك المنحرف " .

هذا التحليل النظري قد يساعد علي توضيح العلاقات المتبادلة . والمتغيرة في آن

واحد مابين الجريمة والفقر . " الفقر " ليس متغير منعزل يؤثر في نفس النمط اينما وجد ولكن فقط جزءا واحدا في مركب نو متغيرات اجتماعية وثقافية متماثلة ومتوافقة علي بعضها البعض . والفقر بهذا المضمون والحد من الفرص الناتج عن ذلك ليسا كافيان لأحداث نسبة عالية واضحة من السلوك الاجرامي . كذلك القول الشهير : " الندرة وسط الوفرة " لن يؤدي بالضرورة الي هذه النتيجة . ولكن عندما يرتبط الفقر والعيوب المرتبطة به في التنافس علي القيم الحضارية المسموحة لجميع افراد المجتمع - بتركيز حضاري علي النجاح المادي كهدف سائد فان النتيجة الطبيعية هي نسب عالية من السلوك الاجرامي . بالتالي فان الاحصاءات المبدئية (وهي ليست بالضرورة محل ثقة) تقول بأن الفقر اقل ارتباطا بالجريمة في جنوب شرق اوربا عنه في الولايات المتحدة . ففرص الحياة الاقتصادية للفقراء في هذه المناطق الاوربية قد يبدو حتي اقل رجاءا عنها في هذا البلد . بالتالي فأن لا الفقر ولا ارتباطه بالفرصة الضئيلة يعدان مسئولان وحدهما عن العلاقات المتبادلة المتغيرة . مع ذلك . فأننا عندما نتناول الصورة الكاملة - الفقر ، الفرصة المحدودة وتحديد الاهداف الثقافية - فانه يظهر لنا بعض الاساس لشرح العلاقة المتبادلة بين الفقر والجريمة في مجتمعنا وهي اكبر منها في المجتمعات الاخري حيث تزنوج تركيبة الطبقة المتصلبة مع رموز النجاح في الطبقات المتفاوتة .

وضحايا هذا التناقض بين التركيز الحضاري علي الطموح المادي والقضبان الاجتماعية المفروضة علي الفرصة الكاملة . غير مدركين دائما للمصادر البنائية لأمالهم المخذولة .

ولكن المؤكد انهم غالبا ما يكونوا مدركين لنوع من التعارض بين قيمة الفرد المجتمع . ولكنهم لايدركون بالضرورة كيفية حدوث ذلك . وهؤلاء الذين يجدون مصدرة في البنية الاجتماعية قد يصبحون غرباء عن هذه البنية . ويصبيروا مرشحون للتأقلم . لكن الاخرون ويبدوا ان هذا يشمل الغالبية العظمي - قد ينسبون متاعبهم الي مصادر مبهمة أو صوفية اكثر منها اجتماعية . فكما قال الاجتماعي والكلاسيكي المميز رغم انفه ، جلبرت موراي في هذا السياق العام :

" ان افضل بذرة للاعتقاد في الخرافات هي مجتمع لاعلاقة فعلية واضحة فيه بين ثروات الاشخاص وبين مجهودات وميزاتهم . فمجتمع مستقر ومحكوم بشكل جيد يميل الي تأكيد أن العامل المخلص المجتهد سينجح في حياته بينما يفشل العامل الشرير الكسول . وفي مثل هذا المجتمع يميل الناس الي التركيز علي التسلسلات المعقولة أو المرئية في اعطاء الاسباب . ولكن في مجتمع يعاني من الخروج عن المقياس فان الفضائل العادية مثل الاجتهاد والامانة والعطف تبدو ذات نفع ضئيل وفي مثل هذا المجتمع يميل الناس الي التركيز علي الصوفية ، تعاريف القدر والفرص والحظ .

في الواقع ان كلا من " الناجح " جدا و " الفاشل " جدا في المجتمع ينسبون هذه النتيجة الي الحظ .

وعن المزايا الاجتماعية للثروات الكبيرة للافراد لابد من ادماج الحكمة مع الحظ كعوامل اساسية في تكوين الثروات الكبري . فعندما يكون رجلا بعض الملايين من

خلال استثمارات حكيمة - بمساعدة الحظ السعيد في كثير من الحالات كما نحن واثقون - فهو لايأخذ بذلك شيئا من احدا منا . وبنفس الطريقة فإن العامل غالبا ما يتحدث عن الحالة الاقتصادية مستخدما كلمة الحظ في بيانه " فالعامل يري حوله في كل مكان رجال ذوي خبرة ومهارة بلا عمل يقومون به . فاذا كان هو يعمل فهو يشعر انه محظوظ واذا كان بلا عمل فهو ضحية الحظ السيئ . فهو يري علاقة ضئيلة بين الاستحقاق والكفاءة وبين النتائج . ولكن هذه الاشارات الي تصاريف القدر والحظ تخدم اغراض معينة ويتحدد ذلك حسب المتحدث واذا كان احد الذين وصلوا أو الذين لم يصلوا الي الاهداف المركز عليها حضاريا . وبالنسبة للناجحين هي بلغة علم النفس - تعبير عن التواضع . وذلك بعيد كل البعد عن أي تشابه مع الفكرة القائلة ان الشخص " كان محظوظا " بدلا من " مستحقا تماما للحظ السعيد " . وبلغة علم الاجتماع - مبدأ الحظ كما يفسره الناجحون يخدم الهدف المزدوج وهو بنيان التناقض المتكرر بين الاستحقاق والمكافأة وفي نفس الوقت اعفاء انفسهم من انتقاد البنية الاجتماعية التي تسمح بتكرار هذا التناقض . فاذا كان النجاح في الاصل مسألة حظ - اذا كان موجود في الطبيعة العمياء للاشياء . اذا كان يأتي اينما يشاء ولاتستطيع ان تعرف متي يأتي أو اين يذهب ، اذا فهو بالتاكيد غير خاضع لأي تحكم وسيحدث بنفس الدرجة ايا كانت البنية الاجتماعية بالنسبة للفاشلين وبالذات لهؤلاء منهم الذين يجدون مكافأة بسيطة بالنسبة لكفاءاتهم ومجهواتهم . فمبدأ الحظ يخدم هدف نفسي الا وهو تمكينهم من حفظ تقديرهم لذاتهم في مواجهة الفشل . وايضا قد يستتبع الاختلال الوظيفي يكبح الدافع

لمحاولات اخري . اجتماعيا ، هذا المبدأ - كما يصرح " باك " قد يعكس فشل في فهم تصاريف النظام الاقتصادي والاجتماعي وقد يكون مسببا للاختلال الوظيفي الحاد، قد يستبعد الاساس المنطقي للعمل من اجل التغيرات في البنية معززا مساواة اكثر في المكافئات والفرص .

هذا الاتجاه نحو الحظ والمخاطرة والذي يؤكده التوتر الذي يسببه احباط الامال قد يساعد علي فهم الاهتمام الكبير بالمقامرة والتي هي محرقة حسب القوانين الاجتماعية أو علي احسن الاحوال هي وجه من اوجه النشاط المسموح به وليس مفضل في حدود طبقات اجتماعية محددة .

وبين هؤلاء الذين يطبقون مبدأ الحظ علي الفجوة بين الكفاءة والمجهود والمكافئات قد ينمو موقف ساخر ومتفرد نحو البنية الاجتماعية وافضل مثال لها هي تلك المقولة : " ليس المهم ماتعرف ولكن من تعرف "

وبالتالي في مجتمع ما فان التركيز الحضاري الشديد علي النجاح المادي للجميع والبنية الاجتماعية التي تحد بشدة من فرص الالتجاء الفعلي الي الوسائل المسموحة بالنسبة للكثيرين كل هذا يخلق ميول نحو ممارسات مستحدثة تنحرف عن المعايير الاجتماعية . ولكن هذا الشكل من التأقلم يفترض مقدما ان الافراد قد تم تهيئتهم للمجتمع بصورة غير مثالية وبالتالي فهم يهجرون سبل القوانين الاجتماعية بينما يتمسكون بأمال النجاح . وبين هؤلاء الذين يجعلون قيم القوانين الاجتماعية صفات ذاتية فان موقف متشابه من المتوقع ان يؤدي الي استجابة بديلة يكون فيها

الهدف هو الشيء المهمل بينما الخضوع للعرف هو الشيء المستمر . وهذا النوع من الاستجابة يستدعي دراسة أكثر .

الطقوسية Ritualism†:

تعتبر الطقوس نوع من التكيف ومن الممكن تعريفه بسهولة . فهو يشمل انخفاض قيمة الاهداف الثقافية للنجاح المادي والحراك الاجتماعي السريع الي الدرجة التي ترضي طموحات الانسان . ورغم ان المرء يرفض الاجبار الثقافي ليحاول ان يصير في المقدمة في العالم " ورغم انه يتقدم تدريجيا في افاقه ، فهو يستمر في الصمود شبه اجباريا حسب معايير القيم الاجتماعية .

ان الطقوسية نوع من المراوغة الاصطلاحية ان نسأل اذا كان ذلك يمثل حقيقة السلوك المنحرف . فبما ان التكيف في الواقع هو قرار ذاتي وبما ان السلوك العلني الصريح مسموح به حسب القوانين الاجتماعية - رغم انه ليس مستحب ثقافيا - فهو عادة لايعد ممثلا لمشكلة اجتماعية . والاصدقاء الحميمين للافراد الذين يمارسون هذا النوع من التكيف قد يصدرون حكم في اطار البعد الثقافي المسيطر وقد يشعرون " بالاسف من اجلهم " . وقد يشعر هذا الصديق في حالة فردية بأنه سلوك منحرف أو لا ، فأنه يمثل بوضوح البعد عن النموذج الحضاري وفيه الناس مجبرون علي الصراع بكل حماسة ويفضل ان يكون هذا من خلال اجراءات تابعة للقوانين الاجتماعية ليتحركون للامام ولأعلي في السلم الاجتماعي .

يجب ان نتوقع ان يكون هذا النوع من التأقلم متكرر الحدوث في مجتمع يجعل

وضع الانسان الاجتماعي معتمد بشكل كبير علي انجازاته فكما هو ملحوظ فأن هذا الصراع التنافسي المستمر يسبب قلق حاد علي الوضع الاجتماعي . واحدي طرق تهدئة هذا القلق خفض مستوي طموحات الشخص بصورة دائمة . فالخوف يسبب التراخي أو لتكون أكثر دقة - التصرفات الروتينية .

ان تزامن الطقوس الاجتماعي شيء مألوف ومتوقع ونجد تعبيرا في سلسلة من الاقوال الفلكورية " لن افعل شيء بسبب المتاعب لي أو النقد " ، " اني العب في الامان " ، " اني راضي بما امتلك " ، (الطمع يقل ماجمع). والفكرة التي تربط هذه الاتجاهات هي ان الطموحات الكبيرة تسبب خيبة الأمل والخطر بينما الطموحات الصغيرة تسبب الرضا والامان . تلك اجابة لموقف يبدو مهددا وفي نفس الوقت يثير عدم الثقة . ذلك هو الاتجاد الضمني بين العمال في مؤسسة صناعية والذين يضبطون بحرص انتاجهم علي حصة نسبية حيث انهم يخشون ان يلاحظوا بواسطة ادارة المستخدمين " وشيء سيحدث اذا ارتفع وانخفض انتاجهم " . انها وجهة نظر المستخدم الخائف ، البيروقراطي المتحمس في سجن وظيفة امين الصندوق في مؤسسة بنكية خاصة او في المكتب الرئيسي لمؤسسة اشغال عامة . تلك باختصار صيغة التكيف للافراد الباحثين عن هروب ذاتي من المخاطر والاحباطات التي تبدو متأصلة في التنافس علي الاهداف الحضارية الاساسية وذلك بالابتعاد عن هذه الاهداف والتشبث اكثر بالروتينية الامنة ومعايير القوانين الاجتماعية . وعلاقة بالقوي والعمليات العقلية والعاطفية الناشئة بخاصة في فجر الطفولة وبأثرها في السلوك والاوضاع العقلية .

اذا كان يجب علينا ان نتوقع من الطبقات السفلي ان يتدي النوع الثاني من التكيف " الاستحداث " بالنسبة للاحباطات المفروضة بالتركيز الشامل علي الاهداف الثقافية الكبيرة والواقع من فرص اجتماعية ضئيلة . فانه يجب ان نتوقع من الطبقة المتوسطة السفلي ان تكون ممثلة بشكل واضح ضمن هؤلاء الذين يمارسون النوع الثالث من التكيف - " الطقسية " لأن الاباء في هذه الطبقة يسلطون ضغطا مستمرا علي ابنائهم للتمسك باعراف المجتمع الاخلاقية . وايضا تقل فرص نجاح التسلق الاجتماعي في هذه الطبقة عنها في الطبقة المتوسطة العليا . هذا التدريب المتشدد علي التمسك بالعادات يقلل احتمالات النوع الثاني من التكيف ويزيد من احتمالات النوع الثالث . والتدريب المتشدد يؤدي بالكثيرين الي حمل عبأ ثقيل من القلق - وانماط الطبقة المتوسطة السفلي للتأهيل للمجتمع تشجع بالتالي علي جعل تركيبة الشخصية ميالة نحو الطقسية وتبعا لذلك فان النمط الثالث من التكيف لابد وان يتكرار حدوثه في هذه الطبقة .

ولكن يجب ان نلاحظ مرة اخري وكما في مستهل هذا الفصل اننا هنا ندرس طرق التكيف أو التأقلم مع المتناقضات في البنية الثقافية والاجتماعية ولكننا لانركز علي انماط الشخصية الذاتية . والافراد الذين تقيد حريتهم هذه المتناقضات يمكنهم ان يتحركوا من نوع من انواع التكيف الي نوع اخر . وهم يفعلون ذلك في الواقع . بالتالي يمكننا ان نستنتج ان بعض من يتبعون الطقوس يخضعون للقواعد والقوانين الاجتماعية بشكل مبالغ فيه ويكونوا منغمسون بشدة في اتباع النظام حتي يصبيروا اصحاب فضيلة بيروقراطية وذلك انهم يتشبثون بهذه الصورة المفرطة بسبب

شعورهم بالذنب لعدم اتباعهم سابقا للقوانين والانتقال العابر من التكيف وفقا للطقوس الي انواع مثيرة من التكيف الغير مشروع يظهر جيدا في تاريخ الحالات المرضية عند العلاج وكثيرا ما يتم تناوله في الروايات ذات البصيرة النافذة .

وكثيرا مايتبع ذلك ثورات عارمةتبعدفترات طويلة من الاذعان المفرط ورغم ان آلته الدينامية لهذا النوع من التكيف قد تم تعريفها وربطها بانماط النظام والتنشئة الاجتماعية في الاسرة فان كثيرا من الابحاث الاجتماعية لازالت مطلوبة لتفسير سبب ظهور هذه الانماط في طبقات اجتماعية معينة أكثر منها في الطبقات الاخري . ان مناقشتنا قد قدمت مجرد اطار تحليلي واحد للبحث الاجتماعي الذي يركز علي هذه المشكلة .

الارتـــداد Retreatism:

كما وان التكيف رقم واحد (الخضوع للعرف) يبقي اكثرها شيوعا فان التكيف رقم ٢ (رفض الاهداف الحضارية ووسائل القوانين الاجتماعية) هو اقلها شيوعا . والناس الذين يتكيفون او (يتكيفون علي نحو شيء) مع هذا النمط هم في الحقيقة في المجتمع ولكنهم لاينتمون اليه . وهؤلاء اجتماعيا - يشكلونه الغرباء الحقيقيون كونهم لايشاركون في الاطار المشترك للقيم فهذا يجعلهم يعدون اعضاء في المجتمع (هناك فرق بين المجتمع والسكان) بصورة خيالية فقط .

ويسقط من هذه الفئة بعض الانشطة التكيفية للمصابين بالذهان والمنبوذين والمتشردين والمشبوهين والمتسولين ومدمني الخمر والمخدرات . فهؤلاء قد نبذوا الاطر

الثقافية السابق شرحها وسلوكهم لايتفق والمعايير الاجتماعية . ذلك لايعني ان طرفي تكيفهم في بعض الحالات نابعا من النسق الاجتماعي وهم في الواقع رفضوا وجودهم ضمن هذا المجتمع .

ومن المرجع لتلك الطريقة ان تحدث عندما يتفهم الافراد تماما كلا من الاهداف المجتمعية ودور القوانين الاجتماعية ويتمثلوها بالعاطفة والقيم العليا ولكن سبل القوانين الاجتماعية المتاحة لاتجلب النجاح . وهنا ينتج صراع مضاعف يضم الاجبار الاخلاقي الداخلي بالخضوع للقوانين الاجتماعية ويتصارع هذا مع الضغوط للالتجاء الي وسائل غير مشروعة (ممكن ان تحقق الهدف) والفرد منفصل عن الوسائل الشرعية الفعالة . والوضع التنافسي يتحقق بينما الفرد المحبط و المعوق الذي لايستطيع ان يتعايش مع هذا الوضع ينسحب . ان الانهزامية والانسحاب والاستسلام تظهر في اليه الهروب التي تؤدي به الي الهروب تماما من متطلبات المجتمع . اذا فهي حيلة تنبع من الفشل المستمر في الاقتراب من الهدف بالطرق الشرعية ومن عدم القدرة علي سلوك الطريق غير الشرعي بسبب محظورات داخلية وهذه العملية تحدث بينما القيمة العظمي لهدف النجاح لم يتم التبرأ منها بعد . والصراع تم حسمه بهجر كلا من الاهداف والوسائل . الهروب كامل والصراع انتهي والفرد اصبح لااجتماعي .

في الحياة الاجتماعية ووفقا لمعطيات الطقوس هذا النوع من السلوك المنحرف يتم تشجيعه باخلاص بواسطة ممثلي التقليدية في المجتمع علي نقيض المتمثل للعرف الذي يجعل عجلة المجتمع دائرة نجد ان هذا المنحرف هو عائق غير متتبع

وعلي نقيض المستحدث الذي هو علي الاقل " نكي " ومجاهد نشيط نجد الاخر لايجد قيمة للهدف النجاح الذي تكافئه الثقافة وعلي نقيض من يخضع للطقوس الذي يخضع علي الاقل للعرف نجد الاخر يبدي اهتمام ضئيل بممارسة القوانين الاجتماعية .

والمجتمع لايقبل بسهولة هذا الانكار لقيمة وليتسني هذا لابد من مناقشة هذه القيم . فهؤلاء الذين هجروا البحث عن النجاح هم مطارودن باستمرار حتي يصلوا الي هذه النهاية وذلك بواسطة مجتمع يصر علي جعل اعضائه يوجهون انفسهم الي الكفاح من اجل النجاح .

التمـــرد : Rebellion

ان هذا التكيف يؤدي بالاشخاص من خارج البنية الاجتماعية ليتصوروا ويعون الي خلق بنية اجتماعية جديدة معدلة ، وذلك يستلزم اغتراب عن الاهداف والمعايير السائدة . وهذه الاهداف والمعايير تصبح استبدادية تماما . وذلك يعني تلك التي تستطيع ان تنتزع الولاء والشرعية ، حيث انها من الممكن ان تكون العكس تماما .

ان الحركات المنتظمة للتمرد من مجتمع ما تهدف بوضوح الي تصميم بنية اجتماعية وان معايير نجاح ثقافية ، معدلة بشدة ويتم فيها الاحتياط من اجل انسجام وتوافق اكثر بين الكفاءة والمجهود وتحقيق الاهداف .

ولكن قبل دراسة التمرد أو الثورة كطريقة من طرق التكيف يجب تمييزها عن نوع آخر مماثل شكلا ولكن مختلف جوهريا . وهو تقلب العاطفة ressentiment

ومفهوم تجدد العاطفة ressentiment والذي قدمه Crietzche في معني فني خاص قد ايده Max scheler وطهره اجتماعيا .

وهذه العاطفة أو الوجدان المعقد نو ثلاثة عناصر (متشابهة) :

العنصر الاول : - الشعور المهب بالكره والحسد والعدوانية .

العنصر الثاني : - الاحساس بفقدان القوة أو القدرة علي التعبير عن هذه الاحاسيس ضد شخص أو طبقة اجتماعية تثير هذه الاحاسيس .

والعنصر الثالث : - هو المعاناة المستمرة لهذه العدوانية العقيمة .

والنقط الجوهرية والتي تميز ما بين تجدد العاطفة ressentiment والتمرد هو ان تجدد العاطفة لايستخدم تغير حقيقي في القيم . ان تجدد العاطفة يستخدم نمط وحصرم حلب " والذي يؤكد فقط ان الاهداف المرغوب فيها ولكن لايمكن الحصول عليها لاتجسد فعليا القيم الجديرة بأن يناضل من اجلها " وفوق هذا كله فان الثعلب في الاسطورة لم يقل انه اقلع عن كل ميل بالعنب حلو المذاق فهو يقول فقط ان هذه العناقيد بالذات ليست حلوة المذاق .

والتمرد من ناحية اخري يستخدم اعادة التقييم حيث تؤدي الخبرة المباشرة أو البديلة للاحباط الي الشجب التام للقيم السابقة والجديرة بأن يناضل من اجلها ان الثعلب المتمرد ينكر ببساطة ميله العام للعناقيد حلوة المذاق .

ففي تجدد العاطفة ressentiment يشجب الفرد مايتوق اليه سرا الا انه في

التمرد يشجب الرغبة الملحة ذاتها وبالرغم من ان الشعور بين متميزان فان التمرد المنظم قد يعتمد علي ذخيرة هائلة من الامتعاض والاستياء عندما يصبح العزل المنظم (الشرعي) حاد institutional dislocotions .

وعندما ينظم للنظام القانوني أو التنظيمي علي انه حاجز لاشباع الاهداف الشرعية فان هذا يهيىء للنظام الفرصة لأن تعد المتمرد استجابة تكيفية .

وللعبور داخل هذا النشاط المنحرف ، فان الولاء لايجب ويصبح الانسحاب من البناء الاجتماعي السائد ليس الهدف فقط ولكن ايضا يجب وان يحول الي جماعات جديرة .

ان الوظيفة المزدوجة لهذه الاستجابة هي تحديد مصدر الاحباطات واسعة النطاق في البناء الاجتماعي وتمثيل بناء اجتماعي بديل والذي لم يكن يرفع من احباط الذين يستحقونه انه بمثابة رخصة أو دستور للتصرف .

وفي هذا الاطار فان وظائف المسلمات الثقافية المضادة Cainter- onyth بالنسبة للاشخاص المحافظين علي القديم - والتي وضحت بايجاز في جزء سابق من هذا الفصل - وضمت بشكل اكثر علي انه : - مهما كان مصدر احباط الجمهور فانه لايتواجد في البناء الاساسي للمجتمع وهكذا يؤكد المسلمات المحافظة علي القديم والمقاومة للتغير ان هذه الاحباطات كامنة في طبيعة الاشياء وقد تحدث في اي نظام اجتماعي . وان الانسحاب والاكتئاب لايمكن وان تكون اساليب شرعية أو مرغوبة انها حالة تشبه تماما لأن يكون فيها الشخص يشعر بتحسن في يوم ما

ويتوعك في اليوم التالي له .

ان كل من التمرد والمحافظة كلاهما يعمل في اتجاه " احتكار الخيال " الذي يسعي لتحديد الموقف في تلك المصطلحات لكي تحرك المحيط نحو أو بعيدا عن التكيف ان ذلك يشير علاوة علي ذلك الي ان نجاح من يمارس الارتداد في انه ناجح في شجب القيم السائدة والتي تصبح الهدف من العدوانية الهائلة مابين اولئك المتمردين ولانه لايدع القيم ان تكون محل تساؤل فقط كما تفصل الجماعة الخارجية الا انه يعن ان وحدة الجماعة تكون غير كاملة ايضا .

الخلاصـــة :

وعلي ذلك يمكن ان نري في صيبو الهامشية والانحراف ، والتردد في العلاقات ، وعدم السلوك المتوافق مع النسق الاجتماعي العام السائد في المجتمع ، انها عبارة عن ردود افعال ليست عفوية ولكنها عمليات اجتماعية تتناغم من المركبات النفسية والثقافية لبعض جماعات في المجتمع نتيجة للاطار المرجعي الذي يعايشه الفرد ، هي عمليات شعورية (ليست نوعاً من الانفصال عن الواقع أو احلام يقظة) ولكنها في نظر المجتمع تعبر عن سلوك غير متوافق اجتماعيا ، أو محكوم عليه بالانحراف الذي يصل الي حد التجريم ، ولكن في نفس الوقت لاننسي ان هذا السلوك يلعب وظيفة اساسية تتكامل مع نسق الضبط الاجتماعي في المجتمع .

ان انماط واشكال التكيف أو التوافق مع النسق الاجتماعي العام في المجتمع . الاطار الثقافي (ذلك المركب الكلي العام الذي يضم من بين مكوناته الاطار القيمي والعرف والتقاليد ، والتي تكون في مجموعها النسق المعياري الذي يقيس عليه المجتمع السلوك المرغوب ، والسلوك غير المرغوب (أم المنحرف) ماهي الاميكانيزمات تعمل علي المستوي الفردي في علاقة الافراد بجماعات المجتمع وخاصة في تحديد بعد الانتمائية ، ونجد انها تضم اليات الانتقال فيما بينها بما يحقق التوازن النفسي للافراد والرضاء عن الذات ، وفي نفس الوقت تحمي المجتمع من المزيد من التوترات التي قد تهدد استقرار النظم الاجتماعية الاساسية ، والتي بدون هذا الاستقرار لاتستطيع هذه النظم ان تحقق وظائف المجتمع الاساسية .

المراجــع العربية :

١ - ابراهيم ، سعد الدين ، مصر في ربع قرن - دراسات في التنمية والتغير الاجتماعي - معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢ - انور ، علا مصطفي ، التفسير في العلوم الاجتماعية - دراسة في فلسفة العلم - دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

٣ - جامع ، محمد نبيل ، المفتتح في علم الاجتماع ، (المؤلف) ، الاسكندرية ١٩٧٣ .

٤ - زيدان ، محمود ، الاستقراء والمنهج العلمي ، مكتبة الجامعة الاميريكية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

٥ - عارف ، محمد محمد ، المنهج في علم الاجتماع ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٦ - عبد المعطي ، عبد الباسط ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، عالم المعرفة - اغسطس ١٩٨١ .

٧ - محمد ، محمد علي ، وآخرون ، قراءات معاصرة في علم الاجتماع ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر ، دار النشر المتحدة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

المراجع الاجنبية

1 - Blalock, Herbert, theory construction from Verbal to Mathematical Formulations , Engle Wood Cliffs, N.Y. Prentice - Hall, 1964 .

2 - Braith waite, R., Scientific Explanation, Astudy of The Function of Theory, Probability low in Science, N.Y, Harber & Brothers, 1960 .

3 - Broun R., Explanation in Social Science, Chicago, 1968 .

4 - Bell, C & Howord Newby, Doing Sociological Research, London , George Allen & Unwin, 1977 .

5 - Cars, F.G. (ed.) Researh in Evaluation Research N.Y. Russell Sage, 1971 .

6 - Cohen, B. Developing Sociological knowledge: Theory and Method Prentice - Hall, 1980 .

7 - Connerton, P.(ed), Critical Sociology, Hazell Watson & Viney ltd, London , 1979 .

8 - Chavetz, J., Aprimer on The Construction and Testing of Theories in Sociology, F.E, PeaCock Publishers, 1979.

9 - Dubin, Robert, theory Building, N.Y, Free Press, 1969 .

10 - Garfinkel, Harslcl, Studies in Methodology, Engle Wood Cliffs N.Y, Prentice - hall,1966.

11 - Gibbs, Jack, Sociological Theory Construction, Hinsdale 111, Dry den press, 1972 .

12 - Homans, George, The Human Group, N.Y., Har Court Brace & World, 1950 .

13 - Homans, George, Contemporary Theory in Sociology, in, Faris, R, (ed), HandBook of Modern Sociology, Chicago, Rand, Mc Nally Company, 1964 .

14 - Hage, Gerald, Techniques and Problems of Theory Construction in Sociology, N.y, John Wiley, 1972 .

15 - Hyman, H. Interviewing in Social Research, Chicago, The University Press, 1975 .

16 - Lakatos, I & Alan Musgrave, Criticism and The Growth of knowledge, Cambredge University Press, London , 1974 .

17 - Lazars Feld , Main Trends in sociology, N.Y. Harber & Row, 1970 .

18 - Lerner, D., The Human Meaning of the Social Sciences, Glou cester, Mass, Peter Smith, 1973 .

19 - Lazarsfeld and Morris Rosenberg, The Languge of Social Research, N.Y. The Free Press of glasco, 1955.

20 - Lazarsfeld, The Sociology of Empirical Social Research Procedings of American Sociological Review, Vol. 27 .?

21 - Lindey, G., Hand book of Social Psychology. vol.1: Theory and Method, Combridge : Addison, Wesley Publishing co., 1954 .

22 - Lewin, K, Field Theory in Sociol Science, Tavistock, 1963 .

23 - Merton, Robort, SocialTheory and Social Structure, The Free press, 1957 .

24 - Mullins, Nichulas , The Art of Theory, Construction and Use, N.Y, Harper & Row, 1971 .

25 - Mack, Occupational Determinateness : Aproblem and Hypothesis in Role Theory, Social Forces,Vol - 35 .

26 - Madge, J., The Tods of Social Science, longmans, 1965.

27 - Madge, J., The Origins of Scientific Sociology, N.Y.: the Free Press of Glascoe , 1962 .

28 - Ma Kinzey, Constructive Typology, indoby ?.

29 - Popper, Karl, The logic of Scientific Discovery , N.Y, Harper & Row, 1959 .

30 - Stinch Combe, Arthur, Constructing Social Theories, N.Y, Harcourt Brace & Warll, 1968 .

31 - Ross, Ralph, symbols & civilization , N . Y., the free press, 1965 .

32 - Reynolds, paul, Dandson, Aprimer in Theory Construction, N.y, Bobbs. Merril, 1979 .

33 - Ross, A, Theory and Method in The Social Sciences, Minnesota, The University Press, 1957 .

34 - Ritzer, George, insight full analysis inhis Sociology, multiple paradigm science, Boston, Allyn & Bacon, 1975 .

35 - Schutz, Alfred, Concept and Theory Formation in The Social Sciences, Journal of Philiosphy 5 (April, 1954).

36 - Polansky, N.A, (ed) Social Work Research, Chicago, the University of Press, 1975 .

37 - Timasheff, Nicholas, Sociological Theory Its Nature and Grouth, Reval. N.Y., Random House, 1961 .

38 - Toennies, Feardinanad, community and society : Geme, in shaft and Geseulls Chaft, Charles p. Loomis, tran, and (ed.) East lansing : Michigan State University Press, 1957 .

39 - Turner, Jonathan H., The Structure of Sociological Theory, 4 th (ed.) Chicago : Dorsey press, 1986 .

40 - Turner, jonathon, Toword a Social Physics, Reducing, Sociology's Theoretical Inhibitions, Humboldt Journal of Social Relations 7 (Fall) Winter 1979 - 1980 .

41 - Turner, J.H. The Structure of Sociological Theory, the Dorsey Press, 1982 .

42 - Walker, M, The Nature of Scientific Thought, N.Y, Prentice Hall Inc., 1963 .

43 - Willer, David and Murray Webster, Theoritical Concepts and Observables, American Sociological Review 351 August 1970 .

44 - Willer, Juclith, and David, Systematic Empiraction, Critique of Pseudo science, Engle Wood Cliffs, N.J., prentice - Hall , 1973 .

45 - Wallace, Walter, The logic of science in Sociology, Chicago, Aldine, 1971 .

46 - Willer, D. Scientific Sociology, Theory and Method, Prentice Hall, 1967 .

47 - Walker, M. the Nature of Scientific Thought, N.Y. Prentice Hall, Inc. 1953 .

48 - young, p.v., Scientific Social Surveys and Research, Prentice Hall, Revised, 1966 .

49 - Young, P.V. Scientific Social Surveys and Research, Prentice Hall, Revised, 1940.

50 - Zetterberg, Hans L., On Theory and Verification in Sociology, Third, enlarged edition, The Beclminster Press, 1965 .



المحتويات

المحتويـــات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن


Bibliotheca Alexandrina
04493873